الأصولية الإسلامية
والأصوليات الدينية الأخرى

دراسة دينية مقارنة بين الأصولية الإسلامية
وغيرها من الأصوليات الدينية الغير إسلامية

إعداد
الدكتور عماد علي عبد السميع حسين
دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

تقديم
الأستاذ الدكتور محمد أحمد دياب
أستاذ ورئيس قسم الدعوة
بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4396-4
90000>
9782745143969

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقريظ بقلم أ. د / محمد أحمد دياب
أستاذ ورئيس قسم الدعوة بكلية أصول الدين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سلك هديه إلى يوم الدين وبعد/

فإن الغرب الحاقد بكل طوائفه ومذاهبه منذ القرن الثالث عشر يقود حملة شرسة على الإسلام بعد أن تمكن من استبدال الثقافة الإسلامية بثقافة الغرب لدى بعض المثقفين من أبناء المسلمين ليكونوا أداة مساعدة لهم في حرب الإسلام، وذلك نتيجة انبهار البعض بثقافة الغرب المجردة من الروح الدينية تحت شعارات مختلفة من علمانية وحضارة وتقدمية وديمقراطية وعصرية ومساواة وحقوق إنسان . . . إلخ .

وفي القرن العشرين كشَّر الغرب عن أنيابه في معاداته للإسلام فاتهمه بالعديد من التهم وكان من أبرزها تهمة العنف والتطرف والإرهاب .

وبدأ مسلسل اتهام الإسلام بالعنف - في العصر الحديث - مما أسموه الأصولية كمصطلح يريدون من خلاله الإشارة إلى أن الجماعات الإسلامية التي تدعو إلى العودة إلى أصول الدين ومنهج السلف الصالح جماعات عنف وتطرف، واستمر المسلسل حتى أعلنوا في النهاية الحرب ضد الإرهاب، ووجدوا الكثير ممن رضعوا ثقافة الغرب يساعدونهم في ترديد هذه الشعارات وإثبات هذه الاتهامات، لأن ثقافتهم غربية، ولو كانت ثقافتهم إسلامية لفهموا أن الإسلام من معانيه السلام والأمن والاستقرار والخضوع لله - تعالى - فقط وليس لأحد سواه لأنه الدين المرتضى من الله للخلق أجمعين .

والدكتور صاحب البحث/ عماد يتحدث عن الأصولية بمفهومها الواسع فإذا كان المراد بالأصولية الإسلامية العودة إلى الأصول الإسلامية فلا بأس لأن أصول الإسلام ثابتة لن تتغير وإنما التغير في سلوك المسلمين ومدى التزامهم بهذه الأصول، والواقع يؤكد أن هناك هوَّة بين المسلمين المعاصرين وبين أصول دينهم .

وتحدث الدكتور عماد عن الجماعات التي ظهرت في القرن العشرين وعن مناهجها، ومنها ما يقترب من روح الإسلام وبعضها يغالي ويركب متن الشطط في فهم بعض النصوص.

والواقع أن هذه الجماعات اتجهت نحو الإسلام بالعاطفة الدينية والحماس الموتور فأصابت في مواطن وأخفقت في مواطن. . . ولكن الإسلام كل لا يتجزأ، وكان من أسباب الإخفاق لدى هؤلاء الشباب هو: أنهم تتلمذوا على كتب التراث دون أن تكون لهم مرجعية من المعلمين الفاهمين المختصين.

وهذه الأخطاء المنهجية التي كانت سببًا في الإخفاق حاول الباحث وضع أسس لعلاجها من خلال فهمه الصحيح للإسلام ومن خلال أقوال العلماء أصحاب التجارب الدعوية ومن خلال أقوال بعض زعماء تلك التيارات بعد تغيير مواقفهم على إثر الصدامات الدامية التي خاضوها.

وعقد الباحث الدكتور عماد مقارنة بين الأصولية الإسلامية وبعض الأصوليات كالأصولية اليهودية والنصرانية وأثبت بالأدلة أن الأصولية الإسلامية برغم ما يُشاع حولها من تضخيم خطرها لم تبلغ عُشر معشار ما بلغت إليه الأصولية اليهودية والنصرانية من العنف والتطرف والقتل والتشريد للآخرين.

ثم ختم بحثه فرسم بعض معالم الطريق إلى تحسين صورة الصحوة الإسلامية فأشار إلى وجوب الفقه قبل الحماس والاستفادة من تجارب الماضي، وإحداث التكامل بين فصائل الصحوة الإسلامية وترك الاختلاف حول الجزئيات أو الفرعيات، والأناة وترك التعجل.

وأسأل الله - تعالى - للباحث ولأمثاله التوفيق والسداد، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

أ.د/ محمد أحمد دياب

أستاذ ورئيس قسم الدعوة بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ بقلم أ.د/ محمد محرم الشيخ ناجي

أستاذ ورئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى- وخير الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، اللهم فقهنا في الدين وعلمنا التأويل يا رب العالمين. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

سبحانك ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا وإنا نسألك أن تعلمنا من علمك ونستودعك ما تعلمنا فذكرنا به وقت الحاجة يا رب العالمين.

هذا تقديم لكتاب: «الأصولية الإسلامية والأصوليات الدينية الأخرى».

وإخالُني في غنى عن التعريف بالكتاب وموضوعه، فذاكَ موكول لبراعة المؤلف الشيخ الدكتور عماد.

وأُحَلِّق بك أيها القارئ في آفاق الكتاب . . . لكن قبل ذلك يجدر بي أن أعيشك مع كاتبه . . . أحد فتية الأزهر النجباء، وواحد من أبناء الإسلام الأُلبَّاء، وعلم من أعلام أئمة الأوقاف الفضلاء، وداعية متحمس، بكل أساليب الدعوة متمرس، إنه الابن البار الشيخ الدكتور/ عماد بن علي بن عبد السميع . . . سعدت بالتدريس له وهو في السنة الرابعة، حيث تخرج من شعبة الدعوة بكلية أصول الدين في العام السادس عشر بعد المائة الرابعة بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام وأطيب التحية . . . الخامس والتسعين بعد المائة التاسعة بعد الألف من ميلاد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .

وكان واحدًا من الطلاب النبهاء، وحفر بأظافر جده وكده طريق مجده، حيث نال درجة التخصص «الماجستير» في الدعوة والثقافة الإسلامية، ثم نال درجة العالمية «الدكتوراه»، وأدخل في المجد والسؤدد من هذه الألقاب ما تداعى به الخطاب من الثناء على حسن أدائه وممارسته لأساليب الدعوة وتحمسه للإسلام في حقبة نال هذا الدين الخاتم فيها من غفلة وتقاعس أبنائه وحقد وكيد أعدائه ما لم ينله في قرون .

وقد خاطب داعيتنا جماعات من الشباب، وتعامل معهم بلباقة، وسبر أغوار فكرهم، وغاص فيما حاك في صدورهم، ووقف على تشتت البعض منهم . من هنا لم تكن كتاباته كتابة غافل غمر؛ وإنما كانت ثمرة باحث غاص في بحر الفكر فاستخرج منه الجوهر والدر .

خط يراعه : «قضية تجديد الخطاب الديني تحت المجهر» .

و «البدر في الحث على صلاة الفجر» .

و «خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية» .

و «دراسات في العقيدة والشريعة من خلال سفر اللاوين وموقف الإسلام من ذلك» .

و «الموالي ودورهم في الدعوة إلى الله تعالى» .

والكيفية الشرعية لتجهيز الميت من الاحتضار وحتى الدفن ثم كان هذا البحث الشيق الطيب في موضوعه، الجامع في بابه، الرصين في أسلوبه، المستقيم في ترتيبه، السلس في تراكيبه . . . من أي مدخل دخلت إليه من مداخله . . . راقك حُسْنُ تناوله،

وشاقك دقيق تداخله.

والتعبير الذي رضيه الباحث عنوانًا لكتابه... تعبير لاكته الألسنة، واستعمله الأتباع والأعداء، وكأنها - نعني الأصولية الإسلامية - سبة، وتهمة وريبة، يتسور من خلالها حصن الإسلام وينال من شموخه، وهيهات هيهات ما يأملون.

كنت تسمع الإذاعات العالمية وهي تتحدث عن القتل الذي قام به أصوليون إسلاميون، والاعتداء والتعديات على الحقوق والافتيات على الحريات، والتهجم على الحرمات، وكأن هؤلاء الأصوليين ليسوا إلا قطاع طرق !!!.

إنهم متهمون مدانون قبل أن يحاكموا !! إن كل شر لا يصدر إلا عنهم مهما بعدوا عنه أو فَرُّوا منه!! ويخلع لباس غيرهم.. وما وجد من تعصب أو تزمت من أية جماعات كان ألصق بالأصوليين الإسلاميين... بل كانوا في هذا الزعم المتجني هم مخترعوه وموجدوه...، وإذا انحرفت جماعة، وندَّت بفكرها، وجاءت شططًا من السلوك، ووزعت الكفر على من يخالفها في الفكر أو من لا يوافقها في النظر... فكل المنتسبين إلى الإسلام كذلك!! وكل جماعة تتحمس للحنيفية السمحة أو تنهض بدعوتها تقلد إثم هذا الفكر وتجرم بذنب وجرم تلك الجماعة الضالة !!! على حد قول المتنبي:

وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جارمه العذاب

وحين تتعصب كل جماعة لمبادئها التي رأت - خطأً أو صوابًا - أنها مبادئ الإسلام، وقد يكون في حقيقة الأمر أبعد ما يكون عنها وأشنأ ما يكون لها، على ما قيل:

وكلٌّ يدَّعى وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

من هنا كان جمال الباحث في تعريفه بأشهر الجماعات المتواجدة على الساحة، وتلخيصه لمبادئها، وإسفاره عن مدى قربها من الإسلام أو نأيها عنه. ثم يخلص الباحث إلى أهم الأهداف التي تصبو الأصولية الإسلامية إلى تحقيقها، ثم يعرف بأهم المناهج المتبعة في تحقيق تلك الأهداف المتنوعة إلى: الاتجاه السلفي والتبليغي والجهادي والسياسي والتشريعي، ثم يشير إلى بعض المحاذير التي يجب اجتنابها حتى لا تضل الطريق ولا تتنكب الغاية.

ثم يخصص المؤلف مباحث للأصولية عند غير المسلمين وموقف بعض الجهات الفاعلة من الأصولية الإسلامية ومحاولات النَّيل منها أو كبتها .

ثم ينتهي الباحث إلى وصفة دقيقة تأسو وتطبب ، وللعثرات تجنب ، فهو يتحدث عن الطريق الموصلة إلى تحسين صور الصحوة من خلال الفقه الذكي قبل الحماس القوى ، والاستفادة من تجارب الماضي ، وإحداث التكامل بين فصائل الصحوة ، وترك الاختلاف حول الجزئيات أو الفرعيات ، والأناة وترك العجلة .

ولسنا نأخذ على الباحث إلا إيجازه . . . ترى أنعيب عليه ما جنح إليه أئمة كبار كالنووي الذي آثر الاختصار في كتابه الموسوم بالمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج حيث أفاد في مقدمته بهذا الكتاب أنه قدر أن يجئ في أربعة أمثال حجمه لولا ما رأى من ضعف الهمم وفتور العزم وصدود الناس عن المطولات وميلهم إلى المختصرات .

وأعلم أن باحثنا انتهى يراعه من خط هذا البحث الطيب منذ أكثر من سنة ، حين وقفت الهجمة عند حدود أفغانستان ، فكيف بأحاسيسه وهي الآن تقترب من القلب فتسقط للمرة الثانية مدينة السلام بغداد ، وسقوط اليوم أدمى وأنكى من سقوط الأمس ، ومآسي الواقع التي لا يحتملها الحس والتي تلح على التغييب تحت الرمس والأقصى الذي بارك الله حوله يرسل نداءه قويًّا مدويًّا ، لكنها الآذان التي لا تسمع ، والقلوب التي لا تفقه ولا تنتفع ، والأحاسيس التي تبلَّدت ، بل ربما ماتت بعد أن هانت :

من يَهُن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميِّت إيلام

ويبقى الأمل في أن تنهض الأمة من كبوتها ، وتعمل على تجاوز عثرتها .

هذا الأمل ليس سرابًا كاذبًا ، ولا بريقًا خادعًا وإنما هو الإيمان الذي صنع ويصنع المعجزات . الإيمان الذي لا يعرف البأس .

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف : ٨٧]

الإيمان الذي يأبى القنوط ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر : ٥٦]

الإيمان الذي يحمل اللسان على أن يهتف كما هتف في سابق الأوان واجهاداه . . . واجهاداه . . . . واجهاداه . . . . وا إسلاماه . . . . وا إسلاماه هل نعتز بذلك

الإسلام؟! إذًا نسود الأنام، ونقشع الظلام.

هل نعتز بذلك الجهاد أو نواصل المكابرة والعناد، فَنُصِرّ على تغييب هذه الفريضة ونتبنى ما تبناه أحد مؤتمرات القمة الإسلامية المنعقد في دكار عاصمة السنغال والذي دعا إلى التخلي عن كلمة جهاد وإماتتها وطرحها من القاموس الإسلامي، فهي عندهم كلمة عنترية. لا يا أصحاب القمة، إنها طوق النجاة... إنها سبيل الاحتفاظ بكرامة الحياة... إنها الكابحة لجماح صلف الطغاة، إنها المتكررة في كتاب الله - جل في علاه - سبعين مرة بلفظ جهاد ومثلها بلفظ قتال فإلى عز الجهاد وفخر الجلاد، «فما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا» و«الجهاد ماضٍ فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة».

ثم: اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وحواسنا وقوتنا أبدًا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والله أعلى وأعلم وأعز وأحكم وأجل وأكرم

أملاه الفقير إلى عفو ربه القدير

أحمد محرم بن الشيخ ناجي

أستاذ الحديث وعلومه

بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

في مساء الجمعة التاسع من شهر الله الحرام ذي القعدة

سنة أربع وعشرين وأربعمائة بعد الألف الثاني من يناير سنة أربع وألفين.

الأصولية الإسلامية
والأصوليات الدينية الأخرى

دراسة دينية مقارنة بين الأصولية الإسلامية
وغيرها من الأصوليات الدينية الغير إسلامية

إعداد
الدكتور عماد علي عبد السميع حسين
دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر

تقديم
الأستاذ الدكتور محمد أحمد دياب
أستاذ ورئيس قسم الدعوة
بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣) (٤).

ثم أما بعد ...

فإن الإسلام دين واضح لا لبسَ فيه ولا غموض، وهو دين ينظم الحياة، ولا يقبل الفوضى أو العشوائية في الحياة بأيِّ شكلٍ من أشكالها، وهو يُربِّي أتباعه على الدقة والنظام، وعلى وجوب الوعي واليقظة، ومعرفة العدو من الصديق، وهو يربيهم أيضًا على حب الفهم، وإعمال العقل وبُعد النظر، وسعة التفكير والتدبر، ويربيهم كذلك على الحذر من الذين يُلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون، ويبيِّن لهم أن هؤلاء يريدون أن يُرْدوهم ويَلبِسوا عليهم دينهم.

وحقيقة فإن في السنوات الأخيرة - وخصوصًا لما حاد المسلمون عن منهج الإسلام في الفهم والتربية والتعليم ودخلهم الوهن والفتور والفوضى والعشوائية في الحياة

(١) آل عمران: ١٠٢.
(٢) النساء: ١.
(٣) الأحزاب: ٧٠، ٧١.
(٤) هذه المقدمة هي المعروفة بخطبة الحاجة وقد رواها الإمام مسلم في صحيحه بشرح النووي: ك الجمعة ٦/ ١٥٣، ١٥٤ ط الدار الثقافية العربية - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٢٩م.

وقصر النظر وضيق الأفق وعدم الحذر. . استطاعت الصهيونية العالمية أن تطرح مجموعة من المفاهيم، صنعتها وأتقنت حَبْكها، وأرادت بها لبس الحق بالباطل وصرف المسلمين عن قيمهم الأصيلة، وبذلت بسخاء من أجل ترويجها.

والصهيونية صانعة المفاهيم الزائفة والمخططات الحاقدة، هي امتداد لبني إسرائيل الذين كشف الله خبثهم وبراعتهم في التحريف والتزوير، فتارة قال عنهم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ (١). وتارة يقول لهم ناهيًا لهم عن لبس الحق بالباطل: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢). وتارة يسائلهم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

وتستغل الصهيونية جهل الناس في غرس مفاهيمها، ولنضرب لذلك مثالاً: «مفهوم الشرق الأوسط» الذي تلوكه الأشداق بسذاجة لا حدّ لها، هو مفهوم طرحته الصهيونية وأرادت من وراء شيوعه تهيأة الجو لوجود إسرائيل في الأراضي الإسلامية والعربية، لأنهم عرفوا أن الأجيال المسلمة لا بد أن يمحى من فكرها ويغسلَ من أدمغتها أن تلك البقاع شرقٌ إسلاميٌ أو عربيٌ، لأنه لو تمسكت الأجيال المسلمة بأن الشرق شرقٌ إسلاميٌ ما كان هناك وجه حق لوجود إسرائيل فيه، ولو تمسكوا به شرقًا عربيًا - أيضًا: ما كان هناك وجه حق، إذن: فليكن شرقًا منزوع الهوية، لا هو إسلامي ولا عربي، بل بين المنزلتين!!

والقائمة طويلة مكتظة بتلك المفاهيم والمصطلحات، فمنها: مفهوم التطور - ومفهوم الحرية - ومفهوم العقل - ومفهوم التقدم - ومفهوم التجديد - ومفهوم العصرية - ومفهوم التخلف - ومفهوم الأصالة - ومفهوم العبقرية - ومصطلح الضمير - ومصطلح البطولة - ومصطلح لقاء الحضارات - ومصطلح حوار الأديان - ومصطلح العنف - ومصطلح التطرف - ومصطلح الإرهاب(٤).

---

(١) النساء: ٤٦. (٢) البقرة: ٤٢.

(٣) آل عمران: ٧١.

(٤) قد عالج إيضاح أكثر هذه المفاهيم الأستاذ/ أنور الجندي في كتبه وأهمها كتاب «مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام» طبعة مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة ١٩٧٣م.

وقد يقول قائل: إن بعض هذه المفاهيم موجودة في الإسلام، ولكن أقول إن الصهيونية تريد منها غير ما يريد الإسلام، وإنما اختارت تلك المفاهيم التي فيها تشابه مع المفاهيم الإسلامية بالذات ليلبسوا على المسلمين دينهم.

فالحرية مثلاً: هي الإباحية، ذاك ما تريده الصهيونية أن يعيش المرء بلا ضوابط أو قيود أو تكاليف، وقد هالني حينما قرأت على غلاف مجلة المصور التي كانت قد صدرت في نحو الثلاثينيَّات عبارة تقول: **«حرر فكرك من كل التقاليد والأساطير الموروثة حتى لا تجد صعوبةً ما في رفض أي رأي من الآراء، أو مذهب من المذاهب اطمأنت إليه نفسك، وسكن إليه عقلك، إذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه»**.

وهذه دعوة صريحة إلى دحض الأديان والقيم الثابتة، وما تزال هذه العبارات تجري إلى اليوم على أقلام وألسنة دعاة التغريب تحت أسماء مختلفة منها: الدعوة إلى التسامح، والدعوة إلى حرية الفكر، والدعوة إلى التقدم، وكل العبارات المسوقة من (تأخرٍ - ورجعية - وجمودٍ - وتخلفٍ - وتعصبٍ) إنما تعني كلمة «الدين» حتى ولو لم يُصرح بها.

وكان من أخطر المفاهيم التي طُرحت: **«مفهوم الأصولية الإسلامية»**، هذا المفهوم الذي أطلق على حركات الصحوة الإسلامية التي قامت في البلاد الإسلامية تنادي بالعودة إلى الشرع الحنيف واقتفاء أثر سلف الأمة الصالح رضوان الله عليهم، وهو وصف ذميم أريد به إشاعة أن العنف والتطرف هو سمة الملتزمين بالإسلام، وقد رأينا من بني جلدتنا من لا يعجبه التمسك بالأصول الثابتة لهذا الدين، بعد أن أغراه سادته من المستشرقين بأن التخلف الذي حلّ بديار المسلمين سببه التمسك بالإسلام وأصوله، حتى انطلقت ألسنة الجهل تصرخ بعدم الرغبة في العودة إلى الأصول قائلة: **«كيف يُراد لكلام نزل في عصر الجمل والخيمة أن يُعمل به في عصر صاروخ الفضاء وناطحات السحاب؟»**[١].

وما كان مفهوم الأصولية الإسلامية - كما سيأتي - إلا نازحًا غريبًا عن أرضنا وفكرنا، أراد به مصدروه أن يربطوا بين ما يفعله الذين يتمسكون بالأصول الزائفة عندهم - والذين يقفون حجر عثرة في طريق تقدمهم - وبين الذين يتمسكون بأصول

(١) هذا كلام للدكتور/ طه حسين، وهذه النغمة كثيرًا ما تراها في كتب الرجل.

إلهية تدفع عجلة التقدم إلى الأمام وتمضي بها قُدُمًا .

ولذلك يقول المستشرق الروسي ميتالي نارومكسين : «**إن مصطلح الأصولية الإسلامية مصطلح أطلق في الغرب**» ، ويقول جاك بيرك : «**إن تعبير الأصولية آت من النزاعات داخل الكنيسة**» ، ويقول المستشرق الفرنسي دومينيك شوفاليين بعد أن أقر بأن التطرف ميز الحركة الأصولية في الدين النصراني : «**إن الحركة الأصولية الإسلامية مختلفة تمامًا ، ولا مجال للمقارنة بين الحركتين**»(١) .

لذلك نجد أن الأمة الإسلامية اليوم تواجه خطرًا عظيمًا اسمه خطر المفاهيم والمصطلحات ، وأرى أنه ينبغي أن يكون من أهم أهداف الفكر الإسلامي المعاصر تصحيح المفاهيم والمصطلحات ، وتحرير القيم من المفاهيم الوافدة أو الزائفة التي تريد أن تَحُل محل المفاهيم الأصيلة .

وإنه لمما يُحمد لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف أن يخصص لجنة ضمن لجانه تسمى : «**لجنة التعريف بالإسلام**» وتقوم هذه اللجنة بجهد مشكور فى إذكاء روح البحث عند الباحثين المختصين ، فتطرح موضوعات معاصرة ليتنافس الباحثون وطلاب العلم في بيان وجهة النظر الإسلامية الصحيحة فيها .

وقد كان من حُسن قدر الله أن أعلنت هذه اللجنة الموقرة في جريدة الأخبار في عددها الصادر يوم الخميس بتاريخ ٢٤/ ٥/ ٢٠٠١م عن فتح باب التسابق في ثلاثة موضوعات هامة هي :

١- الدين والمجتمع .

٢- مفهوم الأصولية الإسلامية وتطبيقاتها .

٣- أسس التقريب بين المذاهب الإسلامية .

وقد أكرمني الله تعالى باختيار موضوع : «**مفهوم الأصولية الإسلامية وتطبيقاتها**» . وقد كان لهذا الاختيار - بعد إرادة الرحمن - عدة أسباب أهمها :

---

(١) انظر د/ مانع بن حماد الجهني : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ٢/ ٩٧٥ ، ٩٧٦ ط دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ .

أسباب اختيار هذا البحث:

١- تزايد موجات التغريب التي تنادي بأن العودة إلى أصول الإسلام تخلف وجمود.

٢- التضليل الثقافي والإعلامي الذي يحاول أعداء الإسلام من خلاله إيجاد هوَّة بين الجيل السابق والجيل اللاحق، وذلك بذكر مساوئ الجيل السابق دون الإشارة إلى شيء من إيجابيَّاته حتى ينشأ الجيل اللاحق على كره الجيل الذي سبقه ومحاولة البعد عن كل ما كان يتمسك.

٣- عاصرنا طرفًا يسيرًا من أحداث حركات الصحوة الإسلامية، وسمعنا كلمات مدحٍ وذمٍ وموافقةٍ واعتراضٍ فأردت أن يتحقق لي شيءٌ من توسيع دائرة الفكر الإسلامي الصحيح عن شباب الصحوة ما لهم وما عليهم، والاستفادة من تجارب الواقع ودروسه.

⋆ منهجي في البحث:

وقد حاولت أن أسلك المنهج العلمي ما استطعت فعزوت كل قول إلى قائله، وربما عبرت عن حركات الصحوة بـ «**الأصولية الإسلامية**»، وإن كنت لا أرى صحة هذا التعبير ولكن ليتوافق مع عنوان الموضوع، كذلك سلكت مسلك المحايد فذكرت الإيجابيات والسلبيات.

⋆ خطة البحث:

وقسمت هذا الموضوع إلى مقدمة وتسعة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فقد بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياري له، ومنهجي في البحث وخطة البحث.

وأما المبحث الأول: حول مفهوم الأصولية الإسلامية.

المبحث الثاني: أشهر الجماعات التي تمثل الأصولية الإسلامية.

المبحث الثالث: أهداف الأصولية الإسلامية.

المبحث الرابع: حول مناهج الأصولية الإسلامية.

المبحث الخامس: تطبيقات الأصولية الإسلامية.

المبحث السادس: الأصولية اليهودية.

المبحث السابع: الأصولية النصرانية.

المبحث الثامن: الكونجرس الأمريكي يبحث ما أسموه بـ «الأصولية الإسلامية».

المبحث التاسع: فعنوانه: الطريق إلى تحسين صورة الصحوة الإسلامية أو ما أسموه بالأصولية الإسلامية.

وأما الخاتمة: فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث والدراسة.

ثم ذيلت البحث بفهرسين: فهرس للمراجع، وفهرس للموضوعات.

وأسأل الله تعالى أن ينفعنا بما عَلَّمنا وأن يعلمنا ما جهلنا، وأن يرزقنا التواضع للعلم وأن يضاعف لنا ثواب ما نُصيب فيه، وأن يغفر لنا ما تزلُّ فيه أقدامنا وأقلامنا، إنه خير من يُرْجَى ويؤمل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

عماد علي عبد السميع حسين

المبحث الأول

حول مفهوم الأصولية الإسلامية

ويشتمل على:

١- تحليل كلمة المفهوم .

٢- الأصولية في اللغة .

٣- مفهوم الأصولية في الاصطلاح العام .

٤- مفهوم الأصولية الإسلامية في الاصطلاح .

٥- بدايات ظهور مصطلح الأصولية الإسلامية .

٦- هل الأصولية الإسلامية تتعارض مع التجديد؟ .

1- تحليل كلمة المفهوم

جاء في لسان العرب لابن منظور:

«**الفهم هو معرفتك الشيء بالقلب**» والمفهوم هو التصور الموجود في الذهن لأمر من الأمور(1)، ويطلق المفهوم على مجموع الصفات التي يتضمنها تصور الشيء(2).

والمراد بالمفهوم هنا هو بيان الصورة المنطبعة في أذهان كافة الناس عن الصحوة الإسلامية المعاصرة، أو ما أطلقوا عليه «**الأصولية الإسلامية**». ويشمل هذا بيان تلك الصورة من وجهة نظر إسلامية وغير إسلامية، مع بيان مميزات وعيوب الصحوة ومجالات تطبيقها، والمنهج والأهداف، مع مقارنتها ببعض الصحوات أو الأصوليات الأخرى.

2- الأصولية في اللغة:

الأصولية في اللغة مأخوذة من الفعل «أصَّلَ» الشيء يؤصِّله إذا عاد به إلى الأصول الثوابت.

وأصل الشيء: أساسه الذي يقوم عليه، والنسبة إليه أصوليّ(3).

وليس هذا مفهوم الأصولية في اللغة العربية وحدها، بل في سائر اللغات.

ففي الإنجليزية(4) - مثلاً - يطلقون كلمة أصولية ويقصدون بها: مطابقة الأصول، ويعبرون عن ذلك في لغتهم بـ:

PROPER, REGULAR, INACCORDANCE.

WITH THE RULES, CONFORMING TO

---

(1) انظر: جمال الدين ابن منظور: لسان العرب 15/ 375 - مادة (فهم) طبعة المطبعة المصرية بولاق.

(2) انظر: د/ جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية 2/ 404 ط دار الكتاب اللبناني - بيروت 1982.

(3) انظر: لسان العرب 13/ 16 مادة (أصل).

(4) انظر: د/ روحي البعلبكي: قاموس المورد ص 119 ط دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة العاشرة 1997.

. REGULATIONS OR PRINCPLES

وفي الفرنسية[١]: يطلقون كلمة أصولي أو أصلي على الأشياء الثابتة، ويعبرون عن ذلك في لغتهم بـ:

أصل - أو (أصولي) RADICAL

المذهب الأصولي أو (مذهب الأحرار المتطرفين) RADICLISME

وهذا يعني أن الأصولية في جميع اللغات تعني الرجوع إلى الأصول الثوابت.

٣- مفهوم الأصولية في الاصطلاح العام:

قبل أن أوضح مفهوم ما أسموه بالأصولية الإسلامية لا بد من نظرة عاجلة على المفهوم العام للأصولية.

والمفهوم الاصطلاحي العام للأصولية: هو عبارة عن الرؤية التي تتخذ من الأصل - سواء أكان هذا الأصل دينيًا، أم سياسيًا، أم اجتماعيًا - مرجعًا أساسيًا لها.

ولكن على الرغم من أن هذا المفهوم على هذا النحو من العموم بحيث يمكن أن يطلق على أمور كثيرة تختلف في اتجاهاتها، إلا أن كثيرًا من الباحثين قد سيطرت عليهم عاطفة غريبة، هي ربط هذا المفهوم بالدين، وحصره في حيِّز التيارات الدينية المتشددة عمومًا، والإسلامية منها خصوصًا.

ولا ندري أهم مدفوعون إلى غلبة هذه النزعة عليهم بدوافع من الواقع أم أنها مجرد أوهام وتخيُّلات أبعدتهم عن الحقيقة، أم أن هناك أياديَ خفيةً تروج لهذا الفهم المشبوه الذي يُشين الأديان عمومًا والإسلام خصوصًا، وأغلب الظن أن أيادي الإلحاد ساعدت بقسط وافر في تشكيل نزعات الكُتَّاب الذين يربطون بين مفهوم الأصولية وبين التيار الديني المتشدد، على الرغم من أن هناك مخالفات تقع في مجالات أخرى غير المجال الديني - لا تعد ولا تحصى - في مجالات السياسة والحرب والاقتصاد.. وليس هناك لمن يسمى شيئًا من هذا عنفًا ولا تطرفًا ولا إرهابًا.. ولا أصولية.

وأرى أن الصهيونية العالمية - صانعة المفاهيم - ربما كانت وراء السعي الدءوب

(١) انظر: Dictienneive - lasoussedupache,pag ٣٤٣

للربط بين الإسلام وبين الأصولية بهذا المفهوم الذي يثير الرعب ويدعو للاستفزاز!!

٤- مفهوم الأصولية الإسلامية في الاصطلاح:

ليس من اليسير على أي باحث تحديد مفهوم الأصولية الإسلامية في الاصطلاح، وذلك لأن اللفظ نفسه لم يصطلح المسلمون على استعماله فيما بينهم، بل هو وافد من اصطلاحات الغرب ومفاهيمه.

ولكن لا يعدم الباحث التوفيق - بإذن الله - في العثور على جذور هذه الكلمة، فإننا نجد في كتب التراث الإسلامي - القديمة - لفظة «أصوليّ» فقد تأتي في ترجمة بعض العلماء فيقال: «**كان أصوليًا مفسرًا محدثًا فقيهًا متكلمًا**..».

وقد تأتي في سياق المسائل التي فيها خلاف كأن يقال: «**قال الأصوليون، وقال المحدِّثون.. وهكذا**».

وكان هذا اللفظ (أصوليّ) يطلق على مجموعات مختلفة من علماء الإسلام، أشهرها تدل على المشتغلين بثلاثة فروع من العلوم الإسلامية، وهم:

١- علماء أصول الدين (وهو مرادف لعلم الكلام).

٢- علماء أصول الحديث (أي مصطلح الحديث وطرائقه).

٣- علماء أصول الفقه (وهو العلم بمبادئ الفقه الإسلامي).

وأكثر من تطلق عليهم كلمة «أصولى» هم علماء أصول الفقه، حتى إن علم الأصول حينما يطلق يراد به علم أصول الفقه(١).

هذه هي جذور كلمة (أصوليّ).

وعليها نستطيع أن نصبغ مفهوم الأصوليّة على هذا النحو وهو:

الاشتغال بعلم الأصول في مختلف العلوم الشرعية المتعلقة بالكتاب والسنة والفقه المستنبط منها.

---

(١) انظر: دائرة المعارف الإسلامية (لجماعة من المستشرقين) ٣/ ٤٨٢ ط دار الشعب - القاهرة - الترجمة العربية، وانظر: محمد بن علي بن محمد التهانوي الحنفي: كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ١١٦ ط دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

غير أن هذا المفهوم للأصوليّة غير كافٍ - من وجهة النظر التي أطلقت هذا المصطلح - للتعبير عن مدى نشاط حركة الصحوة الإسلامية.

إذ يقول علماء الغرب وخبراؤهم المراقبون للصحوة الإسلامية: «**الأصولية الإسلامية تشير في معناها الواسع إلى تجديد الإسلام في كل من الحياة العامة والشخصية للمسلمين ممثلة في زيادة ممارسة الشعائر الدينية والإكثار من المطبوعات الدينية والبرامج الإعلامية التي تدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وإنشاء البنوك الإسلامية وتطوير التنظيمات الإسلامية وحركات النشطين**»[١].

وربما لو كان هذا هو مفهوم الأصوليّة الإسلامية - فقط - عندهم لكان محمودًا غير مذموم، ولكنهم يلصقون له عبارات أخرى مثل: (النصية) و(الحرفية) و(التطرف) و(الإرهاب) و.. غير ذلك.

٥- بدايات ظهور مصطلح الأصولية الإسلامية:

الصحوة الإسلامية التي تنادي بإحياء ما اندثر من شعائر الإسلام وشرائعه لم يعرف أنها كانت تتخذ كلمة الأصولية اسمًا لها، بل ربما كان (السلفية) أشهر اسم أطلق على هذا التيار الديني، وهو يعني العودة للأصول الصحيحة للإسلام والعمل بها على ما كان عليه سلف الأمة الصالح.

وتعتبر البدايات الأولى لتيار الصحوة الإسلامية هي الحركة الوهابية التي أسسها في نجد الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب النجدي في نحو النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي[٢]، وازداد التيار الإسلامي ظهورًا بعد تردي الأوضاع في أواخر أيام الدولة العثمانية، مما أدى إلى ظهور العديد من حركات الصحوة الإسلامية، فظهر على إثر إلغاء الخلافة الإسلامية جماعة الإخوان المسلمين في عام ١٩٢٨، وجماعة جمعية العلماء المسلمين في الجزائر بقيادة الشيخ/ عبد الحميد بن باديس عام ١٩٣١.. وغير ذلك[٣].

---

(١) انظر: د/ أحمد إبراهيم خضر: الإسلام والكونجرس (حقائق ووثائق حول ما أسماه الأمريكيون بحركة الأصولية الإسلامية) ص ٨ ط دار الاعتصام - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤.

(٢) انظر: د/ سيد حسن مبارك: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته الإصلاحية (بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين بأسيوط) ص ٢١٤ العدد ١٩ سنة ٢٠٠١م.

(٣) انظر - / أحمد سلام: نظرات في نهج الإخوان المسلمين ص ١٢، ١٣ ط مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الثانية ١٤١٣- / ١٩٩٣.

وإن كانت هناك سمة تكاد تكون مشتركة بين حركات الصحوة الإسلامية وهي الدعوة للأصول التي كان عليها السلف، لكن لم يؤثر أن أيًّا من هذه الحركات كان قد اتخذ «الأصولية الإسلامية» عنوانًا للصحوة الإسلامية.

ويرى بعض الباحثين أن فترة السبعينيات من القرن العشرين والتي شهدت عدة أحداث صدرت عن مختلف حركات الصحوة الإسلامية كما شهدت هذه الفترة تنامي الصحوة الإسلامية، وظهور المظاهر الإسلامية كالحجاب واللحية والدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية(١).

تعتبر البداية لشيوع مصطلح الأصولية الإسلامية.

ومما يؤكد هذا ما يقوله أحد الخبراء المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط: «**إن إطلاق اسم الأصوليين على العديد من الناس قد أصبح شائعًا في الكتابات السياسية والصحفية في السنوات الأخيرة، ومع نهاية عام ١٩٨٠م كانت الصحف الأمريكية تنشر الكثير عما نسميه بالمد الناس من الأصولية الدينية**(٢).

وقد غذت وسائل الإعلام الغربي شيوع مصطلح الأصولية الإسلامية متأثرة في ذلك بخلفيتها عن ظاهرة الأصولية النصرانية الموجودة عندهم كما سيأتي الحديث عنها في موضعه.

٦- هل الأصولية الإسلامية تتعارض مع التجديد:

إذا كانت الأصولية الإسلامية بمعنى الدعوة إلى اتباع الأصول والعودة إليها في كل أمر، فإنها لا تتنافى مع التجديد في وجهة النظر الإسلامية.

ذلك أن الإسلام بقيمه وأصوله الثابتة لم يكن عاجزًا يومًا عن الحركة والتقدم والعطاء، بل إن هذه القيم والأصول الأساسية من عقيدة وشريعة وأخلاق كانت هي أقوى الحوافز لإعطاء البشرية قيمة إنسانية أعلى من مفهومها المادي الخالص.

ولعل ما اشتهر في تراثنا الإسلامي بـ (الاجتهاد) هو تجديد، ولكن في ظل ضوابط

---

(١) د/ حسن حنفي الأصولية الإسلامية ص ٨ ط مكتبة مدبولى القاهرة.

(٢) انظر: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ص ١٧٤ مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م.

وأصول تضمن عدم انسلاخ المجدد أو المجتهد من قيمه وأصوله الثابتة، ولقد كان أكابر علمائنا الذين اشتهروا بأنهم أصوليون مجددين مجتهدين.

ورحم الله العلامة ابن حجر - إذ يقول وهو ينعى على الكسالى احتجاجهم بتأخر زمانهم: «**عبارة (ما ترك الأولون للآخرين شيئًا) عبارة العاطلين**»[١].

نعم والله هي كذلك، ورحم الله القائل:

كم ترك الأول للآخر وليس لفضل الله آخر

ولكن أي تجديد ذلك الذي لا يتعارض مع الأصولية الإسلامية؟ إنه التجديد القائم على أصول الإسلام في شتى مناحيه، إنه التجديد الذي يُرى فيه الحاضر الجديد متصلاً بالماضي بكل أصوله وقيمه.

ومن هنا ترفض الأصولية الإسلامية التجديد الذي سماه الغرب بالعصرية أو العصرنة أو التحديث.. أوغير ذلك.

فالرجل العصري - من وجهة نظر دعاة العصرية - رجل لا يرضى بالإسلام دينًا معقولاً لدى العالم أجمع، وهو رجل يحاول أن يفسر الدين والعقيدة تفسيرًا جديدًا يثبت به أنه ليس هناك تعارض بين القيم الإسلامية وقيم الحضارة الغربية.. ولا شك أن العصرية أو العصرنة فكرة غربية خطيرة يراد بها تحريف الأصول الإسلامية لتسويغ الواقع الحضاري القائم بما فيه من مخالفات ومعارضات لمفهوم الإسلام أو مفهوم الدين عامة[٢].

هذا هو موقف الأصولية الإسلامية من التجديد.

أما الأصوليات الأخرى كاليهودية والنصرانية فإنها تعارض التجديد بكل طرائقه على طول الطريق، ولا أدل على ذلك من أن الحركات الأصولية التي قادتها الكنائس في

---

(١) انظر: ابن حجر: هدى الساري.

(٢) انظر: أ/ أنور الجندي: مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام ص ١١٣، ١١٤ ط مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م.

العصور الوسطى كانت تسمى التجديد في العلم والابتكار «هرطقة» وهي كلمة تساوي الكفر .

وسر هذا هو أن تلك أصوليات قامت على أصول زائفة والتجديد والابتكار من شأنه أن يفتق الأذهان وأن يفتحها ، وبالتالي سيقف الجمهور على زيف الأصول التي يُنادَوْن للالتفاف حولها .

* * *

المبحث الثاني

أشهر الجماعات التي تمثل الأصولية الإسلامية

ويشتمل على:

١- مفهوم الجماعة .

٢- مشروعية العمل الجماعي .

٣- أهم سمات وملامح الجماعة المسلمة .

٤- الحركة الوهابية «أو الدعوة السلفية» .

٥- جماعة الإخوان المسلمين .

٦- جماعة التبليغ والدعوة .

٧- جماعة أنصار السنة المحمدية .

٨- جماعة التكفير والهجرة (جماعة المسلمين) .

٩- الجماعة الإسلامية بـ «مصر» .

١٠- حركة طالبان في أفغانستان .

قبل أن أذكر أشهر الجماعات التي مثلت الأصولية الإسلامية لا بد من توضيح عدة أمور هامة:

الأول: مفهوم الجماعة.

الثاني: مدى مشروعية العمل الجماعي.

الثالث: أهم سمات وملامح الجماعة المسلمة.

فأقول وبالله التوفيق:

الأول: مفهوم الجماعة:

هي في معناها اللغوي مأخوذة من الاجتماع وهو ضد التفرق، يقال: جمع الشيء المتفرق فاجتمع، وتجمع القوم من هنا وهنا، والجمع اسم لجماعة الناس(١).

وهذا المعنى اللغوي للجماعة شمل نوعين من الاجتماع، الاجتماع الحسي كاجتماع الأبدان (ومنه اجتماع الناس للجماعة في المسجد وغيره) والاجتماع المعنوي وهو اجتماع الأفكار بحيث تتلاقى ولا تتعارض ومنه قيل الإجماع(٢).

وأما المعنى الشرعي للجماعة: ففيه كلام كثير للعلماء:

فقد قيل: إن الجماعة هي السواد الأعظم، وقيل: أهل العلم لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين، وقيل: الجماعة هم الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره فمن نَكَث بيعته خرج من الجماعة، وقيل: الجماعة هم أهل الإسلام مجتمعين في مقابل أهل الملل والأديان الأخرى(٣).

ورُجِّح أن يكون في معنى الجماعة كل هذه المعاني فتصبح الجماعة: جماعة أهل الإسلام الملتزمون بالكتاب والسنة، وفيهم أهل العلم، مقيمين على طاعة من اجتمعوا على تأميره وأعطوه بيعتهم(٤).

---

(١) انظر محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح ص ١١٠ مادة (جمع) ط دار المعارف - مصر ١٩٧٣م.
(٢) انظر: ابن منظور: لسان العرب ٨/ ٥٥ مادة (جمع).
(٣) انظر: ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣/ ٤٠، ٤١ الشاطبي: الاعتصام ص ٤٥١ ط دار الكتب العلمية - بيروت. محمد بن عبد الرحمن المباركفوري: تحفة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي ٦/ ٣٨٤، ٣٨٥ ط مطبعة الاعتماد - القاهرة.
(٤) انظر: د/ عبد الحميد هنداوي: دراسات حول الجماعة والجماعات ص ٦٠، ٦١.

وعلى هذا المعنى يفهم أن الإسلام لم يعرف التفرقة ولا أن يصبح شيعًا وأحزابًا، وهذا المعنى هو ما أشار إليه العلامة ابن تيمية[١] في منهاج السنة معرفًا للجماعة بقوله: «هم المجتمعون الذين ما فرقوا دينهم وما كانوا شيعًا»[٢].

وهذا ما يثير الدهشة والعجب من بعض الجماعات المختلفة في واقعنا المعاصر، وكيف أن كل جماعة ترى أنها التي على الحق، وترفع شعار الكتاب والسنة، ثم بعد ذلك يتناسون هذا الأصل العظيم من أصول العمل الإسلامي وهو أن الفرقة ليست من الإسلام في شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[٣]. وسنعرض لهذه النقطة بالتفصيل - إن شاء الله - عند الكلام على ترشيد وتوحيد العمل الإسلامي.

الثاني: مدى مشروعية العمل الجماعي:

لقد وردت مجموعة من نصوص الكتاب والسنة تؤكد مشروعية بل ووجوب العمل الجماعي فمن ذلك:

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[٩]. وأثنى على الجماعة المبايعة بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾[١٠].

وقال النبي - ﷺ -: «**يد الله على الجماعة**»[١١]، وقال: «**الزم جماعة المسلمين**

(١) ابن تيمية هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله تيمية الحراش الدمشقي كان يلقب بشيخ الإسلام، تبحر في شتى ألوان المعارف، ولا زال يُعلم ويدرس حتى توفى في عام ٧٢٨ هـ.
(٢) منهاج السنة ٢/ ١٠٢
(٣) الأنعام: ١٥٩
(٤) آل عمران: ١٠٥
(٥) آل عمران: ١٠٣
(٦) الصف: ٤
(٧) الأنعام: ١٥٩
(٨) الأنفال: ٤٦
(٩) المائدة: ٢
(١٠) الفتح: ١٠
(١١) الترمذي: برقم (٢١٦٧) ك الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة.

وإمامهم»[1]، وقال: **«من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية»**[2]، وقال: **«من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»**[3].

حتى في الطعام كان يحث على الجماعة فيقول: **«كلوا جميعًا ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة»**[4].

وتنبأ بهلاك المتفرقين ونجاة الجماعة فقال: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»** وفي بعض الروايات **«هي الجماعة»**[5].

ومن هذه النصوص وأمثالها يتضح التأكيد على مدى شرعية العمل الجماعي.

الثالث: أهم سمات وملامح الجماعة المسلمة:

الجماعة المسلمة لها عدة سمات وملامح امتازت بها على مر التاريخ، فميزتها دون غيرها من أدعياء التمسك بالكتاب والسنة.

ويمكن عدّ أهم هذه السمات والملامح فيما يلي:-

١- الجماعة المسلمة هي التي تجمع الدين علمًا وعملاً، ظاهرًا وباطنًا. ويتمسكون بالإسلام الخالص الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، وحفظه عنه صحابته الكرام.

٢- والجماعة المسلمة أهلها يتفقون على أن حقيقة الإيمان تصديق الخبر، وانقياد للأمر، وإن من لم يكن في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر، كما يتفقون على أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وله أصل وفروع، وأنه لا يزول إلا بزوال أهله، كما

---

(١) البخاري بشرح ابن حجر ٧٠٨٤ ك الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ١٣/ ٤٤.

(٢) الإمام أحمد: المسند ٦/ ٢١، والألباني في الصحيحة برقم (٩٨٣).

(٣) البيهقي/ السنن الكبرى: ك قتال أهل البغي، باب ما جاء في قتال أهل البغي والخوارج ٨/ ١٦٩.

(٤) سنن ابن ماجه: حديث رقم (٣٢٨٧) ك الأطعمة، باب الاجتماع على الطعام ٢/ ١٩٣ ط عيسى البابي الحلبي (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي) القاهرة ١٩٥٣§

وقال البوصيري في الزوائد (١٩٨) هذا إسناد ضعيف وله شاهد في سنن أبي داود وصحيح ابن حبان.

(٥) الإمام أحمد: المسند ٤/ ١٠٢ ط المكتب الإسلامي - بيروت -، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٢٠٤.

يتفقون على ألا يكفِّروا أحدًا إلا إذا ارتكب ما حكم الله ورسوله على مرتكبه بالكفر مع تحقق الشروط وانتفاء الموانع، ولذلك فهم لا يكفِّرون أحدًا بمطلق المعاصي، ولا ينفون عن العصاة صفة الإيمان بالكلية، ولا يخلدونهم في النار كما تقول المعتزلة، بل يقولون هم في مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم، كما يتفقون على جواز اجتماع الثواب والعذاب في حق كثير من الناس، ولا يشهدون لأحد مُعيّن بالجنة إلا بدليل خاص يدل على ذلك(١).

٣- والجماعة المسلمة تؤمن بجميع الأنبياء والرسل ولا يفرقون بين أحد منهم، ويعتقدون ختم محمد ﷺ للرسالات، وأنهم أفضل الخلق أجمعين، وأن من فضل عليهم أحدًا ممن سواهم كفر بإجماع المسلمين(٢).

٤- والجماعة المسلمة تؤمن باليوم الآخر، وبكل ما صح ذكره عن النبي ﷺ من علامات الساعة، ومما يكون بعد الموت من فتنة القبر، والبعث والحساب والميزان والشفاعة والحوض والصراط والجنة والنار، ونحوه(٣).

٥- والجماعة المسلمة تؤمن بالقدر وأنه من الله تعالى، وأن القدر الذي يأتي والذي يرد هو من عند الله، ويرفضون التوسع في مباحثه(٤).

٦- والجماعة المسلمة تؤمن بمعجزات الأنبياء - عليهم السلام - الحسي منها وغير الحسي، وبكرامات الأولياء وما يُجري الله على أيديهم من خوارق العادات في حال حياتهم لا بعد مماتهم، وبشرط التزامهم بأوامر الشرع ونواهيه(٥).

٧- والجماعة المسلمة يجمعون على الغزو والجهاد مع كل برٍّ وفاجر لأن من أصولهم الشرعية تحقيق أكمل المصلحتين، ودفع أعظم المفسدتين، وفي الغزو مع الولاة الفجار دفع لأعظم الضررين، وإقامة لأكثر شرائع الإسلام لأنه لا بد من أحد أمرين إما ترك الغزو معهم فيكون استيلاء الآخرين وهم أعظم ضررًا في الدين والدنيا،

---

(١) انظر: محمد عبد الهادي المصري: أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ص ٩١، ٩٢ ط دار الإعلام الدولي - القاهرة.
(٢) انظر د/ عبد الحميد هنداوي: دراسة حول الجماعة والجماعات ص ٧١.
(٣) المرجع السابق ص ٧١.
(٤) انظر: أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ص ٩٠.
(٥) المرجع السابق ص ٩٥.

وإما الغزو معهم فيحصل بذلك دفع أعداء الإسلام، كما أن الجماعة المسلمة ترى جواز قتال من خرج على شريعة الإسلام وإن تكلم بالشهادتين(١).

٨- والجماعة المسلمة في تعاملها مع المخالف تقبل الخلاف في موارد الاجتهاد التي أثر الخلاف فيها عن السلف الصالح، دون أن يحكموا بتضليل المخالف أو بتبديعه، وذلك كنزاعهم في رؤية النبي - ﷺ - ربه في ليلة المعراج، وفي تكفير تارك الأركان الأربعة، وفي كثير من مسائل العبادات والمعاملات، كذلك في تعاملها مع المخالف من أهل البدع فتتفاوت درجة التعامل بحسب المصلحة أو المفسدة، فحيث كان الهجر أنفع عاملوهم به، وحيث كان التأليف أنفع عاملوهم به، كما أنهم يفرقون في معاملة أهل البدع بين الرؤوس والعامة وبين المستتر ببدعته وبين المجاهر بها أو الداعي إليها، فرؤوس أهل البدع والمجاهرون بها يُنكر عليهم ويُهجَرون، والعامة توكل سرائرهم إلى الله تعالى(٢).

٩- والجماعة المسلمة تحرص على تأليف القلوب وجمع الكلمة وصلاح ذات البين(٣).

١٠- والجماعة المسلمة أهلها هم خير الناس للناس، يبذلون الإحسان والرحمة بلا عوض، ويدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى(٤).

١١- والجماعة المسلمة تعادي وتوالي على أساس الإيمان، فمن كان مؤمنًا وجبت موالاته، ومن كان كافرًا وجبت معاداته، ومن كان فيه إيمان وفجور أعطى من الموالاة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره(٥).

١٢- الجماعة المسلمة هم أهل التوسط والاعتدال، لا يعرفون المغالاة في الأمور، ولا يحبون الإفراط ولا التفريط.(٦)

---

(١) أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ص ٩٥، ٩٦ بتصرف.
(٢) المرجع السابق ص ٩٧، وانظر: دراسات حول الجماعة والجماعات ص ٧٣، ٧٤.
(٣) انظر: المرجعين السابقين على التوالي (ص ٨٥)، (ص ٧٤).
(٤) أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ص ٧٩.
(٥) المرجع السابق ص ٨٣.
(٦) انظر: د/ صلاح الصاوي: جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها ص ٣٣- ٣٧ ط دار الطباعة والنشر الإسلامية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ/.

وبعد/ فهذه أهم سمات وملامح الجماعة المسلمة الملتزمة بأصول الشرع الشريف، وما ذكرتها إلا ليحاول القارئ المسلم تحديد الصورة المثلى للجماعة المسلمة، ويحاول أن يقرر فيما يرى ويعايش من أحداث وأفعال الجماعات الإسلامية المعاصرة هل لو وزنت بميزان أهل السنة والجماعة وقيست بمقاييسهم تصح أن تكون طريقة مثلى في الحفاظ على أصول الدين، وتوحيد أهله، ورفع لوائه؟

والآن: أشرع في ذكر أشهر الجماعات التي مثلت الأصولية الإسلامية وسيكون مجرد عرض لتأسيس كل جماعة ومبادئها وإيجابياتها وسلبياتها.

الرابع: الحركة الوهابية (أو الدعوة السلفية):

تنسب هذه الحركة إلى الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب النجدي[(١)]، وهي دعوة تنادي بالرجوع إلى هدى السلف الصالح - رضوان الله عليهم - وقد خرجت هذه الدعوة في ظروف كان العالم الإسلامي فيها- بدون استثناء - يعاني من الجمود والتخلف الفكري، وكان قد شاع بصورة خطيرة بين الناس التبرك بقبور الصالحين، وآثارهم، واعتقدوا فيهم النفع والضرر من دون الله تعالى.

فهال الشيخ ما رأى من فعل المسلمين الموحدين لهذه الأمور البدعية والشركية، فقام يدعو إلى العودة إلى الإسلام في بساطته الأولى وطهارته ونقائه، وكثر أتباعه ومريدوه، حتى كان منهم الأمير محمد بن سعود الذي حكم خلال الفترة (١١٣٩ - ١١٧٩ هـ)، والذي كان محبًا للشيخ وكان له خير عون[(٢)].

وانطلقت الدعوة السلفية خارج الجزيرة العربية، فقد كانت تنتقل مع وفود الحجيج في كل عام، فانتشرت انتشارًا واسعًا في شتى الأقطار، حتى قال الزركلي في الأعلام:

«كانت دعوته - أي الشيخ: محمد بن عبد الوهاب - الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله، فقد تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام.. وغيرها،

---

(١) هو: الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ/ ١٧٠٣ - ١٧٩١م) ولد ببلدة العينية قريبًا من الرياض، وتلقى علومه الأولى على يد والده، حفظ القرآن وعمره عشر سنين، وتأثر بالمذهب الحنبلي، ثم تنقل بين العلماء يحصل العلم، وله مؤلفات عديدة أشهرها كتاب التوحيد. انظر: الشيخ/ أحمد ابن حجر: كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص ١٦ وما بعدها. ط دار الاعتصام - القاهرة.

(٢) مانع بن حماد الجهيني وآخرون: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ١٦٤ ط دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثالثة - ١٤١٨ هـ.

وعرف من والاه وشد أزره في قلب الجزيرة بأهل التوحيد»[١].

وكان الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب شديد الغيرة عالى الحماس حتى إنه كان ينزل إلى القبور وقباب الأضرحة فيهدمها هو وتلاميذه، وينهى الناس عن زيارتها بالطريقة البدعية التي يأتونها في فعالهم[٢].

وقد جرَّ هذا الحماس على الشيخ ودعوته حقد الحاقدين مما دفعهم للتآمر على قتله أكثر من مرة، إضافة إلى مناوئة المناوئين الذين جعلوا يبثون عن تلك الدعوة الأباطيل ويحاربونها، ولا زالت هكذا تلقى العنت حتى أيدها الله تعالى بجماعة من أمراء آل سعود[٣] كان أولهم الأمير محمد بن سعود، ثم ابنه عبد العزيز بن محمد، ثم ابنه سعود ابن عبد العزيز بن محمد بن سعود، وهكذا استوعبت القاعدة العريضة من أهل نجد وبلغت قمة السلطة مع الحكم السعودي في بلدان مكة المكرمة والمدينة المنورة، ثم انتشرت حتى عمَّت وعمَّ سلطانها جميع أرجاء المملكة العربية السعودية، حتى إن بعض الباحثين في شئون الدعوات الإصلاحية يرون أن الحركة الوهابية (أو الدعوة السلفية) هي الدعوة الإصلاحية الوحيدة في العصر الحديث التي استطاعت أن تؤسس دولة تحكم بالإسلام[٤].

أهم مبادىء وأصول الحركة الوهابية:

١]- أكدت تلك الحركة على ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة وإحياء ما اندرس من مذهب أهل السنة والجماعة، واعتماده في فهم الدليل والبناء عليه.

٢]- العمل على تنقية التوحيد لدى المسلمين ومطالبتهم بالرجوع إلى ما كان عليه سلف الأمة في الصدر الأول للإسلام.

٣]- العمل على القضاء على البدع والخرافات بشتى صورها.

---

(١) خير الدين الزركلي: الأعلام ٧/ ١٣٧ ط دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٩.
(٢) انظر: الموسوعة الميسرة ١/ ١٦٥.
(٣) وفي مثل هذا يُذكر حديث النبي ﷺ: ((إن الله ليزغ بالسلطان ما لا يزغ بالقرآن)) أي يغير بالسلطان ما لا يغير بالقرآن!!
(٤) انظر: الموسوعة الميسرة ١/ ١٦٥، ١٦٦.

٤]- العمل على إحياء فريضة الجهاد بين المسلمين.

٥]- التصدي لشطحات الطرق الصوفية وما أدخلوه على الدين مما لم يكن فيه من قبل.

٦]- محاربة الطواغيت، والطاغوت - عندهم - ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع، ورؤوس الطواغيت خمسة: «**إبليس لعنه الله، ومن عُبد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة النفس، ومن ادعى شيئًا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله**». ولا يصير الإنسان مؤمنًا إلا إذا كفر بالطاغوت.

٧]- العمل على إيقاظ الأمة الإسلامية فكريًا، وكشف ظلمات التخلف والخمول والتقليد الأعمى عنها.

٨]- العناية بتعليم العامة وتثقيفهم، وتفتيح أذهان المثقفين منهم، ولفت أنظارهم إلى البحث عن الدليل ودعوتهم إلى التنقيب في بطون الكتب والمراجع قبل قبول أية فكرة فضلاً عن تطبيقها(١).

وقد جاءت صياغة تلك المبادئ من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - كردّ فعل لحالة التردي التي هوت إليها الأمة في ذلك الوقت.

ولا نزال نلمح من تلك المبادئ الكثير في حركات الصحوة الإسلامية التي برزت إلى صفحة الوجود فيما بعد.

ويلاحظ أن هذه المبادئ فيها شيء من القصور عن شمول الإسلام، وإغفال لبعض جوانبه الأخرى التي تتعلق بالاجتماع والسياسة والاقتصاد - مثلاً - ولكن بنظرة إلى واقع أتباع تلك الدعوة في المملكة العربية السعودية يلاحظ أن أتباع الحركة قد أخذوا على عاتقهم أعباء تلك الميادين فأنشأوا الجمعيات الإغاثية والدعوية في كثير من بلاد

---

(١) انظر: الشيخ/ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ص ٢٦٥، ٢٦٦ ط مكتبة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧م تحقيق محمد حامد الفقي، وانظر: محمد بن عبد الملك السبيعي: تبصير الأذهان ببعض المذاهب والأديان ص ٢٩- ٣١ ط مطبعة سفير - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

وانظر: الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب: الأصول الثلاثة ص ٩٣ وما بعدها - ط مطبعة سفير - الرياض - الطبعة الثالثة ١٤١٥ هـ بتعليق وتحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي.

العالم.

كما يلاحظ أيضًا أن شدة بعض أفراد الحركة في تغيير المنكر ومحاربة البدعة قد تجاوزت الحد مما أساء لدى كثير من الناس فهم هذه الحركة، حتى إن البعض منهم كلما رُأى ملتحٍ سموه «إرهابيًا» أو «سلفيًا» أو «سنيًا» وهم يريدون من تلك التعبيرات أن هذه الدعوة دعوة التشدد والتزمت.

٥- جماعة الإخوان المسلمين:

يرجع تأسيس جماعة الإخوان المسلمين تاريخيًا إلى شهر ذي القعدة عام ١٣٤٧ هـ/ مارس عام ١٩٢٨م، على يد مؤسسها الأستاذ/ حسن البنا[١].

وقبل التأسيس كانت هناك ظروف يمر بها المجتمع المصري الإسلامي، تعد من أحلك الظروف، فقد كانت تلك الفترة هي التي توالت فيها انتكاسات عظيمة على الإسلام، كان من أفظعها، إسقاط الخلافة الإسلامية، التي كانت - على عجزها - بمثابة الرمق الأخير في جسد الوحدة الإسلامية.

كما عمت تلك الفترة حالة من الخواء والفراغ الديني الذي أصبح المسلمون معه عاجزين عن تحديد أهدافهم، والتعبير عن شخصياتهم وهويتهم، فكان الشيخ/ البنا يسعى لنفخ الروح الإسلامية في المسلمين، حتى إنه لما كان يوجه دعوته من خلال المسجد ورأى مدى إعراض الناس عن الدين، خرج إلى المقاهي، فعرف كثيرون

(١) حسن البنا هو: حسن أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي من مواليد قرية المحمودية بالبحيرة عام ١٩٠٦، كان والده معروفًا بسعة علمه، وحسن أخلاقه، حافظًا للقرآن مجودًا، ألف العديد من الكتب في علم الحديث، بدأ البنا تعليمه في مدرسة الرمشاد الدينية فحفظ القرن وبعض الأحاديث وقد بدأ حياته ملتحقًا بطريقة من الطرق الصوفية تسمى الحصافية، وألف معها جمعية خيرية كانت تقوم بنشر الأخلاق الفاضلة ومحاربة البعثات التبشيرية ثم التحق البنا بمدرسة المعلمين وتخرج منها عام ١٩٢٣م، ثم التحق بدار العلوم وتخرج منها عام ١٩٢٧م، ثم عين مدرسًا في الإسماعيلية، فبدأ يوسع نشاطه في الدعوة حتى إنه كان ربما يرتاد حتى المقاهي وقد لاقت دعوته رواجًا واسعًا، ولعل أهم عوامل التوفيق في دعوته بعد فضل الله عليه، هو ما كان عليه من خلق حميد وصدق حتى يقول أنور السادات عنه: ((.. كان ممتازًا في اختياره للموضوعات، وفهمه للدين وشرحه وإلقائه.. من كل النواحي كان الرجل مؤهلاً للزعامة الدينية.. هذا بجانب أنه كان مصريًا بارًا بكل ما تحمله الكلمة من دماثة خلق وسماحة وبساطة في معاملة الناس.. كان الرجل يتحدث عن الدين والدنيا معًا وبأسلوب جديد لم نألفه من رجال الدين)).
انظر: د/ أحمد ربيع عبد الحميد/ الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين ص ٦١- ٦٣ ط دار التوفيق النموذجية - الناشر مكتبة وهبة - القاهرة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ .

دعوته، وانجذبوا نحوه، حتى جاءه في ذات يوم ستة نفر من هؤلاء الذين رأوا صدق لهجته في دعوته، وهم (حافظ عبد الحميد - وأحمد الحصري - وفؤاد إبراهيم - وعبد الرحمن حسب الله - وإسماعيل عز - وزكي المغربي)، وجعلوا يحدثونه ويسألونه عن الطريقة العملية لعزة الإسلام، ويُحمِّلونه مسئولية العمل والقيادة والتوجيه، وتبايعوا جميعًا على أن يعملوا للإسلام والمسلمين، وقال أحدهم: بم نسمى أنفسنا؟ أجمعيةً، أوناديًا، أو طريقةً، أو نقابةً؟ فرد عليه الشيخ/ حسن البنا قائلاً: لا هذا ولا ذاك، دعونا من الشكليات والرسميات، وليكن أول اجتماعنا وأساسه الفكرة، والمعنويات والعمليات، نحن إخوة في خدمة الإسلام، فنحن الإخوان المسلمون(١).

وهكذا غرست البذرة الأولى لجماعة الإخوان المسلمين في أرض طيبة من هذه القلوب الستة، آمنوا وعاهدوا الله على الجهاد في سبيله.

ومن تلك اللحظة انطلق البنا يعمل لدعوته صامتًا في غير ضوضاء ولا ضجيج، ولا دياعة ولا تهريج فسارت الدعوة في طريقها تكسب كل يوم مزيدًا من الأنصار والجنود.. ولم يترك البنا قرية ولا كفرًا إلا زاره واجتمع بأهله وكان صدقه وتواضعه الطبيعي غير المصطنع يمكن له في القلوب، ويقيه - بفضل الله.. استثارة الحاسدين والحاقدين المحطمين الذين لا يريدون أن يرتفع صوت غير صوتهم(٢).

وفي خلال سنتين من تأسيس الجماعة اتسعت دائرتها، فأصبح لها شعبة في أبي صوير، وشعبة في البلاح، وشعبة في بورسعيد، وبعد ثلاث سنوات، أصبح لها شعبة في السويس، وبعد أربع سنوات أصبح لها نحو من عشرة فروع، ومعهد في الإسماعيلية لتربية البنات وإعدادهن ليكُن أخوات مسلمات(٣).

وبعد خمس سنوات من تأسيس الجماعة بالإسماعيلية، انتقل الأستاذ/ البنا إلى القاهرة (عام ١٩٣٣) ودخلت الجماعة طورًا جديدًا، وإن ظلت دعوته سائرة على النهج السابق من كتمان وإسرار.. وتجميع للأنصار وتأسيس لفروع بحذر وصمت، حتى إنها

---

(١) انظر: د/ محمد شوقي زكي: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ص ٢٠، ٢١ ط دار الطباعة والنشر الإسلامية - القاهرة ١٩٩٠.

(٢) انظر: روبيد جاكسون: حسن البنا - الرجل القرآني ص ٥ - ترجمة/ أنور الجندي - ط المختار الإسلامي - القاهرة ١٩٧٧.

(٣) د/ محمد شوقي زكي: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ص ٢٣.

انتشرت في خمسين بلدًا من بلد القطر المصري بعد عام واحد من انتقال الشيخ إلى القاهرة[١].

وفي نحو سنة ١٩٣٥ دخلت جماعة الإخوان الميدان السياسي، فأرسل البنا إلى الملك فاروق وإلى ملوك ورؤساء الدول العربية وحكام بلدان العالم الإسلامي وكثير من زعمائها الدينيين والسياسيين - رسالة عنوانها (نحو النور) يدعوهم فيها إلى طريق الإسلام وأصوله وقواعده وحضارته ومدنيته، ونبذ طريق الغرب ومظاهر حياته، وبين لهم خصائص كل من الطريقين، ووضح لهم أن الإسلام كفيل بإمداد الأمة الناهضة بكل ما تحتاج إليه . . وينتهي بالدعوة إلى أن يكونوا أول من يتقدم باسم رسول الله ﷺ بقارورة الدواء واستنقاذ العالم المريض[٢].

ومنذ ذلك الوقت دخلت جماعة الإخوان في صدام مع أكثر من حكومة، بدأت بحكومة (حسين سري) التي تشكلت في نوفمبر عام ١٩٤٠، وكان أول ما فعلته أن صادرت صحف الجماعة، ومنعت اجتماعاتهم، وأغلقت مطبعتهم[٣].

ثم وزارة مصطفى النحاس، والتي رشح البنا نفسه عن دائرة الإسماعيلية في البرلمان إبَّانها ولكن النحاس طلب منه أن ينسحب في مقابل السماح للجماعة بعقد اجتماعاتها وإصدار مطبوعاتها، وأن تتخذ الحكومة الإجراءات اللازمة لحظر المشروبات الكحولية[٤].

ثم صدر قرار عسكري في ٨ ديسمبر ١٩٤٨ بحل جماعة الإخوان وشعبها، وذلك تحت الضغط الأجنبي على الحكومة المصرية - وقتها[٥].

حتى كان مقتل الإمام المؤسس في ١٢ فبراير ١٩٤٩م أمام دار الشبان المسلمين. ثم

(١) انظر الأستاذ/ حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ص ١٣٩ ط دار الشهاب - القاهرة ١٩٧٧.
(٢) د/ محمد شوقي زكي: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ص ٢٥.
(٣) انظر: إسحاق موسى الحسين: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة ص ٢٦ ط - دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٢.
(٤) د/ أحمد ربيع عبد الحميد: الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين ص ٧١ ط دار التوفيق النموذجية - الناشر مكتبة وهبة القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨٤.
(٥) رفعت السعيد: حسن البنا. . متى. كيف. ولماذا؟ ص ١٤٣ ط مكتبة مدبولي - القاهرة ١٩٧٧.

تولى الأستاذ/ حسن الهضيبي[(١)] مرشدًا عامًا لجماعة الإخوان، ثم تولى الأستاذ/ عمر التلمساني مرشدًا للجماعة في ١٩٧٣م[(٢)].

وقد امتازت جماعة الإخوان بأنها كانت ذات هيكل إداري منظم، يستطيع الإشراف على كل أفرع الجماعة بكافة أنشطتها، وله نظمه وضوابطه[(٣)].

أهم مبادىء جماعة الإخوان المسلمين:

ولقد حدد الشيخ/ البنا مبادئ جماعته في رسائله وعلى وجه التحديد في رسالة «**التعاليم**» وملخصها:

أن المبادىء العامة للجماعة عشرة:

١- الفهم: ويقصد به أن يفهم الإخوان المسلمون أن فكرتهم إسلامية صحيحة، وأن يفهموا الإسلام على أنه نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا، وأن الكتاب والسنة مرجع كل مسلم في معرفة أحكام الإسلام، وأن الطريق إلى فهم القرآن لغة العرب، وأن الطريق إلى السنة رجال الحديث الثقات، وأن الإيمان الصادق والعبادة الصحيحة نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده، وأن الإلهام والخواطر والرؤى ليست من أدلة الأحكام، والتمائم والكهانة والودع وادعاء معرفة الغيب منكر يجب أن يزول، وأن رأى الإمام ونائبه معمول به ما لم يصطدم بنص، وأن كل واحد يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم ﷺ، وأن لا يعرضوا للأشخاص فيما اختلف فيه بطعن وأن يكلوهم إلى نياتهم، وأن على كل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إمامًا من أئمة الدين، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوبٍ بالدليل، وأن يستكمل نقصه

---

(١) حسن الهضيبي هو: من مواليد القليوبية عام ١٨٩١م حصل على ليسانس الحقوق عام ١٩١٥م، عمل بالمحاماة ثم التحق بالسلك القضائي عام ١٩٢٤ وتدرج به حتى وصل إلى درجة مستشار بمحكمة النقض، بدأ اتصاله بالدعوة ولقاؤه بالشيخ/ حسن البناء في عام ١٩٤٣، ولي مرشدًا عامًّا للإخوان في ١٧/ ١٠/ ١٩٥١، وتوفى في ١٤ شوال عام ١٣٩٣ هـ/ ١١ نوفمبر ١٩٧٣ . انظر كتاب: مائة موقف من حياة المرشدين لجماعة الإخوان المسلمين: لمحمد عبد الحليم حامد ص ٧٢، ٧٣ ط دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) انظر د/ محمد شوقي زكي: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ص ٣٧، ٤٢.

(٣) انظر العرض التفصيلي للهيكل الإداري في كتاب ((الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ص ١٢٩ - ١٣١)).

ليصبح من أهل النظر، وأن الخلاف الفقهي لا يكون سببًا للتفرقة في الدين، بل يجب التفاهم فيه في ظل الحب والإخاء، وكل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها ضرب من التكلف المنهى عنه، وآيات الصفات وأحاديثها نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل، وأن كل بدعة في الدين بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها، وأن الأولياء هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، فضلاً عن أن يهبوا أشياء من ذلك لغيرهم، وزيارة القبور سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن تشييدها أو الاستعانة بأصحابها كبائر تجب محاربتها، والعرف الخاطئ لا يغير من حقائق الألفاظ الشرعية، والعقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة، والإسلام يحرر العقل ويحث على العلم والنظر في الكون، ويجعل الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها، وأن النظر الشرعي مقدم على النظر العقلي، وأنه لا يمكن أن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة، وأن لا يكفَّر مسلم أقر بالشهادتين - وعمل بمقتضاهما - برأي أو معصية.

٢- الإخلاص: ويقصد به إخلاص كل عضو عمله لله تعالى.

٣- العمل: ويقصد به أن يعمل العمل ضمن مراتب العمل المقررة في الجماعة.

٤- الجهاد: ويراد به تلك الفريضة الباقية إلى يوم القيامة بمراتبها الثلاث القلب واللسان واليد.

٥- التضحية: وتعني بذل كل منتمٍ إلى الجماعة ماله ونفسه وكل شيء في سبيل الغاية وتحقيق الهدف.

٦- الطاعة: ويراد به امتثال العضو الأمر وإنقاذه في العسر واليسر والمنشط والمكره.

٧- الثبات: ويقصد به الصبر على الدعوة مهما طال الوقت وكثرت المحن.

٨- الأخوَّة: فلا بد أن ترتبط الجماعة برباط العقيدة، وأن يرى كل واحد أخاه أولى من نفسه.

٩- التجرد: بمعنى تجرد العضو لدعوته وجماعته عمن سواها.

١٠- الثقة: ويقصد به اطمئنان العضو إلى قيادة الجماعة وكفاءتها(١).

ولا شك أن هذه المبادئ بمثابة خطة متكاملة للعمل على بصيرة، وحق للأستاذ أبي الحسن الندوي أن يقول في تلك الجماعة: «- لقد نجح - أي الشيخ البنا - في تكوين حركة إسلامية يندر أن تجد في دنيا العرب خاصة، حركة أوسع نطاقًا، وأعظم نشاطًا، وأكبر نفوذًا، وأعظم تغلغلاً من أحشاء المجتمع، وأكثر استحاذة على النفوس، إنها الدعوة التي أعادت إلى الجيل الجديد في العالم العربي الثقة بصلاحية الإسلام، وخلود رسالته، وأنشأت في النفوس والقلوب إيمانًا جديدًا، وقاومت مركب النقص في نفوسهم، والهزيمة الداخلية التي لا هزيمة أشنع وأكبر خطرًا منها»(٢).

موقف جماعة الإخوان المسلمين من الجماعات الأخرى:

لقد رسم الإمام البنا علاقة جماعة الإخوان بغيرها من الجماعات حيث قال:

«نحن أيها الناس - ولا فخر - أصحاب رسول الله - ﷺ، وحملة رايته من بعده، ورافعوا لوائه كما رفعوه، وناشروا لوائه كما نشروه، وحافظوا قرآنه كما حفظوه، والمبشرون بدعوته كما بشروا، ورحمة الله للعالمين ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾»(٣).

أيها الإخوان المسلمون هذه منزلتكم، فلا تصغروا في أنفسكم، فتقيسوا أنفسكم بغيركم، أو تسلكوا فى دعوتكم غير سبيل المؤمنين، أو توازنوا بين دعوتكم التي تتخذ نورها من نور الله، ومنهاجها من سنة رسول الله ﷺ بغيرها من الدعوات التي تسوغها الضرورات، وتذهب بها الأيام والحوادث، لقد دعوتم وجاهدتم، ولقد رأيتم ثمار هذا المجهود الضئيل أصواتًا تهتف بزعامة رسول الله، وهيمنة نظام القرآن، ووجوب النهوض والعمل، وتخليص الغاية لله، ودماء تسيل من شباب طاهر كريم في سبيل الله، ورغبة صادقة للشهادة في سبيل الله، وهذا نجاح فوق ما كنتم تنتظرون، فواصلوا جهودكم، واعملوا والله معكم، ولن يَتِرَكم أعمالكم، فمن

(١) انظر: حسين بن محسن بن علي بن جابر: الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٣٣٤- ٣٣٦ ط دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصور - الطبعة الرابعة ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠، وانظر: جمعة أمين عبد العزيز: الدعوة قواعد وأصول ص ٣١- ٣٣.

(٢) انظر التقدمة التي كتبها الشيخ الندري لـ((مذكرات الدعوة والداعية)) للشيخ حسن البنا، ط دار الشهاب - القاهرة ١٩٧٧.

(٣) ص ٨٨.

تبعنا الآن فقد فاز بالسبق، ومن تقاعد عنا من المخلصين فسيلحق بنا غدًا، وللسابق عليه الفضل، من رغب عن دعوتنا زهادة أو سخرية بها أو استصغارًا لها، أو يائسًا من انتصارها فستثبت له الأيام عظيم خطئه، وسيقذف الله بحقنا على باطله فيَدْمغه فإذا هو زاهق، فإلينا إلينا أيها المؤمنون العاملون والمجاهدون المخلصون فهنا الطريق السوي والصراط المستقيم، ولا توزعوا القوى والجهود. .»(١).

ويقول في مذكرات الدعوة والداعية:

«موقفنا من الدعوات في هذه البلد، دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية، بناء على طبيعة دعوتنا، موقف واحد على ما أعتقد، نتمنى لها الخير جميعًا، وندعو لها بالتوفيق، وإن خير طريق نسلكها ألا يشغلنا الالتفاف إلى غيرنا عن الالتفات إلى أنفسنا. . وستسمعون أن قومًا يريدون أن يتصلوا بكم وأن تتصلوا بهم، من أهل العمل إما صادقين، وإما غير صادقين، فأحب أن أقول لكم هنا بكل وضوح إن دعوتكم هذه أسمى دعوة عرفتها الإنسانية، وإنكم ورثة **الرسول ﷺ وخلفاؤه على قرآن ربه، وأمناؤه على شريعته، وعصابته التي وقفت كل شيء على إحياء الإسلام، في وقت تصرفت فيه الأهواء والشهوات، وضعفت عن هذا العبء الكواهل، وإذا كنتم كذلك فدعوتكم أحق أن يأتيها الناس، ولا تأتي هي أحدًا، وتستغني عن غيرها، إذ هي جماع كل خير، وما عداها لا يسلم من النقص، إذن فأقبلوا على شأنكم ولا تساوموا على منهاجكم، واعرضوه على الناس في عز وقوة؛ فمن مدَّ لكم يده على أساسه فأهلاً ومرحبًا في وضح الصبح وفلق الفجر وضوء النهار، أخ لكم يعمل معكم، ويؤمن إيمانكم، وينفذ تعاليمكم، ومن أبى ذلك فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه»(٢).**

وهكذا نرى أن موقف جماعة الإخوان من بقية الجماعات، موقف محمود حيث هي لا تكفر غيرها ولا تحكم عليهم بالخروج من الملة، بل تتمنى لهم الخير، وتدعو لهم بالتوفيق.

هذا هو ظاهر الموقف، ولكن لو تابعناه من خلال الأقوال السابقة للإمام لوجدنا

---

(١) الشيخ/ حسن البنا: مجموعة الرسائل ص ١٩٨ ط دار الطباعة والنشر الإسلامية - القاهرة ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.
(٢) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٣١، ٢٣٢.

أنهم يرون أن جماعتهم قد بلغت الكمال، وما عداها لا يسلم من النقص، وأنها أحق أن يأتيها الناس ولا تأتي هي أحدًا.

أقول: وهذا الكلام خطير في بابه، لأن الكمال البشري ما حازه إلا جماعة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة وأتم التسليم!!

وأنت ترى هذا الموقف ليس في فكر الإمام البنا وحده، بل تجده في فكر الهضيبي والتلمساني ومصطفى مشهور الذي يقرر في تساؤلاته على الطريق أنه إذا تساوت جماعتان في خطة العمل (الفهم الصحيح وإقامة الدولة - والتنفيذ العملي - وشمول الدعوة) وكانت إحداهما ذات خبرة وتجربة في مجال الدعوة والأخرى في أول الطريق، فالعمل مع الجماعة الأولى أولى، حفظًا للأرواح والوقت، ثم يقول:

«وهذه الصفات بحمد الله متحققة في جماعة الإخوان المسلمين، فقد حرص الإمام الشهيد على العودة بالفهم للإسلام إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ والسلف الصالح، وجعل الفهم هو الركن الأول من أركان البيعة، ووضع له أصولاً عشرين، كإطار يحمي هذا الفهم السليم من الخطأ والانحراف والاجتراء على البدع، كما أن هذا الفهم من شأنه أن يجمع المسلمين ويبعدهم عن مجالات الخلاف التي مزقتهم»[(١)].

ورغم هذا الموقف السمح لجماعة الإخوان من الجماعات الأخرى، فإن الصفوف لم تخلُ من سقيم الفهم، محدود الفكر قاصر النظر، ولعل مما يؤكد هذا خروج جماعة التكفير أو فتنة التكفير من صفوف جماعة الإخوان.

٦- جماعة التبليغ والدعوة:

تأسست جماعة التبليغ في القارة الهندية بمديرية سها رفنور، بعد أن انكشف لمؤسسها طريقة التبليغ في الدعوة، ومما ألقى في روعه في المنام من تفسير قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[(٢)] إن معنى أخرجت أي تخرج للسياحة وتبليغ الناس الدعوة الإسلامية، فمن يومها كانت جماعة التبليغ، وكانت تلك الرؤيا الملقاة في روع مؤسسها خطتها في الدعوة إلى الله - تعالى -، ومؤسسها محمد إلياس بن

---

(١) الأستاذ/ مصطفى مشهور: تساؤلات على الطريق ص ٢٥- ٣٠ ط دار الطباعة والنشر الإسلامية - القاهرة.

(٢) آل عمران: ١١٠.

الشيخ محمد إسماعيل الحنفي الكاندهلوي[(١)].

أهم مبادىء جماعة التبليغ:

١- القول بوجوب التقليد وفرضيته، لأن شروط الاجتهاد التي شرطها السلف مفقودة في العلماء اليوم.

٢- لا ترى الجماعة النهي عن المنكر بحال من الأحوال معللين ذلك أن المرحلة عندهم هي إيجاد الجو الصالح فيمن استجاب بالدخول في جماعتهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المعرقلات لهذه المرحلة.

٣- التصوف هو الطريق لإيجاد التعلق بالله وحلاوة الإيمان، وهو المقياس الذي تقيس به الجماعة مقدار التزام العضو فيها.

٤- لا يجيزون الخروج عن الأصول الستة التي حددها لهم محمد إلياس، وهي (الكلمة الطيبة لا إله إلا الله - إقامة الصلوات - العلم والذكر - إكرام كل مسلم - الإخلاص - النفر في سبيل الله)، ويعتبرون الخروج عن هذه الأصول خروجًا على خطة الجماعة.

٥- يفرقون بين الدين والسياسة، فلا يحق لأحد من أفرادهم البحث في السياسة، أو الخوض في أي أمر يتعلق بالحكم.

٦- يمنعون أفرادهم من التوسع في العلم والاطلاع على الفلسفات السائدة في المجتمع من حولهم.

٧- لا يرون أن دعوة الفرد منهم في نفس البلد التي هو منها بل على أهل المدينة الفلانية أن يدعوا أهل المدينة الفلانية الأخرى والعكس[(٢)].

وبنظرة فاحصة في تلك المبادئ نرى أن فيها من جوانب القصور الكثير والكثير،

---

(١) ولد محمد إلياس - هذا - عام ١٣٠٣ هـ وتوفى عام ١٣٦٤ هـ، وهو من أسرة متوغلة في الطريقة الحبشتية الصوفية، وهي الطريقة المنتشرة في القارة الهندية، وكان والده على سعة في المال والعلم، ودرس محمد إلياس الكتب الابتدائية وحفظ القرآن، ثم رحل إلى مدرسة ديونيد بعد أن أخذ البيعة من شيخ الطريقة الشيخ رشيد أحمد الكفكوهي.

(٢) أخذت هذا الملخص عن نشأة جماعة التبليغ ومبادئها من كتاب ((الطريق إلى جماعة المسلمين)) لحسين بن محمد محسن بن علي بن جابر ص ٢٩٥- ٢٩٧.

فالتقليد ومنع الاجتهاد يتنافى مع شمول الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان، كما أن ترك النهي عن المنكر مسألة خطيرة فيها تنازل عن نصف خصائص هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (١) فضلاً عما يترتب عليه من تمادي أهل المنكر حينما يرون من لا ينكر عليهم منكرهم، وكذلك حصرهم الإسلام بمنهجه الشامل في الأصول الستة المشار إليها فهم قاصر للإسلام الذي قال الله تعالى عن الكتاب الذي حفظ أصوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢) ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ (٣).

وأما عن حظرهم التوسع في العلوم المنتشرة في المجتمع من حولهم فهذا أيضًا يتعارض مع دعوة الإسلام للاستفادة من كل علم، وكفيل بأن يوصد الأبواب أمام الدعوة الإسلامية، خصوصًا في المجتمعات المتمدنة ذات الحضارات!!

موقف جماعة التبليغ من الجماعات الأخرى:

الطبيعة الصوفية التي شكلت الدعوة التي تقوم بها جماعة التبليغ، جعلت لهم موقفًا عدائيًا من الجماعات السلفية التي ترفض البدع وطرائق الدراويش.

فهم ينظرون إلى دعوة كالحركة الوهابية - وكل من على نهجها - على أنهم أصحاب عقائد فاسدة ونظريات باطلة، بل وعلى أنهم لصوص، وقد نقل عن الشيخ/ حسين أحمد الحنفي - أحد كبار جماعة التبليغ - قوله: «**اعلموا أن محمدًا بن عبد الوهاب ظهر أمره في أوائل القرن الثالث عشر في نجد، وكانت له عقائد فاسدة ونظريات باطلة. . وكان يستحل نهب أموال أهل السنة وقتلهم، وكان يظن أن في قتلهم ثوابًا، وعلى الأخص من ذلك أهل الحجاز. . والحاصل أنه ظالم باغ سفاك فاسق، ولذلك يبغضه العرب أشد من اليهود والنصارى**» (٤).

وقال محمد يوسف البنوري - من كبار قيادات التبليغ - عن أبي الأعلى المودودي (٥): «**أنادي على رؤوس الأشهاد أن هذا الرجل زائغ ضال مضل، في كتبه ورسائله**

---

(١) آل عمران: ١١٠ (٢) النحل: ٨٩
(٣) الإسراء: ١٢
(٤) انظر: حسن بن محسن بن علي جابر: الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٢٩٨
(٥) أبو الأعلى المودودي هو: من أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، له جهود عظيمة في إحياء الفكر الإسلامي الصحيح والعمل على نهضة الأمة الإسلامية وهو من نوابغ علماء الجامعة الإسلامية بباكستان.

الطامات» وقال عن سيد قطب[١] : **«إنه جمع بين الشيعية والشيوعية في آن واحد»**[٢] .

وقد يقال بأن هذا الموقف العدائي لا يشكل على العموم موقف جماعة التبليغ من الجماعات الأخرى، وقد يكون موقفًا فرديًا لهؤلاء القادة الذين نقلنا أقوالهم، ولكن الرجوع إلى الأصول الستة وإلى المبادئ العامة المقررة لديهم يكشف حقيقة الأمر، إذ يعتبرون الخارج عن العمل بهذه الأصول والمبادئ خارجًا عن خطة جماعتهم، فمن أراد أن ينهى عن المنكر أو أن يتحدث في أمور السياسة أو أن يقول بالاجتهاد طرد من الجماعة.

فحتمي إذن أن ينفر هؤلاء من أية مبادئ أخرى تقوم عليها دعوات أخرى.

وهذا موقف غير محمود، ومثله يعد من العقبات في طريق العمل الإسلامي الصحيح.

٧- جماعة أنصار السنة المحمدية:

أسست هذه الجماعة في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م بمدينة القاهرة، باسم جماعة أنصار السنة المحمدية، على يد فضيلة الشيخ/ محمد حامد الفقي[٣] .

وكان من حوافز تأسيس هذه الجماعة لدى المؤسس هو: ما عاناه في مقتبل حياته من شر الضلالات والخرافات كما يقول هو: **«لقد كنت في حياتي الأولى سالكًا مع السالكين وملبسًا من الملبسين، ومخرفًا من المخرفين، وداعيًا إلى البدعة وإلى الجاهلية وعبادة الموتى والخشب والنُصُب، فهداني الله إلى دين الهدى وكشف عن بصيرتي حجب الجهل والعمى، وبصَّرني بنور الحق، من كتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ ووفقني بفضله إلى سبيل السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فذقت حلاوة التوحيد الخالص، وعرفت لله منته العظمى في تلك الهداية. . فكان من حق هذه النعمة أن أنفق حياتي لإرشاد الضال وهداية**

---

(١) سيد قطب هو: من مواليد قرية موشى بمحافظة أسيوط، له مؤلفات حول القرآن مثل: (في ظلال القرآن) (والتصوير الفني في القرآن) وغير ذلك، أعدم في إحدى القضايا التي راح ضحيتها عشرات من أقرانه.

(٢) انظر: الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٢٩٨ .

(٣) محمد حامد الفقي من مواليد قرية نكلة العنب بمحافظة البحيرة بمصر سنة ١٣١٠ هـ وهو من خريجي الأزهر، بدأ دعوته إلى الكتاب والسنة والدعوة السلفية في أثناء فترة دراسته بالأزهر، وبعد عمل عظيم وعمر زاهر توفى إلى رحمة الله في رجب ١٣٧٨ هـ وهو الذي تولى رئاسة الجماعة حتى توفاه الله.

التائه»[١].

وهذه الجماعة لها هيكل إداري منظم، به مجلس إدارة، وهيئة تنفيذية لأعمال الجماعة[٢].

وقد نجح رجالها في إقامة فروع للجماعة بلغت في مصر وحدها نحو الخمسين فرعًا، إلى جانب فروعها في السودان، وكذا من يتعاطف معها في البلاد الإسلامية مثل المغرب والمملكة العربية السعودية وغيرها.

وكل فرع من هذه الأفرع يمثل وحدة متكاملة وهو صورة عن المركز العام للجماعة، ويشرف كل فرع على عدد من المساجد في حدود منطقته، وما يتبع ذلك مدارس ومجمعات طبية[٣].

وأهم مبادىء جماعة أنصار السنة المحمدية:

١- دعوة الناس إلى التوحيد الخالص.

٢- اعتماد الكتاب والسنة كأصول للتشريع لا محيد عنها البتة.

٣- الإسلام دين ودولة وعبادة وحكم، وهو صالح لكل زمان ومكان.

٤- توثيق روابط الإخلاء والتضامن بين الجماعة والجمعيات الإسلامية الأخرى.

٥- التعاون مع مختلف الهيئات العلمية والثقافية على إحياء التراث الإسلامي[٤].

وهي مبادئ - كما يرى الناظر - تدل على حسن استعداد الجماعة للدخول في أي عمل إسلامي تتعاون فيه مع أي جماعة مسلمة أخرى، وتدل - كذلك - على نظرتهم لشمول الإسلام، وأنه دين ودولة.

كما تشير لائحة الجماعة إلى أنه يوجد ضمن بنودها (البند رقم ٣) ما ينص على أنه: **«لا يجوز للجماعة أن تجادل في الأمور السياسية أو العقائد الدينية»**[٥].

---

(١) انظر: مجلة التوحيد (التي تصدرها الجماعة) العدد الخامس - السنة الثلاثون جمادي الأولى ١٤٢٢ هـ نقلاً عن مجلة الهدى النبوي (التي كانت تصدرها الجماعة أيضاً) في العدد الأول منها عام ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧م.
(٢) انظر: الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٢٦٣، ٢٦٤.
(٣) الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٢٧٠.
(٤) انظر: المرجع السابق ص ٢٦٥، ٢٦٦.
(٥) المرجع السابق ص ٢٧٩ نقلاً عن اللائحة الداخلية للجماعة.

وهذا المبدأ أو البند قد أخذ على جماعة أنصار السنة إقراره، وذلك لأن الأصلين اللذين قررا اعتمادهما الكتاب والسنة قد تناولا أمور السياسة، وتفنيد العقائد الفاسدة[١].

ولكن يبدو ثَمَّةَ تخالف بين ما تقرره الجماعة من مبادئ، وبين ما تطبقه في برنامج عملها، ولعل الناظر في الموضوعات التي تتناولها مجلة التوحيد (وهي المجلة الناطقة بفكر الجماعة) في أعدادها المختلفة، يجد أنها تتناول بل وتركز على المسائل العقدية، وتتعرض نقد التوراة وأسفارها وكذلك أسفار العهد الجديد، وتتعرض للأحداث السياسية المعاصرة. . وغير ذلك من موضوعات.

موقف جماعة أنصار السُّنَّة المحمدية من الجماعات الأخرى:

لعله قد اتضح من خلال مبادئ الجماعة أن موقفها من الجماعات الإسلامية الأخرى كان موقفًا محمودًا، يقوم على الإخاء والتضامن والتعاون مع مختلف الهيئات العلمية والثقافية والجماعات والجمعيات الإسلامية، لإحياء التراث الإسلامي.

ولعل موقف جماعة أنصار السنة من التعاطف والتضامن مع حركة طالبان في حدث هدم أصنام بوذا في أفغانستان، يعتبر مثالاً واضحًا لتضامن الجماعة، حيث غطت الجماعة في مجلتها (التوحيد) هذا الحدث في أكثر من موضوع، تؤكد فيه تأييدها لهدم الأصنام[٢].

٨- جماعة التكفير والهجرة (جماعة المسلمين)

تأسست هذه الجماعة على يد الشيخ الأزهري/ علي عبده إسماعيل[٣] الذي كان معتقلاً في ليمان طرة ضمن المعتقلين من جماعة الإخوان المسلمين في نحو عام ١٩٦٧م، وكانت دعوتهم أشبه برد فعل لألوان العذاب التي ذاقوها داخل السجون دون أن يعبأ بهم أحد، وأصل تأسيس الجماعة يرجع إلى أنه حينما طلب من المعتقلين تأييد

(١) انظر: د/ صادق أمين: الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية ص ٨٦، ٨٧ ط دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة.

(٢) انظر: مجلة التوحيد/ السنة الثلاثون - العدد الأول (المحرم)، والعدد الثاني (صفر) بسنة ١٤٢٢هـ.

(٣) علي عبده إسماعيل هو: ابن شقيق الشيخ/ عبد الفتاح إسماعيل أحد الستة الذين تم إعدامهم مع الأستاذ/ سيد قطب.

الرئيس جمال عبد الناصر، انقسم المعتقلون إلى فئات:

- منهم من سارع إلى التأييد بغية الإفراج عنهم والعودة إلى وظائفهم.

- ومنهم من لجأ إلى الصمت ولم يعارضوا ولم يؤيدوا باعتبار أنهم في حالة إكراه.

- بينما رفضت فئة قليلة من الشباب موقف السلطة وموقف المؤيدين وموقف الساكتين، وأعلنت كفر الحاكم ونظامه، وكفر من أيدوه ولم يكفروه من إخوانهم، بل وكفروا المجتمع لموالاته للحاكم الكافر، وعلى رأس هذه الفئة ومهندس أفكارها الشيخ علي عبده إسماعيل[١].

غير أن الشيخ علي عبده إسماعيل تراجع عن آرائه وأفكاره، فخلفه شكري مصطفى[٢] في قيادة الجماعة وكان عمره وقتها لا يتجاوز ثلاثة وعشرين عامًا، فكفر شيخه، ثم أفرج عنه في عام ١٩٧١م بعد أن حصل على بكالوريوس الزراعة، ومن ثَمَّ بدأ التحرك في مجال تكوين الهيكل التنظيمي لجماعته، وتمت مبايعته أميرًا للمؤمنين وقائدًا لجماعة المسلمين، - على حدّ زعمهم - وعين أمراء للمحافظات والمناطق واستأجر شققًا كمقار سرية للجماعة، وفي عام ١٩٧٣م أمر بخروج أعضاء الجماعة ليستوطنوا المناطق الجبلية، وحملوا معهم من المؤن والسلاح ما يعينهم على العيش في هجرتهم - كما كانوا يسمونها - وفي أكتوبر ١٩٧٣م تمّ القبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة، غير أنه أفرج عنهم في ٢١/ ٤/ ١٩٧٤م بقرار جمهوري، فعاود شكري وجماعته ممارسة نشاطهم ووسع قاعدة الجماعة، وأعاد تنظيم صفوفها، وتمكن من ضم أعضاء جدد للجماعة من شتى محافظات مصر، كما قام بتسفير مجموعات أخرى إلى خارج البلاد بغرض التمويل، مما مكن لانتشار أفكارهم في أكثر من دولة.

وفي ٣٠/ ٣/ ١٩٧٨م صبيحة زيارة السادات للقدس تم تنفيذ حكم الإعدام في شكري مصطفى وإخوانه، ولكن في النهاية وبعد حوارات ومناظرات من أصحاب العقيدة والمنهج السلفي لمن بقي من جماعة التكفير - سواء أكان داخل المعتقلات أم خارجها - عاد الكثيرون منهم إلى رشده وتبرؤوا من أفكار الجماعة[٣].

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصر ١/ ٣٣٦.

(٢) شكري مصطفى: يكنى بأبي سعد وهو من مواليد قرية الحوانكة بمحافظة أسيوط عام ١٩٤٢م، وكان أحد شباب جماعة الإخوان الذين اعتقلوا عام ١٩٦٥م انظر: الموسوعة الميسرة ١/ ٣٣٧.

(٣) الموسوعة الميسرة ١/ ٣٣٧، ٣٣٨ بإيجاز.

أهم مبادىء ومعتقدات جماعة التكفير:

١]- التكفير: حيث هو عنصر أساسي في مبادئ ومعتقدات الجماعة، فهم يرون كل من ارتكب كبيرة وأصر عليها ولم يتب منها كافرًا، وكذلك الحُكَّام الذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاق ودون تفصيل كفارًا، والمحكومين لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم بإطلاق كفارًا، والعصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية لتقديسها صنم التقليد.

٢]- الهجرة: يقصد بها العزلة عن المجتمع الجاهلي[(١)].

٣]- مرحلة الاستضعاف: ويسمونها المرحلة المكية، ويرتبون عليها آثارًا، فيرون أن الزكاة اليوم غير واجبة لأن وجود الإمام شرط في وجوبها، ويرون أنه لا تلزمهم جمعة ولا جماعة، ويقولون إن التمكين شرط في إقامة الجمعة، ويرون المساجد كلها مساجد ضرار، إلا المساجد الثلاثة، كما يرون أنه لا يلزمهم القتال ويسمون تلك المرحلة مرحلة كف الأيدي.

٤]- لا يجيزون الصلاة خلف إمام من غير جماعتهم.

٥]- لا قيمة لأقوال العلماء المحققين وأمهات كتب التفسير والعقائد لأن علماء الأمة في القديم والحديث مُرْتَدُّون - بزعمهم - عن الإسلام.

٦]- المبالغة في السرية.

٧]- الدعوة إلى الأمية فدعوا إلى ترك الكليات ومنع الانتساب إلى الجامعات إسلامية وغير إسلامية لأنها مؤسسات الطاغوت، ويتأولون خطئًا في ذلك حديث «**نحن أمَّةٌ أُمِّيَّةٌ . .**».

٨]- يزعمون أن أميرهم شكري مصطفى هو مهدي هذه الأمة المنتظر، وأن الله سيحقق على يد جماعته ما لم يحقق على يد محمد ﷺ من ظهور للإسلام على جميع الأديان.

٩]- ادَّعوا أنهم بلغوا درجة الإمامة والاجتهاد المطلق، وأن لهم أن يخالفوا الأمة

---

(١) المرجع السابق ١/ ٣٣٨، ٣٣٩ بتصرف.

كلها وما أجمعت عليه سلفًا وخلفًا.

١٠]- كانوا يرون حرمة العمل في الوظائف الحكومية لكفر النظام الحاكم[١].

هذه هي أهم مبادئهم ومعتقداتهم، وهي كما ترى تفوح بالغلو، وتطفح بالتشدد الذي كان له بالغ الخطورة في زعزعة الناس عن الإسلام، لو أنه طُبِّق كشريعة لأصبحت الحياة جحيمًا نظرًا لتلك القيود، كما كان له بالغ الخطورة - أيضًا - في تقوية الحملة الإعلامية المسعورة ضد الإسلام والتي جعلت تظهر الإسلام على أنه دين عنف وتطرف وإرهاب، وعرقلت مسيرة العمل الإسلامي، وضللت فكر الشباب أكثر مما كان عليه من الضلال، حتى أن من لم ينضم إليهم ربما انتابته الحيرة في مدى صحة هذه المبادئ أو فسادها.

موقف جماعة التكفير من الجماعات الأخرى:

لقد كان شكري مصطفى يرى أن الجماعات الإسلامية الأخرى يجب عليها أن تنضم تحت لوائه، وأن تذعن له بالبيعة، وإذا بلغتهم دعوته ولم يبايعوا فهم كفار مارقون عن الدين، ومن انضم إلى جماعته ثم تركها فهو مرتد حلال الدم.

ليس هذا فقط، بل كانوا يرون الجماعات الأخرى كفارًا لأنهم لم يُكفروا الكافر بإطلاق بل فصلوا في تلك القضية، ومثل هذه المواقف جرَّت على شكري مصطفى وجماعته الويلات والمصائب، وجعلته معاديًا للجماعات الإسلامية والدعاة دون استثناء.

وبعد شكري مصطفى تغير موقف أفراد الجماعة فمنهم من ظل على الغطرسة في إظهار العداء، ومنهم من كان في بعض الأحيان يعمل بمنهج التقية ويغير مواقفه حسب الأحوال، ولكن سرعان ما كانت تزول هذه الأقنعة وتتكشف الحقائق[٢].

ولا يخفى عن كل ذي بصيرة خطورة مثل هذا الموقف، وبُعده عن الأصول الثابتة من الكتاب والسنة، ومجافاته لروح الأخوة التي حث عليها الدين الإسلامي ونماها بين

---

(١) لخصت هذه المبادئ عن: كتاب ((التوقف والتبين)) لمحمد سرور بن نايف ص ٢٨، وعن الموسوعة الميسرة ١/ ٣٣٩، ٣٤٠ وقال صاحب الموسوعة: ((أهم كتاب كشف عن أسرار دعوتهم وعقيدتهم هو - ذكرياتي مع جماعة المسلمين - لعبد الرحمن أبو الخير الذي كان أحد أعضاء جماعة التكفير وتركهم فيما بعد)).
(٢) انظر: التوقف والتبين ص ٣١، ٣٢، الموسوعة الميسرة ١/ ٣٣٩.

أتباعه.

الجماعة الإسلامية بمصر

نشأت هذه الجماعة في الجامعات المصرية في أوائل السبعينيات على شكل جمعيات دينية إبّان فترة ركود الحركة الإسلامية، لتقوم ببعض الأنشطة الثقافية والاجتماعية البسيطة في محيط الطلاب، وكان لها بناء تنظيمي يبدأ من داخل كل كلية من حيث وجود مجلس للشورى على رأسه أمير، وينتهي بمجلس شورى الجامعات، وعلى رأسه الأمير العام، وكانت تعرف إعلاميًا باسم «**جماعة الجهاد**».

نمت هذه الجماعة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ بشكل واسع فازداد عدد المنتمين إليها، وتعددت أنشطتها، وامتدت إلى خارج أسوار الجامعات، وكانت تعمل بشكل جاد لإعادة إحياء الخلافة الإسلامية عن طريق الجهاد الذي أسموه الفريضة الغائبة.

وفي نحو عام ١٩٧٩ نما بين قيادات الجماعة فكرة أن الحاكم قد كفر وخرج عن الملّة فوجب الخروج عليه وخلعه وتغيير النظام، واختير الدكتور عمر عبد الرحمن[١] أميرًا لجماعة الجهاد.

واشتهرت تلك الجماعة بمواقفها الثورية، ونسب إليها قتل الرئيس السادات، وقتل فرج فودة - الكاتب العلماني - وضرب حركة السياحة في مصر، وتفجير مركز التجارة العالمي في أمريكا.. والعديد من المواقف المتكررة لمهاجمة الجناح العسكري للجماعة لمديريات الأمن ومراكز الشرطة المصرية[٢].

وفي عام ١٩٨٤م وبعد الإفراج عن الكثير من أعضاء الجماعة من غير المتهمين في قضايا التنظيم، أعيد تنظيم الجماعة برئاسة محمد شوقي الإسلامبولي، وازداد نشاطها في الدعوة إلى الله - تعالى - في المساجد والندوات والمعسكرات داعية إلى الخروج على الحاكم، ووجوب قتال الطائفة الممتنعة عن إقامة الشريعة الإسلامية، وقد دفع ذلك قوات الأمن المصرية إلى الصدام الدائم معهم وإلقاء القبض على الكثير منهم

---

(١) د/ عمر عبد الرحمن: كان أستاذاً للتفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين جامعة الأزهر بأسيوط، اعتقل عدة مرات، وأخيراً استطاع السفر إلى أمريكا ليقيم في ولاية نيوجرسي.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة ١/ ٣٥١ -٣٥٣.

وتعرضهم للتعذيب والتضييق الشديد، بل وصل الأمر إلى استخدام سياسة التصفية الجسدية ضدهم، مما أوجد بين أفراد الجماعة ردود فعل عنيفة راح ضحيتها الكثير من ضباط وجنود الشرطة وغيرهم(١).

وبرغم هذا التاريخ الدامي فقد كان للجماعة نشاط طيب في مجال الخدمات الاجتماعية، سيأتي بمشيئة الله - تعالى - عند الحديث عن تطبيقات الأصولية الإسلامية.

ولعل من المناسب أن نتعرف على المبادئ والأصول التي أقامت تلك الجماعة عليها فكرها ونشاطها وعملها لنعرف موطن الخلل.

أهم مبادىء الجماعة الإسلامية بمصر:

يعتبر كتاب «**ميثاق العمل الإسلامي**»(٢) هو دستور الجماعة الإسلامية، وأهم ما فيه من أفكار ومبادئ:

[١]- غايتنا، رضى الله - تعالى - ، بتجريد الإخلاص له سبحانه وتحقيق المتابعة لنبيه ﷺ.

[٢]- عقيدتنا: عقيدة السلف جملة وتفصيلاً.

[٣]- فهمنا: نفهم الإسلام بشموله كما فهمه علماء الأمة الثقات.

[٤]- هدفنا: تعبيد الناس لربهم، وإقامة خلافة على نهج النبوة.

[٥]- طريقنا: الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من خلال جماعة منضبطة، حركتها بالشرع الحنيف، تأبى المداهنة أو الركون وتستوعب ما سبقها من تجارب.

[٦]- زادنا: تقوى وعلم، يقين وتوكل، شكر وصبر، زهد في الدنيا وإيثار للآخرة.

[٧]- ولاءنا: لله ورسوله والمؤمنين.

[٨]- عداؤنا: للظالمين، على أن الكفر منه أكبر وأصغر وكذا الظلم منه أكبر

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة ١/ ٣٥٤.

(٢) هذا الكتاب من تأليف ثلاثة من قيادات الجماعة الإسلامية: د/ ناجح إبراهيم، وعاصم عبد الماجد، وعصام الدين دربالة.

وأصغر، فيوالى من عنده ظلم أصغر على قدر ما عنده من خير، ويعادى على قدر ما عنده من ظلم.

٩]- الجهاد: هو القتال أي المواجهة والدم، أما اقتصار الجهاد على الوسائل السلمية مثل الكتابة والخطابة والإعداد بتربية الأمة العلمية والفكرية، أو بمزاحمة السياسيين في أحزابهم السياسية - بل والاهتمام - بالهجرة فكل ذلك يعد من الجبن والتخاذل، ولن ينتصر المسلمون إلا بقوة السلاح، وعلى المسلمين أن ينخرطوا في الجهاد مهما قلّ عددهم.

١٠]- الجهاد ليس فقط لمن داهمنا في ديارنا واستولى على جزء من أرض الإسلام، ولكنه أيضًا لمن يقف بالسيف والسلطان في وجه دعوتنا رافضًا التخلية بيننا وبين الناس ندعوهم لدين الله، ونحكمهم بشرع الله، لأن الاستعمار هو العدو البعيد، والحكام الكفرة هم العدو القريب، فقتالهم أولى من قتال العدو البعيد.

١١]- لا ترى الجماعة مشاركة الاتجاه الإسلامي في الحكومات العلمانية المعادية للإسلام، إذ أن هذه المشاركة تترك مفاسد كثيرة وتوقع الجماهير في حيرة وشك، إذ أنها تدلل على شرعية الحكومات التي تصدر القوانين الوضعية(١).

ونرى من خلال تلك المبادئ أن أهل تلك الجماعة وإن كانت نيتهم - نحسبها - حسنة وخالصة، إلا أنه يتضح من واقعهم أنهم لم يستوعبوا تجارب السابقين ولا حتى تجاربهم هم الشخصية، كما قرروا ذلك في مبادئهم، وذلك لأن الذي يستوعب التجربة يحرص كل الحرص فيما يستقبل من الأعمال على تجنب الأخطاء في التجربة السابقة، وأكثر أفراد الجماعة برغم ما ذاع عنهم من موسوعية الثقافة وبُعد النظر إلا أنهم لم يستفيدوا من قراءات التاريخ، والفتن التي مرت بها الأمة، من مثل فتنة يزيد بن المهلب(٢)، وفتنة ابن الأشعث(٣).. وغيرهما من الفتن التي كادت تعصف بالأمة -

---

(١) الموسوعة الميسرة ١/ ٣٥٤- ٣٥٦ (بتصرف)، نقلاً عن كتاب ((ميثاق العمل الإسلامي)) المشار إليه قبل.

(٢) كانت تلك الفتنة في عهد الدولة الأموية. انظر تفاصيلها في تاريخ الطبري ٦/ ٥٩ ط بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٢٨٨ - ٢٩٩ ط دار الغد العربي القاهرة.

(٣) كانت تلك الفتنة أيضاً في عهد بني أمية. انظر تفاصيلها في تاريخ الطبري ٦/ ٣٢٧ - ٣٢٩، والبداية والنهاية ٥/ ٤٩- ٦٩، وانظر تعليقاتي على الفتنتين في رسالتي للماجستير ((الموالي ودورهم في الدعوة إلى الله تعالى)) ص ٢٤٤- ٢٤٧، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

لولا فضل الله - هذا فضلاً عن أنهم لم يستفيدوا حتى من تجاربهم الشخصية، فلهم كل يوم مع الحكومة صدامات دامية ومع ذلك لم تلفت أحداث الأمس نظر الجماعة إلى وجوب إعادة النظر في أسلوبها الدعوى غدًا لتحقن دماء المسلمين، ولتحقق أهدافها المنشودة.

كما يلاحظ - أيضًا - في تلك المبادئ أنهم وإن قرروا أن فهمهم للإسلام سيكون كما فهمه علماء الأمة الثقات، إلا أن فهمهم انحرف في كثير من المواطن الخطيرة عن فهم العلماء الثقات، فمن ذلك فهمهم لقضية الخروج على الحاكم بتلك الطريقة الغوغائية وتركه لآحاد الأمة وأفرادها، وهذا خلاف ما فهمه العلماء الثقات.

يقول إمام الحرمين الجويني في كتابه «غياث الأمم»: « . . **ولكن هذا الخروج لا يطلق للآحاد من الأمة في أطراف البلاد أن يثوروا، فإنهم إن فعلوا ذلك اصطلموا وأبيروا، وكان ذلك سببًا في زيادة المحن وإثارة الفتن، ولكن إن اتفق رجل مطاع ذو أتباع وأشياع، ويقوم محتسبًا آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، وانتصب لكفاية المسلمين ما دفعوا إليه، فليمض في ذلك قدمًا على الشرط المقدم، في رعاية المصالح والنظر في المناجح، وموازنة ما يدفع ويرتفع بما يتوقع**»(١).

ونقل العلامة ابن حجر عن الداودي قال: «**الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب - أي خلعه - وإلا فالواجب الصبر**»(٢).

ومن هذا يتضح أن الجماعة غالت في استخدام مصطلح الجهاد، ولم تراع الأصول الثابتة كالمصالح والمفاسد. . وغير ذلك فعرضت الأمة لفتن لا زالت البيوت المسلمة تئن من آثارها.

موقف تلك الجماعة من الجماعات الإسلامية الأخرى:

لقد كان موقف الجماعة الإسلامية من الجماعات الأخرى موقفًا محمودًا يقوم على التعاون والود إذا كان نشاط الجماعة متعلقًا بالجهاد، ولعل ما قامت به الجماعة الإسلامية بمصر من تعاون مع الجماعات الإسلامية المجاهدة في أفغانستان ضد

---

(١) انظر الجويني: غياث الأمم: ص ١١٥، ١١٦.

(٢) انظر: ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣/ ١١ ط دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م.

الروس خير مثال، حيث قدمت العديد من الشهداء على أرض أفغانستان.

ولكن يبدو ثَمَّةَ اختلاف مع بعض الجماعات في مناهجها، فتراهم ينكرون على جماعة التبليغ سلوكهم طريق التصوف، وينكرون على الإخوان عملهم في السياسة. وإن كانوا لا يحرمون العمل في الوظائف الحكومية - وينكرون على جماعة التكفير قولهم بكفر الأمة وعامة فكرهم على الإطلاق، خصوصًا ما يتعلق بالجهاد، حيث تقول جماعة التكفير كما أسلفنا عن المرحلة التي عاصروها مرحلة كف الأيدي.

وينكرون على أنصار السُّنة المحمدية اقتصارهم على النشاط الاجتماعي والعمل الخيري فقط دون أن يكون الجهاد ضمن أنشطتهم.

١٠- حركة طالبان:

طالبان: كلمة تتكون من مقطعين (طالب) ومعناه: الذي يطلب العلم، ويطلق عرفًا على الدارس في مرحلة التعليم العالي[١]. و(ان) وهو مقطع فارسي يلحق بالكلمات.

وطالبان اسم يطلق على واحد من التنظيمات الدينية في أفغانستان، شكله مجموعة من الطلبة الأفغان، الذين قد تلقوا تعليمهم في المدارس والجامعات الإسلامية في باكستان.

وقد ظهرت حركة طالبان السنية على ساحة الحرب في أفغانستان، عام ١٩٩٤، وكان عدد كبير من مقاتلي حركة طالبان قد شارك في المعارك ضد الاتحاد السوفيتي بين العامين ١٩٧٩ و ١٩٨٩ لطرده من بلادهم.

وكان للطبيعة الجبلية التي يعيشها الشعب الأفغاني أثر عظيم في تربية أفراد حركة طالبان - وغيرها من الحركات الأفغانية - على معرفة القتال وفنونه ولعل هذا يفسر لنا سر هزيمة الإنجليز والسوفيت أمامهم، وقد اشتهر عن الأفغان عمومًا قولهم: «**إن من دخل أفغانستان غازيًا لم يخرج منها**»، وعلى الرغم من أنهم مجموعة قبائل تكون في أكثر الأحيان متناحرة، إلا أنهم يتجمعون[٢] عند دخول أحد الغزاة إلى الأرض.. ويبدأ

(١) انظر: عبد الله الخليفة: أسامة بن لادن بين الجهاد والإرهاب ص ١٠٩ ط دار الحديث للصحافة والخدمات الإعلامية - القاهرة ٢٠٠١م.

(٢) ولكن للأسف فإنهم لم يتحدوا في حربهم الأخيرة ضد أمريكا وذلك بفعل التدخل الأجنبي لتفتيت وحدتهم.

قتال مرير . . فإذا انتهت الحرب مع الغازي الغريب، تحول الأفغان إلى الحرب فيما بينهم[١].

وفي فترة احتلال الجيش الأحمر السوفيتي أرض أفغانستان، تجمعت القبائل وخاضت حربًا أزعجت الاتحاد السوفيتي وكانت آخر مسمار يدق في نعش وجوده كقوة عظمى . . في هذه الفترة كان أسامة بن لادن ومجموعة من العرب عرفت باسم «**الأفغانيون العرب**» يجاهدون مع إخوانهم ضد الروس، وكانوا يعتبرون أبطالاً أيامها . . فلقد دوخوا الجيش الأحمر، وكانوا بالنسبة له كما كان الفيتناميون بالنسبة للجيش الأمريكي، وقد قال عنهم أحد الجنرالات الروس: «**إنهم دائمًا يسبقونك بخطوة، ثم يستديرون إليك ويطلقون النار . . بعدها يختفون في كهوف الجبال**»[٢].

وتشير الدراسات الاستراتيجية إلى أن عدد مقاتلي حركة طالبان يبلغ حوالي ٢٥ ألف مقاتل مجهزين ويملكون حوالي عشرين طائرة من طراز «**ميج ١٧ وميج ١٩**» وسوخوي الروسية الصنع، وحوالي ٢٠٠ دبابة[٣].

وفي ٢٧ سبتمبر ١٩٩٦ دخلت حركة طالبان العاصمة كابول وأطاحت بنظام الرئيس برهان الدين رباني، وأقامت نظامًا إسلاميًا كاملاً، وحكومة مؤقتة شكلها الملا/ محمد عمر القائد العام للحركة، وأصدرت العدد من التشريعات الدينية، وكان هدفها هو السيطرة على كابول وإنشاء دولة إسلامية[٤].

وقد رحب السكان في ذلك الوقت بحركة طالبان كمحررين لهم عندما فتحت مدينة جلال أباد وكابول، لأن الحكومة السابقة كانت ممزقة وعاجزة عن إحلال السلام والأمن في ربوع أفغانستان . . وتتمتع حركة طالبان بميزات ثلاث: هي وفرة الأسلحة والمال، ودعم السكان الذين سئموا من حروب المجاهدين فيما بينهم، وصغر متوسط أعمار عناصرها[٥].

---

(١) انظر: أحمد بهجت: أهم من السلاح (مقال بجريدة الأهرام المصرية) ص ٢ بتاريخ ١٢/ ١٠/ ٢٠٠١ .
(٢) انظر: أحمد بهجت: مرجع سابق ص ٢ .
(٣) يلاحظ أن الأرقام الخاصة بتسليح الحركة مشكوك في صحتها، وذلك لأن قوات يمكن أن تصمد هذه الفترة أمام أعتى ترسانات السلاح في العالم لا شك في أنها تملك من العتاد ما هو أكثر من تلك الأرقام!!
(٤) عبد الله الخليفة: أسامة بن لادن بين الجهاد والإرهاب ص ١٠٩ .
(٥) المرجع السابق ص ١١١ بتصرف.

وتسيطر حكومة حركة طالبان على نحو ٩٢٪ من مساحة أفغانستان، ومن جميل ما يذكر لحكومة حركة طالبان أنهم بمجرد السيطرة على مقاليد الأمور - هناك - أصدرت أوامرها بمنع زراعة الأفيون الذي كان يعتبر المصدر لتمويل شراء الأسلحة بين القبائل المتنازعة هناك، وأمرت باستبدال ذلك بزراعة المحاصيل كالقمح والشعير(١).

ويُذكر أيضًا أن الحركة قد دخلت في محادثات سلام في ٢٦/ ٤/ ١٩٩٨ مع فصائل المعارضة الأفغانية برعاية الأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي التي تهدف إلى إحلال السلام، لكن الحركة قررت الانسحاب من هذه المفاوضات بسبب الخلافات(٢).

وهناك العديد من الدول اعترفت بحكومة حركة طالبان كحكومة شرعية لأفغانستان، وكانت دولة باكستان هي أولى الدول التي اعترفت بها في عام ١٩٩٧م، وكذلك دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية.. وغيرها(٣).

وقد فعلت الحركة بعض الأفعال التي أثارت ضدها ردود فعل عالمية، كان من أشهرها: تحطيم أصنام بوذا وكل التماثيل الموجودة في أراضيها، وذلك في أول مارس ٢٠٠١م، وقد أقام هذا الحدث الدنيا على قدم، حتى أن كوفي عنان (سكرتير الأمم المتحدة) سارع بالذهاب إلى باكستان لبحث هذا الأمر الذي يتعلق بالتراث الحضاري، وذهبت وفود من علماء المسلمين إلى أفغانستان للدفاع عن التماثيل.

والحق يقال إن كانت حركة طالبان غير متروية ولا متأنية في الإقدام على هذا العمل، إلا أنَّ ما هو أعجب من ذلك هو موقف العالم بأسره الذي تحرك ضميره من أجل أحجار وتماثيل، وعهدنا به أنه قلَّ أن يتحرك حتى ولو تعلق الأمر بأرواح البشر خصوصًا إذا كانوا مسلمين، وهب أن البشر لا يُساوون في القيمة الحضارية ما تساويه أحجار وتماثيل هي من صنعهم، فهل كل الحضارات وقيمتها الإنسانية توزن اليوم بميزان واحد؟

(١) انظر: جمال سعد حاتم: العالم الإسلامي - من هنا وهناك (باب ثابت بمجلة التوحيد التي تصدرها جماعة أنصار السنة بمصر) ص ٢٨ عدد المحرم ١٤٢٢ هـ.
(٢) أسامة بن لادن بين الجهاد والإرهاب ص ١١٢.
(٣) المرجع السابق ص ١١٢.

بالطبع لا، وبعبارة أوضح: لو أن الأمر متعلق بأثر من آثار الحضارة الإسلامية هل كانت نفس ردود الفعل العالمية الحامية ستثور بنفس الدرجة؟

ولماذا نذهب بعيدًا فالمسجد البابري في الهند - وهو أحد أهم الآثار الإسلامية في العالم - قد ظلت عمليات الهدم فيه عدة أيام، والاستغاثات من المسلمين في الهند تخرج لإنقاذ هذا الأثر الإسلامي الكبير ولا أحد يجيب، حتى تم هدم المسجد وإزهاق أرواح العشرات من أبناء المسلمين الذين حاولوا التصدي لموجات التخريب وحماية الأثر، ولم تذهب وفود ولم تأت وفود ولم تتحرك حكومات ولا وزارات[١]!!

وعندما كان الشيخ/ عكرمة صبري[٢] يصرخ في الأرض المحتلة محذرًا من عمليات الهدم البطيء للمسجد الأقصى الشريف من خلال عمليات الحفر أسفله للبحث عن أوهام اليهود المفقودة باسم الهيكل، ساعتها وضع العالم كله أذنًا من طين وأذنًا من عجين، بل فوجئنا بالمذكرة التي كتبها الرئيس الأمريكي السابق «**بيل كلينتون**» قبل رحيله تحدد - ضمن ما رآه من تسويات بين الفلسطينيين واليهود - نصًا محددًا ما أسماه حقوق إسرائيل في الحفر أسفل المسجد الأقصى بحثًا عن الهيكل[٣].

ولم تكن حركة طالبان بتلك الصورة المتشددة التي حاول الإعلام الغربي إبرازها، وهذا لا يعني أنهم كانوا على حق في كل شيء ولا أنهم ملائكة، ولكنهم لا يشكلون الخطر الذي ضخم الغرب حجمه لاتخاذه ذريعة للقضاء على الإسلام، وبسط النفوذ.

وفي كثير من الأحيان يقف القارئ أو السامع عن حركة طالبان أمام معضلة معلومات حقيقية، ولكن أفضل ما يحسم الموقف هو استفتاء الشارع الأفغاني نفسه، وقد قامت قناة الجزيرة بجولة استفتاء في الشارع الأفغاني في أواخر شهر ديسمبر ٢٠٠١م وركزت على قضية المرأة في أفغانستان التي ضخم الإعلام الغربي حجمها «**فذكر أن نساءً قطعت حركة طالبان أصابعهن لأنهن يضعن طلاء أظافر، وأنهن يمنعن من التعليم، وأنهن يُجبرن على ارتداء النقاب . .**».

---

(١) انظر: ((وقعة أصنام بوذا)) مقال منشور بمجلة المنار الجديد ص ١٢٢ تصدرها دار المنار الجديد للنشر والتوزيع بالقاهرة، عدد المحرم ١٤٢٢ هـ - أبريل ٢٠٠١.
(٢) الشيخ/ عكرمة صبري هو مفتي القدس الشريف.
(٣) انظر: المرجع السابق ص ١٢٢.

فجاءت إجابات كثيرة تقول: إن النساء قبل حركة طالبان كنّ يعانين من التعدي والاستغلال للدعارة، وخصوصًا من قبل هؤلاء الذين عادوا للحكم، وعن تعليم المرأة في أفغانستان جاء أنه بلد فقير تنتشر فيه الأمية، وليس كل الناس فيه عندهم المقدرة على تعليم بناتهن، ومع ذلك فإن أمير المؤمنين - هكذا يسمونه - المُلاَّ محمد عمر أصدر قرارًا بتعليم البنات، في حدود الشرع الإسلامي، وعن اللباس بالنسبة للمرأة الأفغانية جاء في الاستفتاء: أنه لباس تقليدي كان موجودًا في أفغانستان قبل حركة طالبان(١)، وهو أشبه بزي وطني فوق أنه إسلامي، وهو موجود في كثير من البلاد العربية والإسلامية.

وفي النهاية جاءت نتيجة الاستفتاء - في الشارع الأفغاني حول ما إذا كانت المرأة الأفغانية ستستريح في ظل النظام الجديد أم لا - على النحو التالي:

أجاب ٣٤٪ بنعم، و٦٠٪ بلا، و٦٪ بلا ندري شيئًا(٢).

والحق أن ما يُروج عن طالبان وما يوجه إليهم من تهم لتبرير الحملة العسكرية ليس الغرض منه تخليص الشعب الأفغاني من نظام طالبان ولا الشفقة على المرأة الأفغانية، ولكن محاولة تسويغ الوجود الأمريكي في أفغانستان.

وقد جاء في جريدة المساء المصرية تحت عنوان «**هجمات مضادة حتى لو قبضنا على ابن لادن والملا عمر!!**» أكد فيه دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي أن قواته سوف تبقى في أفغانستان لأطول مدة ممكنة حتى لو تمكنت من اعتقال ابن لادن والملا عمر، وسوَّغ ذلك بأن واشنطن لا تريد تكرار الخطأ الذي ارتكبته في حرب الخليج حينما انسحبت من العراق وتركت النظام العراقي يعيد بناء قواته(٣)، وبهذا يتضح أن الهدف

---

(١) أقول: ولو رجعت إلى معجم البلدان لياقوت الحموي وهو يتحدث عن بعض الأقاليم الأفغانية مثل كابول وبلخ وطخارستان وقندهار لوجدته يقول في صفة أهلها: ((في رجالهم عظم خلق وجلادة ويمشون في أسواقهم وبأيديهم سيوف مشهرة، ويعتمون بثلاث عمائم.. ولا تخرج لهم امرأة من منزل أبداً وإن أرادت زيارة أهلها فبالليل.. ثم مسارعتهم إلى إغاثة الملهوف ومداركة الضعيف..)) ٣/ ١٩١ بإيجاز ط دار صادر للطباعة والنشر - بيروت ١٩٥٧ فأنت ترى في كلام ياقوت أن الحفاظ على المرأة على هذا النحو كان من تقاليد أهل هذا البلد ولكن حينما يحافظ بلد على تقاليده الدينية والوطنية لا بد أن يتهم بأنه متزمت ومتشدد وإرهابي!!

(٢) أخذت هذا التقرير عن قناة الجزيرة أذاعته في يوم الاثنين ٧/ ١/ ٢٠٠٢م.

(٣) أرأيت كيف يقتلهم الندم على خروجهم من العراق؟ فإن قيل بأن حرب أمريكا الآن ضد الأفغان رداً على أحداث سبتمبر، فلماذا كان الندم على انسحابها من العراق، والعراق وقتها لم يكن قد اعتدى عليها!!

من الحرب الأفغانية بالتحديد ليس محاربة الإرهاب وإنما ترسيخ أقدام الإمبراطورية الأمريكية في آسيا الوسطى لأسباب كثيرة منها وضع يدها على بترول بحر قزوين واحتياطات الدول المحيطة به واحتواء إيران وباكستان والصين والاقتراب من روسيا الاتحادية - وغير ذلك، وهكذا يتأكد أن طالبان وابن لادن والملا عمر لم يكونوا سوى مسمار جحا الذي استخدمته أمريكا لتحقيق أهدافها المحددة منذ زمن بعيد خاصة وأن الظروف الآن أصبحت مناسبة لبقاء الأمريكان بدرجة عالية، حيث أن الحكومة المؤقتة موالية دون شك لواشنطن وأكثر أعضائها يحملون الجنسية الأمريكية بمن فيهم رئيس الحكومة حامد قرضاي والمؤكد أن الحكومة القادمة بعد ستة أشهر ستكون أكثر امتدادًا لهذه الحكومة ذات الطابع الأمريكي، وبالتالي لن تجد أمريكا من يطالبها بالرحيل ولو بعد سنوات(١).

فهل يراجع الكثيرون من مؤيدي الحملة الأمريكية - التي رفعت شعارًا ضد الإرهاب وضد الأصولية دون قيد أو شرط - موقفهم بعد ما تبينت الأهداف بوضوح، وأصبح موضوع الإرهاب أو الأصولية مثله مثل غيره من الذرائع التي تتذرع بها أمريكا لتحقيق أهدافها على حساب الآخرين؟

أهم مبادىء حركة طالبان:

في الحقيقة أنه من الصعب الكلام بدقة على مبادئ حركة طالبان وذلك لأن الحركة حديثة التأسيس والظهور على الساحة كما ذكرنا، وليس لهم كتب خاصة بهم أو منشورة عنهم إلا القليل النادر، ولكن من خلال أقوال قادة الحركة يمكن استنباط مبادئهم:

١- الجهاد في سبيل الله حتى تتحقق العزة الإسلامية.

٢- حب الموت في سبيل الله كحب الآخرين للحياة.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- محاربة مظاهر الشرك والوثنية في شتى صورها.

٥- سلوك منهج سلف الأمة الصالح في مجمله.

٦- تحكيم شرع الله - تعالى - ورفض الشرائع الوضعية.

---

(١) جريدة المساء المصرية في عددها الصادر في يوم الأحد ٦/ ١/ ٢٠٠٢م.

٧- عدم موالاة الكافرين.

.. هذه كلها مبادئ قررها وأكد على تقريرها قادة الحركة أمثال المُلاَّ عمر وأسامة بن لادن.. عشرات المرات على صفحات الجرائد والمجلات وفي الأحاديث المنقولة عنهم في التلفاز.

موقفها من الجماعات الأخرى:

إنه موقف طيب فهي تناشد الجماعات الأخرى أن يتوحدوا وأن يتكاملوا ولا تدَّعي أنها خير من غيرها، ولا أن جماعتهم أفضل الجماعات.

وبعد/

فإلى هذا الحد أكتفي بذكر تلك النماذج من أشهر الجماعات التي مثلت الأصولية الإسلامية والتي لا زال بعضها يعمل في ميدان الدعوة إلى الله - تعالى -.

وأودُّ الإشارة إلى أن هناك العديد من الجماعات الإسلامية الأخرى المنتشرة في أرجاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي ولكن لما كان أكثرها في الغالب منبثقًا عن تلك الجماعات التي ذكرتها، رأيت أن ذكر جماعة تمثل اتجاهًا معينًا من اتجاهات العمل الإسلامي يغني عن ذكر عشرة جماعات تعمل في نفس الاتجاه.

فعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى جماعة كجماعة الإخوان المسلمين نجد أن هناك العديد من الجماعات الإسلامية المنتشرة في العالم قد تبنت فكرها، من ذلك: في تونس «**حركة الاتجاه الإسلامي - أو حزب النهضة**»(١)، وفي السودان «**الجبهة الإسلامية القومية**»(٢)، وفي فلسطين «**حركة حماس**»(٣)، وفي تركيا «**حزب السلامة الوطني - أو الرفاه الإسلامي**(٤)»،.. وهكذا.

والآن: أشرع في بيان أهداف الأصولية الإسلامية.

* * *

(١) انظر: الموسوعة الميسرة ١/ ٢١٨.
(٢) المرجع السابق ١/ ٢٣٥.
(٣) المرجع السابق ١/ ٢٤٠.
(٤) المرجع السابق ١/ ٢٢٤.

المبحث الثالث

أهداف الأصولية الإسلامية

١ - إيجاد المسلم الحقيقي .

٢- إيجاد البيت المسلم .

٣- إيجاد المجتمع المسلم .

٤- إقامة الحكومة المسلمة .

٥- العمل على تحقيق الوحدة الإسلامية .

٦- نشر الدعوة الإسلامية في العالم كله .

هناك مجموعة أهداف تسعى الجماعات الأصولية لتحقيقها، ومن أبرز هذه الأهداف:

١- إيجاد المسلم الحقيقي: لما كان ظهور تيار الصحوة الإسلامية كرد فعل لحالات التدهور والضعف التي تحدر إليها كثير من المجتمعات الإسلامية، كان أول هدف تعمل الصحوة لتحقيقه هو محاولة إعادة صياغة المسلم في شتى مجالات الحياة.

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية أول ما جاءت لصناعة المسلم - إن صح التعبير - وهو صحيح لقول الله - تعالى - لموسى - عليه السلام: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[(١)]، فصناعة الرجال هي مهمة الدعوة الإسلامية، الرجال بمفهوم الرجولة الكاملة، والإنسان بمفهوم الإنسانية الكاملة، والمرأة المسلمة بالمفهوم الصحيح - أيضًا - والمسلم الحق والمسلمة - أيضًا - يشترط فيهما على نحو صناعة القرآن في أخلاقه وآدابه ومعاملاته[(٢)].

ولا شك أن العودة إلى الأصول الثابتة قادرة على إيجاد المسلم على هذا النحو، وقد رأينا السلف حينما التزموا الأصول في حركاتهم وسكناتهم حققوا هذا النموذج الفريد للمسلم، حتى أنهم كانوا يتحرون تطبيق الأصول في كل شيء، يقول عبد الله بن مسعود: كنا إذا نزلت عشر آيات من كتاب الله لا نبرحها حتى نحفظها ونفقهها ونعمل بها حتى إذا اكتمل القرآن الكريم نزولاً كان قد اجتمع لدينا ثلاث: الحفظ والفقه والعمل[(٣)].

وكانوا يتحرون تطبيق الأصل الثاني وهو السنَّة المطهرة، وربما أتوا أمهات المؤمنين سائلين كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟ فيقلن مرة: «**كان خلقه القرآن**» ومرة «**كان قرآنا يمشي على الأرض**»[(٤)].

---

(١) طه: ٤٠.

(٢) انظر: عبد الرحمن عبد الخالق: الأصول العلمية للدعوة السلفية ص ٣٥ ط دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع - الإسكندرية.

(٣) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٥ ط مكتبة الإيمان - المنصورة - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م بتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

(٤) الإمام أحمد: المسند ٦/ ٢١٦ ط المكتب الإسلامي - بيروت.

ولقد نجح النبي ﷺ في إعداد جيل من الرجال كان مليئًا بالنماذج الفريدة القادرة - من خلال التزامها بالأصول - على إغراء الناس بسلوك منهجهم، كان الرجل منهم ربما ينزل إلى السوق بتجارته فيفصح عن عيوب بضاعته، ويقول هذه سليمة بكذا، وهذه معيبة وعيبها كذا وهي بكذا، فيعجب الناس من حوله، ما الذي أجبر هذا الرجل على أن يفصح عن عيب بضاعته؟ أهي قوانين التجارة العالمية التي لا يهمها إلا تحقيق الأرباح والمكاسب حتى ولو على حساب الدين والعرض؟ أم رجال المرافق الذين يسعون في صنع المجرمين؟

ويتساءل الناس حتى يعرفوا أنه الإسلام وشريعته التي ترفض أن يكون أتباعه خونة حتى ولو مع الخائنين، إذ نجد في الأصل الثاني قول النبي ﷺ : «**أَدِّ الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك**»(١) .

وحينما يعرف الناس سر تكوين هذا النموذج الفريد الذي بهرهم يبادرون للدخول في الإسلام زرافات ووحدانًا.

والأصولية الإسلامية حينما تسعى لإيجاد وصياغة جيل على وفق هذا النموذج للمسلم الحقيقي لا بد أن يدرك الناس من حولها مقدار الخير والأمن الذي سيعم على المجتمع بأسره، وأظن المقارنة ليست صعبة، خصوصًا ونحن في عصر أصبح مثل هذا النموذج الفريد للمسلم عملة نادرة.

والحق أننا حينما نقول: إن من أهم أهداف الأصولية الإسلامية هو إيجاد المسلم الحقيقي فإن سؤالاً - يملأ الحلق بالمرارة - لا بد من طرحه وهو: ما الذي ضاع من المسلمين فضَيَّع هويتهم وأذاب شخصيتهم؟

ولا شك في أن الذي ضاع من المسلمين هو شخصيتهم المسلمة الأخلاقية، الشخصية التي ربَّاها رسول الله ﷺ وحدد معالمها القرآن الكريم ودعت إليها آياته وحثت للوصول إليها سنته ﷺ إنها شخصية رجل العقيدة التي تسعى للتعرف من القرآن

(١) البيهقي: السنن: ك الدعوى والبينات، باب أخذ الرجل حقه ممن يمنعه إياه ١٠/ ٢٧١ ط دار الفكر - القاهرة.

على خالقها لتعبده، وعلى الكون فتسخره وتعمره، وعلى حقيقة وجودها لتؤدي رسالتها، وعلى المصير الذي ينتظرها فتعمل له(1).

وحينما نقول - أيضًا - إيجاد المسلم الحقيقي فإن الأمر لا يعني أننا نعاني من قلّة عدد المسلمين فهم فوق المليار مسلم، ولكن هل لهم كيان مرهوب الجانب، وحساب في موازين الأمم؟

وكان حديث النبي ﷺ عن الكثرة العددية لهذه الأمة دون أن يكون لها ثقل أو وزن توضح مدى أهمية هذا الهدف وهو إيجاد المسلم الحقيقي، يقول ﷺ: «**توشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قلنا أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا ولكنكم كثير ولكنكم كغثاء السيل ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قلنا وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت**»(2).

وهنا تتضح معالم الشخصية الغثائية التي تزحم الأرض وهي قليلة النفع، وهي شخصية أحبت الدنيا وكرهت الموت، ووالله إن عشرة أشخاص من نموذج المسلم الذي صاغه القرآن بقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (3) ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (4).

عشرة من هذه النماذج خير من ملء الأرض من الشخصيات الغثائية التي يتعب الذهن في عدّها وإحصائها(5).

ولعل أصدق دليل على صدق ما نقول هو قلة عدد المسلمين في مواقف كثيرة ومع ذلك كان ثباتهم مثالاً رائعًا.

---

(1) انظر: جمعة أمين عبد العزيز: الدعوة قواعد وأصول ص ٤٠ ط دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع - الإسكندرية - الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩.

(2) أبو داود: السنن برقم ٤٢٩٧ ك الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام ٤/ ٤٨٤، ورواه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٥٨).

(3) الأحزاب: ٢٣. (4) النور: ٣٧.

(5) وليت المشغولين بتنظيم الأسرة وتحديد النسل يسعون في إيجاد المسلم الحقيقي بدلاً من الربط بين الكثرة العددية وبين الفقر، وكأنهم يملكون خزائن رحمة ربك!!!

إن كنت تريد أن تكون مسلمًا حقيقيًا أو أن تعين في إيجاد المسلم الحقيقي فقف مع نفسك ولو للحظات وسَلْها: كم كان عدد المسلمين في دار الأرقَم؟ ومع ذلك ما ضعفوا وما وهنوا وما استكانوا.

وكم كان عدد المسلمين في يوم بدر؟

ومع ذلك ما ضعفوا وما وهنوا وما استكانوا.

وكم كان عدد المسلمين يوم الأحزاب؟

ومع ذلك ما ضعفوا وما وهنوا وما استكانوا.

بل كم كان عددهم يوم أن دانت لهم بلاد الأكاسرة والقياصرة؟

ومع ذلك ما ضعفوا وما وهنوا وما استكانوا.

وقد تساءل كثيرون: لم عزّ هؤلاء مع قلتهم؟ وذل هؤلاء مع كثرتهم؟

يسأل هرقل - عظيم الروم - ذات يوم جنوده قائلاً: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم؟ أليسوا بشرًا مثلكم؟؟؟

قالوا: بلى، قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم.

أضعافًا في كل موطن - قال: فما بالكم تنهزمون؟؟؟

فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم.. يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتناصفون فيما بينهم، وإذا حدثت جليسك بحديث لم يسمعك لكثرة ما علا من أصواتهم بالذكر والتسبيح، ولقد هزمنا لأننا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب ونظلم، ونأمر بالمنكر، ونفسد في الأرض.

فقال هرقل: أنت صدقتني(١).

هذه هي الشخصية التي افتقدناها والتي جعلتها الأصولية الإسلامية هدفًا من أهدافها.

---

(١) محمد عبد الله الخطيب: من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٨٣ ط دار المنار الحديثة - القاهرة ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م.

٢- إيجاد البيت المسلم: إذا ما وجد النموذج الصحيح للمسلم الحقيقي كان وجوده مؤذنًا بوجود بيت مسلم، يكون فيه الرجل وزوجته وأولاده على نهج الإسلام وأصوله، وهذا الهدف قد رسم القرآن صورته في كثير من آياته، فتارة يأمر الرجل بألا يكتفي بأن يكون هو الملتزم وأهله مفرطون فيقول له: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(١).

وتارة يمتدح البيت المؤمن الذي يتواصى أهله بتوحيد الله وطاعته، فيذكر يعقوب - عليه السلام - وقد جمع أسرته ثم ناداهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(٢).

ويذكر إسماعيل - عليه السلام - وأنه بلغ درجة الرضى عند ربه لحرصه على تحقيق البيت المؤمن ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾(٣).

وتارة أخرى يلهب القلوب بحماس الإيمان لكي تحرص على تربية البيت بأكمله على منهج الله فإن ذلك مما يجعلهم في أعلى الدرجات فيقول - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ امْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾(٤). فهذا إخبار من الله تعالى بلطفه وإحسانه إلى عبادة المؤمنين بأن ذرياتهم إذا اتبعتهم في الإيمان يلحقهم الله بهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه(٥).

وتارة أخرى يذكر المسلم الحقيقي أنه إذا بلغ إيمانه بربه أن يخاف عقابه، وجب عليه أن يتقي هذا العذاب - ليس وحده - بل وأهله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٦).

---

(١) طه: ١٣٢.
(٢) البقرة: ١٣٣.
(٣) مريم: ٥٤، ٥٥.
(٤) الطور: ٢١.
(٥) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢٧٨ ط مكتبة الإيمان - المنصورة - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م.
(٦) التحريم: ٦.

والمسلم الحقيقي وهو يبني البيت المسلم يتخير الشق الثاني من نواة هذا البيت وهي الزوجة، فيحسن اختيارها على وفق ما أرشد النبي ﷺ حيث قال: «فاظفر بذات الدين تربت يداك»[١].

فإذا كانت كذلك كانت نعم المرأة - كما قال النبي ﷺ الآخذة بيد زوجها إلى الجنة.

نعم لأنها بدينها تعينه على الطاعة، وتدفعه إلى الخير وتسانده في فعله، وتحجزه عن الحرام.

ولذلك يروى أن نساء السلف كنّ إذا أراد رجالهن الخروج للعمل تعلقت المرأة منهن بزوجها، ثم تقول له: اتق الله ولا تدخل علينا حرامًا فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار[٢].

فإذا لم يحسن المسلم بناء هذا البيت ربما أصبح أفراده - الزوجة أو الولد - أعداء له من حيث لا يشعر، فربما أعاقوه في طاعته، وعطلوه عن فعل الخيرات، بل ودفعوه إلى الحرام، وقد جاء التحذير القرآني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[٣]. وقد نزلت هذه الآية في رجال أسلموا من مكة وأرادوا الهجرة فأبى عليهم أزواجهم وأولادهم، فلما هاجروا ورأوا الناس قد فقهوا في دين الله هموا أن يعاقبوهم[٤].

فإذا وجدت هذه الشحنة الإيمانية في المسلم الحقيقي من الحرص على إيجاد البيت المسلم، أخذ بيته بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل أمر صغر أو كبر، وفي كل مظاهر الحياة المنزلية، ليصبح هذا البيت نموذجًا صغيرًا للمجتمع المسلم الحقيقي.

٣- إيجاد المجتمع المسلم: المجتمع ما هو إلا مجموعة أسر وبيوتات، يجاور بعضها بعضًا، ويأخذ بعضها من أخلاق وعادات وطباع البعض الآخر، وهذا بحكم

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري برقم ٥٠٦٠ ك النكاح، باب الأكفاء في الدين ٩/ ١٦٣.
(٢) نقلت هذا الخبر عن كتاب (دروس المساء بين المغرب والعشاء) للشيخ عبد الحميد كشك ٢/ ٣٠.
(٣) التغابن: ١٤.
(٤) الواحدي: أسباب النزول ص ٣٦٩ ط دار الحديث - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ تحقيق/ أيمن صالح شعبان.

العيشة المشتركة.

ولقد ظل المجتمع الفاضل أنشودة المصلحين من الفلاسفة ودعاة الأخلاق ومحبي الفضيلة على مر الزمان، وتحقق هذا المجتمع ولكن بنسب متفاوتة، ولعل أصدق صورة لهذا المجتمع كانت في عهد النبي ﷺ حيث ندر أن يوجد شيء من الأمراض الاجتماعية - غلاً أو حقدًا أو حسدًا أو رياءً أو نفاقًا، أو انحلالاً خلقيًا -، وإنما كان بحق مجتمع الطهر والعفاف وحب الفضيلة وبغض الرذيلة.

كان مجتمعًا ربما خرجت فيه الأكذوبة أو الشائعة فلا تلقى لها بين المؤمنين سبيلاً للرواج، ولذلك حينما قال أهل الإفك[1] في أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ما قالوا، تصدى المؤمنون لهذا الخطر الاجتماعي الذي يفتك بالمجتمعات، حتى إن المرأة ربما جاءت لتحدث زوجها قائلة: «**أَوَمَا سمعت ما يقول الناس؟ فيقول المؤمن الحقيقي: أَوَذَلك الكذب الذي يقولونه!! فربما عاودته قائلة: وما يدريك أنه كذب؟**

وهنا يعود المؤمن إلى أصل عظيم من أصول الإيمان: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» فيقول لزوجته: لو كنت مكانها أكنت فاعلة؟ فتستعظم المرأة ذلك في حق نفسها، وساعتها يقضي على الشائعة، ويسلم المجتمع من عواصفها.

فإذا ما رأيت هذه الزاوية اليسيرة من الصورة التي كان عليها المجتمع المسلم في عهد النبي ﷺ ارتسمت أمامك الصورة البغيضة التي نراها في مجتمعنا اليوم.

كم رجل؟ وكم هيئة؟ وكم مؤسسة؟ تعمل على إشاعة الفاحشة في المجتمع تحت عنوان ما يسمونه «**أخبار الحوادث**» وبصورة تشيب لها نواصي الولدان.

بالله هل تصورنا الأثر الذي يمكن أن يحدثه سوق عشرات الجرائم والحوادث في صحيفة، بطريقة تقول للمغفل: هذه هي الخطة أمامك!!

ولكن الله - تعالى - حسم الأمر، حين توعَّد الذين يشيعون الفاحشة في المجتمع بعذاب أليم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

---

(١) انظر قصة الإفك بطولها في صحيح البخاري بشرح ابن حجر: الحديث رقم ٢٦٦١ ك الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً ٥/ ٣٣٠.

(٢) النور: ١٩.

ولعل صورة المجتمع المسلم تكتمل وضوحًا وبهاءً إذا عرف أنه كان - ولا بد أن يكون - مجتمعًا متعاطفًا متراحمًا، حتى عبر النبي ﷺ عن تماسكه بقوله: «**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[١].

ومثل هذا المجتمع يأمن الناس جميعًا فيه - حتى المخالفين في العقيدة - على دينهم وعلى أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، بل وحقوق جوارهم، فالأصول الثابتة تقول: (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)[٢]، [٣] وتقول: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[٤].

ومن هنا كان سر بهاء هذه الصورة للمجتمع الإسلامي، أنها قامت على الأصول التي جاء بها الوحي السماوي.

والله إن إيجاد المواطن الصالح مكسب كبير، وخير وفير للدين وللمجتمع وللوطن بكل المقاييس، كما أن إيجاد المواطن الصالح - المسلم الحقيقي - والبيت الصالح والمجتمع الصالح أنشودة كل نظام، ولكن بقدر ما يقدم كل نظام من الضمانات يتحقق له هذا الهدف.

ولا أرى نظامًا ولا تشريعًا قدم مثلما قدم الإسلام من الضمانات لإيجاد المجتمع الفاضل، ولعهد قريب كان الأوربيون يحسدون مجتمعاتنا.

يقول الكونت فوغيه: «**لا يسعني سوى الإعجاب بما يسود اجتماعات أولئك القرويين الفقراء من الوقار والأدب، وما أعظم الفرق بين اتزان أقوالهم ونبل أوضاعهم ولغط بني قومنا ووقاحتهم**»[٥].

ويقول غوستاف لوبون: «إن مما يستوقف النظر ما نراه من التضاد بين ثبات نظم

---

(١) الإمام أحمد: المسند ٤/ ٢٧٠.

(٢) انظر: تاريخ الطبري ٣/ ٦٠٩.

(٣) وقد كتب الدكتور/ القرضاوي كتاباً سماه «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي» أجاد فيه وأفاد فليراجع.

(٤) الممتحنة: ٨.

(٥) غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٣٥٨ ترجمة/ عادل زعيتر - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب. . القاهرة - مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م.

الشرقيين[1] . . والإخاء السائد لمختلف طبقاتهم من جهة وثورات الأوربيين الدائمة من جهة أخرى، وأظهر ما يتصف به الشرقيون هو أدبهم الجم، وحلمهم الكبير، وتسامحهم العظيم نحو الناس والأموال، ودَعَتُهم ووقارهم في جميع الأحوال، واعتدالهم الكثير في الاحتياج، وقد منحهم هذا طمأنينة روحية قريبة من السعادة المنشودة على حين تورثنا أمانينا واحتياجاتنا المصنوعة قلقًا دائمًا بعيدًا من تلك السعادة»[2].

٤- إقامة الحكومة المسلمة: تسعى الأصولية الإسلامية ضمن أهدافها إلى إيجاد الحكومة المسلمة، التي تقود المجتمعات وتسوسهم بكتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ.

وهذا الهدف عند حركات الصحوة الإسلامية قد يطلق عليه أكثر من تعبير، مثل: «**الحكومة المسلمة**» أو «**دولة الخلافة**» أو «**تطبيق الشريعة الإسلامية**» أو «**الحاكمية**».

والحكومة التي يراها الأصوليون لا بد أن تكون حكومة تعمل بالإسلام بحق، وتؤدي مهمتها كخادم للأمة، وأجير عامل على مصلحتها مؤدية لفرائض الإسلام غير مجاهرة بعصيان، منفذة لتعاليم الإسلام وأحكامه، لتتحقق الدولة الإسلامية المنشودة، التي يرى الناس في مشارق الأرض ومغاربها القرآن فيها حياة مطبقة[3].

والحكومة الإسلامية - أيضًا كما يراها الأصوليون - تقتضي إفراد الله - جل وعلا بالحاكمية العليا والسيادة المطلقة، وأن تكون كلماته وحدها هي الحكم الأعلى والحجة القاطعة، كما تقتضي الإقرار بجميع ما صح أنه من الدين تصديقًا وانقيادًا، لا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات، وأن قصر الدين على جانب العقائد والعبادات فحسب باب من أبواب الردة أو الزندقة، كما تقتضي الإقرار بجميع ما صح به الخبر عن النبي ﷺ سواء كان رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع عن التسليم فهو بمثابة من لم يرض بنبوته ﷺ[4].

(١) على هذا النمط سار غوستاف لوبون في أكثر مواضع كتابه معبراً عن المجتمعات الإسلامية بنحو تلك التعبيرات ((الشرقيين)) ((العرب)).

(٢) حضارة العرب ص ٣٥٧ بتصرف يسير.

(٣) انظر: جمعة أمين عبد العزيز: الدعوة قواعد وأصول ص ٣٤.

(٤) انظر: د/ صلاح الصاوي: تحكيم الشريعة وصلته بأصل الدين ص ١٥، ١٦ ط دار الإعلام الدولي للطباعة والنشر - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤.

ويرى الأصوليون إقامة الحكومة المسلمة أو دولة الخلافة هي غير ما تدعو إليه العلمانية[(١)] من تحكيم إرادة الأمة، أو حكم الشعب نفسه بنفسه، لأن حكم الشعب نفسه بنفسه لا يسلم من الأخطاء، وأما الحكم بالشريعة فهو معصوم من الأخطاء لحكمة من أنزلها، وعصمة من أنزلت عليه[(٢)].

ويرون كذلك أن الحكم بغير ما أنزل الله تعالى كفر يخرج من الملة ولكن بشروط:

الأول: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية الحكم بما أنزل الله فيقول لا يجب على الناس أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله وهذا لا ريب في كفره لأنه أنكر معلومًا من الدين بالضرورة[(٣)].

الثاني: اعتقاد أن الحكم بغير الشريعة الإسلامية أحسن وأتم وأشمل من حكمها لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع، وهذا أيضًا لا ريب في كفره لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان، وصِرف حثالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد[(٤)] [(٥)].

الثالث: اعتقاد أن الحكم بغير ما أنزل الله - تعالى - مساويًا لأحكام الشريعة الغراء، فهذا كفر مخرج من الملة لما يقتضيه من تسوية المخلوق بالخالق، وذلك كما يقول أهل النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٦)] فهم في ضلال مبين لأنهم سووهم برب العالمين في التعظيم والمحبة والإجلال واتباع أمرهم وتقدير كلامهم[(٧)].

ويرى الأصوليون أن الحكومة الإسلامية وإن كانت تطبق شرع الله تعالى إلا أنها لا

(١) العِلْمانيَّة هي: حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى مجرد الاهتمام بالدنيا وحدها، وهي تعني الانسلاخ عن الدين قطعاً، بمعنى عزل كل أشكال الإيمان والعبادة - خصوصاً الإسلامية - داخل المعابد بعيداً عن مجالات الحياة.

(٢) انظر: د/ صلاح الصاوي: تحكيم الشريعة ص ١٦.

(٣) د/ سفر بن عبد الرحمن الحوالي: شرح رسالة تحكيم القوانين ص ١٦ ط مكتبة الطيب لخدمة التراث الإسلامي - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨م.

(٤) المرجع السابق ص ٣٣، ٣٤ بتصرف.

(٥) الفرق بين الشرطين الأول والثاني: أن الأول ينكر الشرع أصلاً، والثاني يقر به ولكن يفضل غيره عليه، ونعوذ بالله من كليهما.

(٦) الشعراء: ٩٧، ٩٨.

(٧) انظر: شرح رسالة القوانين ص ٤١، ٤٢.

تملك التحريم ولا التحليل، ولا أن تدخل أحدًا الجنة أو تقذفه في النار، وأن مسئولية الحاكم أمام الله أضعاف مسئولية أي فرد عادي من رعيته، فهو إذا جار أو ظلم كان أتعسهم حظًا يوم القيامة، وإن هو عدل واستقام كان أوفرهم أجرًا يوم الحساب . . والحكومة الإسلامية تصرف سياستها في حدود ما أنزل الله، في حكمة وفقه يتناسبان مع ظروف كل عصر وملابساته(١).

ويرى الأصوليون - أيضًا - أن الحكومة الإسلامية التي تعرف واجبها وتقدر مهمتها تأخذ الإسلام على أنه عمل جاد، ودأب متواصل، لتقوم حضارة فاضلة عزيزة منيعة، مليئة بالروحانيات والأخلاق، وليسود في العالم سلام ضلت طريقه كل الدول التي يتغنى الناس بأمجادها وكأن الإسلام لا أمجاد له ولا تاريخ . . وكفى بالحكومة الإسلامية فضلاً أنها حافظت على الحضارات القديمة بترجمتها لكتب المنطق والفلسفة والاجتماع، التي أوصلت الغرب إلى ما هو عليه بعد أن أهمل أبناء الإسلام كل أسباب العزة والإبداع(٢).

ويرون - أيضًا - أن الحكومة الإسلامية في تعاملها مع خصومها ومحاربيها، إن حاربت لم تحارب إلا دفاعًا عن حقها في تبليغ كلمة الله إلى الناس أجمعين، وفي حربها لا تتجاوز المعنويات الإنسانية الحقة، فهي تدفع الأعداء بمثل ما اعتدوا به، بغير إمعان في الانتقام، لا تنتهك حرمة، ولا تعتدي على عرض، ولا تتبع الفارين، ولا تجهز على الجرحى، ولا تعذب المأسورين(٣)، وهي - أيضًا - تكفل للناس حرية الرأي على مستوى لن ترقى إليه مجتمعات اليوم، وذلك لأنها تستمد دستورها من العلي الكبير الذي يقرر: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٤) وليس بعد هذا حرية للإنسان، ولم يسعد بأمن واستقرار وحرية عبادة، وحرية معاملات شخصية ومالية وعقيدية، كالذي سعدت به في ظل الحكومات الإسلامية(٥)، ونماذج التاريخ كثيرة فليراجعها من شاء(٦).

---

(١) انظر: الأستاذ/ عمر التلمساني: الإسلام والحكومة الدينية ص ١٩ ط دار النصر للطباعة الإسلامية - القاهرة ١٩٨٥.
(٢) المرجع السابق ص ٢٣، ٢٤. (٣) المرجع السابق ص ٢٤.
(٤) الكهف: ٢٩.
(٥) انظر: عمر التلمساني: الإسلام والحكومة الدينية ص ٢٨.
(٦) نشير إلى موجز لهذه النماذج: فالأقلية التي تعيش في بلد إسلامي ربما وصلوا إلى درجات الوزارة بل ورئاسة الوزارة بينما الأقلية المسلمة في أي بلد آخر قلَّ أن يوجد منها وزير في حكومات تلك البلاد.

ويرون - أيضًا - أن الحكومة الإسلامية ترعى عهودها وتحترم قوانينها(١)، ألا ترون أنها ممنوعة من نصرة مسلم على من بيده، عهد أو ميثاق أيًا كان دينه؟ وأنها ملزمة أن تفي بالمعاهدات في دقة متناهية وحرص كامل، احترامًا للأمر القرآني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ (٢). إنها تفعل ذلك دينًا ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌۗ﴾ (٣)، وبهذا يتوفر الأمن والسلام قولاً وفعلاً، السلام الذي فشلت كل المعاهدات والمؤسسات العليا في تحقيقه بين الناس(٤).

هذا هو خلاصة ما يراه الأصوليون حول الحكومة الإسلامية.

ويستشهد الأصوليون على أحقية هذا الهدف وهو تحقيق الحكومة المسلمة، بالإضافة إلى النصوص الشرعية - بأقوال بعض مفكري الغرب الذين درسوا الإسلام ونظامه، ووقفوا على معالم العظمة الشاملة لكل ناحية من نواحي الحياة.

يقول الأستاذ/ عمر التلمساني(٥):

«وأعجب العجب أن أعداء الإسلام أعلم بقدرة الإسلام على العطاء والدواء والشفاء من هؤلاء المسلمين الذين يتنكرون لدينهم ويظنون أن السلامة مما نحن فيه كائنة في غيره، وقد أراد الله في قراءاتي لبعض الكتب المترجمة وغيرها، أن أعثر على كتب طائفة من علماء التاريخ الغربيين وما قالوه، عن الإسلام، والفضل ما شهدت به الأعداء، فاقرأ معي:

يقول د/ فنرجرالد: «ليس الإسلام دينًا فحسب، ولكنه نظام سياسي أيضًا» وقد بنى

---

(١) قارن بين هذه الصورة للحكومة الإسلامية وبين الخيانات الدولية التي تفعلها الحكومات المتحضرة، ومن طريف ما يذكر أن القائد الإنجليزي الذي كان يقود كتائب العرب في الحرب العالمية الأولى يعترف ويقول: لقد خاض العرب هذه الحرب في جانبنا في مقابل وعود أعرف أنها لن تتحقق وكان يجب عليَّ أن أنصحهم، ولكنا فضلنا أن نكون منتصرين ناكثي العهد أفضل من أن نكون منهزمين أوفياء!!

(٢) المائدة: ١. (٣) الأنفال: ٧٢.

(٤) الإسلام والحكومة الدينية ص ٣٨ بتصرف.

(٥) عمر التلمساني هو أحد قادة جماعة الإخوان المسلمين، وهو من مواليد القاهرة عام ١٩٠٤م ويرجع أصل عائلته إلى بلدة تلمسان بالجزائر حيث هاجر جد أبيه عند الاحتلال الفرنسي للجزائر عام ١٨٣٠م واستقر في القاهرة، وكان قد حصل جده على الباشوية في عهد السلطان عبد الحميد وتربى في حياة ناعمة واختير مرشداً عاماً للإخوان عقب وفاة الهضيبي عام ١٩٧٣.

انظر: محمد عبد الحليم حامد: مائة موقف من حياة المرشدين لجماعة الإخوان المسلمين ص ١٢٢ ط دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

صرح الإسلام كله على أساس أن الجانبين متلازمان لا يمكن أن يفصل أحدهما عن الآخر.

وقال الأستاذ/ نالينو: لقد أسس محمد في وقت واحد دينًا ودولة، وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته.

وقال د/ شاخت: الإسلام يعني أكثر من دين، إنه يمثل أيضًا نظريات قانونية وسياسية، وجملة القول أنه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معًا.

وقال الأستاذ/ ستروثمان: الإسلام ظاهرة دينية سياسية، إذ أن مؤسسه كان نبيًا، وكان سياسيًا حكيمًا، أي رجل دولة.

وقال الأستاذ/ ماكدونالد: في المدينة تكونت الدولة الإسلامية الأولى، ووضعت المبادئ الأساسية للقانون الإسلامي.

وقال سير توماس أرنولد: كان النبي في نفس الوقت رئيسًا للدين ورئيسًا للدولة.

وقال الأستاذ/ جب: عندئذ صار واضحًا أن الإسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل له أسلوبه المعين في الحكم وله قوانينه وأنظمته الخاصة به(١).

٥- العمل على تحقيق الوحدة الإسلامية:

من أهداف الأصولية الإسلامية العمل على تحقيق الوحدة الإسلامية، وضم أجزاء الوطن الإسلامي في وطن واحد متماسك، فذلك سبيل عزة المسلمين، إذ أن الأمة الإسلامية ما عرفت التفرق على هذا النحو البغيض، بل أتت عليها أيام كان المسلم يمضي ربما من الأندلس إلى الصين، ولا يشعر بغربة ولا وحشة، لأنه يعتقد أن كل بيت في هذه الأرض الإسلامية بيته، وكل طعام فيها طعامه، وكل من فيها إخوانه، بل أتت على الأمة الإسلامية أوقات ربما وقف الخليفة معبرًا عن وحدة أمته وتماسكها وهو يخاطب السحاب، كما قال هارون الرشيد ذات مرة للسحابة: أمطري حيث شئتى فسيأتيني خراجك(٢).

---

(١) الإسلام والحكومة الدينية ص ٤٢، ٤٣.

(٢) الشيخ/ علي الطنطاوي: رجال من التاريخ ص ٩٠ ط مؤسسة الرسالة الطبعة السادسة ١٩٨١م.

وما ذاك التحدي إلا لأن هذه البقاع المترامية كانت تعمرها أمة واحدة، وتحكمها دولة واحدة، وتخفق في أجوائها راية واحدة، وتسري في أوصالها عاطفة مشتركة.

ويرد الأصوليون الإسلاميون التفرق الذي يسود العالم الإسلامي إلى بعد المسلمين عن شريعتهم، لأن ذلك ما نبأ به القرآن الكريم، حيث أخبر أنه إذا وقع التنازع بين صفوف المسلمين كان الفشل الذريع، وإذا فشلوا في توحيد الصف ذهبت هيبتهم فاجترأ عليهم عدوهم، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١). فإذا ما وصلت الأمة الإسلامية إلى هذا الحد من الخواء الروحي لبعدها عن شريعتها، أصبح الأمر ميسورًا أمام الاستعمار ليمزق أوصالها، ويخلق منها شعوبًا متناكرة متدابرة، لا يحفظ أحدها للآخر نسبًا، ولا يرعى له ودًا، وتحسب هذه الأشلاء التي تمزقت من الأمة الإسلامية بنحو بضع وثلاثين دولة أو إقليم، ففي إفريقيا: المغرب وتونس والجزائر وتشاد وغانا وغينيا ونيجيريا وأوغندا وصوماليا وإرتريا والحبشة والسودان ومصر وليبيا.. وفي آسيا: اليمن والسعودية والكويت والعراق ولبنان وسوريا والأردن وفلسطين وإيران وأفغانستان وباكستان والهند المسلمة، وإندونيسيا وأوزبكستان وتركستان ومسلمي القوقاز ومسلمي الصين وتركيا.. أي أن أكثر من ثلث المؤسسة المعروفة الآن بمؤسسة الأمم المتحدة يتكون من أجزاء الأمة الإسلامية التي قطع الاستعمار أوصالها على هذا النحو المؤسف، وحظر عليها أن تتواصى بدين أو تتعارف على إيمان(٢).

وينظر الأصوليون بعين العجب إلى التكتلات الغربية والشرقية ويقارنون بين الشتات الذي يسود المجتمعات الإسلامية، ففي روسيا وحدها مثلاً أكثر من مائتي مليون إنسان، وفي الصين نحو ستمائة مليون إنسان، وهما دولتان اثنتان تدور في فلكهما عدة دويلات شيوعية لا تنفك عنهما، أما البلاد الإسلامية فقد يأتي الاستعمار إلى قطعة من الصحراء، ويرسم حولها حدودًا موهومة لمنطقة لا يسكنها إلا مليون من الناس ثم يصنع فيها دولة لها ملك ووزراء وسفراء(٣)!!

---

(١) الأنفال: ٤٦.

(٢) انظر: الشيخ/ محمد الغزالي: مع الله - دراسات في الدعوة والدعاة ص ٢٥٢ ط دار التوفيق النموذجية - الناشر/ دار الكتب الإسلامية - القاهرة - الطبعة السادسة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

(٣) المرجع السابق ص ٢٥٢ بتصرف.

ولقد تواثبت دول أوربا كلها على دولة الخلافة تواثب الذئاب على جريح مشبع اللحم والشحم، كل يبغي اختطاف شلو منه، وتمزيع بضعة تملأ ماضغيه، واستطاعت هذه الدول الماكرة أن تصنع فتوقًا مروعة بين الدولة المترنحة وشعوبها الكثيرة، فضربت الترك بالعرب والعرب بالترك، وخلصت من مؤامراتها المحكمة إلى النتيجة التي تنشدها، إذ انتثر عقد الأمة الواحدة، وتطايرت حباته إلى كل ناحية[(١)].

وسعى الاستعمار في ضرب الوحدة الإسلامية بإحياء العصبيات القديمة، بحيث يفخر كل بلد إسلامي بنعرة من النعرات العصبية كالفرعونية في مصر والبابلية في العراق والبربرية في بلاد المغرب الإسلامي - وكأن الإسلام لم يصنع لهم شيء، ولم يقل: **«دعوها فإنها منتنة»**[(٢)].

ويرى الأصوليون أن الالتفاف حول العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتطبيق الشريعة - أيضًا - هو أساس وحدة المسلمين، ويرفضون القول بأن الأمة - كما يقول علماء الاجتماع - هي مجموعة من البشر تجمعها أرض مشتركة، ولغة مشتركة، وجنس مشترك، ومصالح مشتركة، ويرون أن هذه العناصر كلها لا اختيار للإنسان فيها، وقد يجتمع على مثلها الحيوان، لكن وحدة الأمة الإسلامية نابعة من وحدة عقيدتها وشريعتها[(٣)].

٦- نشر الدعوة الإسلامية في العالم كله: يهدف الأصوليون الإسلاميون إلى نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها في شتى أنحاء العالم، ويعتمدون في نشدان هذا الهدف على مجموعة من النصوص التي تذكر عالمية الدعوة الإسلامية، من مثل قوله - تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[(٤)] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[(٥)] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[(٦)].. وقوله - ﷺ: **«أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي قبلي.. وكان النبي يبعث في قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»**[(٧)].

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٤.
(٢) مسلم بشرح النووي: ك البر والصلة ٥/ ٤٤٥.
(٣) انظر: الأستاذ/ محمد قطب: واقعنا المعاصر ص ٥١ ط دار الشروق - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧.
(٤) الأعراف: ١٥٨.
(٥) الأنبياء: ١٠٧.
(٦) سبأ: ٢٨.
(٧) البخاري شرح ابن حجر ٤٣٨ ك الصلاة، باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ١/ ٦٦٤.

ويتفانى الأصوليون في العمل على نشر الدعوة عالميًا، إذ أن ذلك أصل من الأصول المقررة في القرآن والسنة، وهم يرون أن أفضل أنواع العمل الدعوي يكون من خلال الانضمام إلى جماعة، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ (١)، فالدعوة إلى الخير - وأعلاها الدعوة إلى الله - واجبة على كل مسلم بقدر استطاعته، فإذا حصل المقصود بفرد أو أفراد لم يطالب الآخرون بإعادة المنكر لإزالته.. والشأن في المسلم المبادرة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون انتظار إلى غيره، فقد لا يقوم به غيره فيقع في الإثم (٢).

ويستدل الأصوليون على وجوب العمل الجماعي في نشر الدعوة في الوقت الراهن بما نراه من تحالف قوى البشر واجتماع كلمتهم على حرب الإسلام وأهله، رغم اختلاف عقائدهم ومللهم وأجناسهم وقلوبهم وأهوائهم إلا أنهم تنادوا جميعًا بنداء سحرة فرعون: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ (٣). فإذا ما علم المسلم أنه يواجه حربًا ضروسًا منظمة الصفوف. محددة الأهداف والخطط والبرامج.. علم أنه لا بد من مواجهة هذه الحرب بمثلها ولا يكون بالمواقف الفردية، ولا بتشرذم الأمة وتفرقها، وإنما يكون بالعمل الجماعي، الذي تجتمع عليه كلمة الأمة وتتألف عليه قلوب العاملين لدين الله تعالى (٤).

ويرون - أيضًا - أن العمل الدعوي لا بد أن يسبقه تخطيط وتنظيم وإعداد جيد، ذلك لأن العمل العشوائي قليل الجدوى، وكثيرًا ما يحدث به الانحراف عن طريق الصواب (٥).

ويقوم الأصوليون في سبيل تحقيق هذا الهدف بإلقاء المحاضرات، وتوزيع الكتب والنشرات، وكذلك إصدار بعض الصحف والمجلات الدينية..

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) انظر: د/ عبد الحميد هنداوي: دراسات حول الجماعة والجماعات ص ٤١١ ط مكتبة التابعين - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦.

(٣) طه: ٦٤.

(٤) دراسات حول الجماعة والجماعات ص ٤١٣، ٤١٤ بتصرف.

(٥) انظر: مصطفى مشهور: طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف ص ٥١ ط دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - الطبعة الرابعة، وانظر: محمد عبد الله الخطيب: الدعاة والتخطيط ص ٢٤ وما بعدها.. ط دار المنار الحديثة - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩م.

هذه هي الأهداف التي يسعى الأصوليون الإسلاميون لتحقيقها، وهي أهداف تكاد تكون مشتركة عند أكثر الحركات الأصولية الإسلامية.

واتحاد أهداف الأصوليين الإسلاميين أمر واضح جدًا لكل من يرقب هذه الظاهرة، حتى إن بعض الخبراء الغربيين المعنيين بدراسة تلك الظاهرة يقررون وحدة أهداف الأصوليين الإسلاميين، يقول دانيل بايبز وهو يتحدث أمام الكونجرس الأمريكي في مناقشاته حول الأصولية:

«لم تكن للاختلافات في المذهب أو الموقع أي تأثير هام على وجهات نظر الأصوليين، وبالرغم من أنهم يعيشون في مناطق مختلفة من العالم في غرب أفريقيا وفي الشرق الأوسط، وفي وسط آسيا، وفي جنوب شرقها، فإنهم يسعون إلى تحقيق نفس الأهداف وهي تطبيق الشريعة المستند إلى القرآن والسنة، بما فيها نظام الحدود والضرائب، والدرجة الثانية لغير المسلمين، والحرب ضد غير المسلمين، وتحقيق الانسجام بين الحكومات الإسلامية، وفي النهاية وحدة كل المسلمين في سلام تحت إمرة حاكم واحد»(١).

ولكن برغم اتحاد أهداف الأصوليين الإسلاميين، فإن مناهجهم ووسائلهم في تحقيق تلك الأهداف قد اختلفت من حركة إلى أخرى، وهذا ما سأوضحه في المبحث التالي بمشيئة الله تعالى.

* * *

(١) د/ أحمد إبراهيم خضر: الإسلام والكونجرس ص ٣٤١، ٣٤٢.

المبحث الرابع

حول مناهج الأصولية الإسلامية

ويشتمل على:

الأول : الاتجاه السلفي .

الثاني : الاتجاه التبليغي .

الثالث : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الرابع : الاتجاه التشريعي .

الخامس : الاتجاه الجهادي .

السادس : العمل السياسي .

السابع : محاذير يجب اجتنابها ليتكامل منهج العمل الإسلامي .

الحقيقة أن حركات الصحوة الإسلامية (أو ما أسموه بالأصولية) وإن اتحدت أهدافها، أو تقاربت غايتها، إلا أن المنهج أو الوسيلة المستخدمة لتحقيق هذا الهدف قد تختلف من حركة إلى أخرى.

ونحاول في هذا المبحث بمشيئة الله تعالى. استقصاء أطراف مناهج العمل الإسلامي الذي سلكته حركات الأصولية الإسلامية بالعرض والتقييم والعلاج ما أمكن حسبما يمن به الرحمن.

وبنظرة واقعية إلى حركات الأصولية الإسلامية نجد أنها برغم تعددها وتعدد اتجاهاتها إلا أنه قد تشترك في الاتجاه الواحد أكثر من جماعة، لذلك سأقسم مناهج الأصولية الإسلامية إلى عدة اتجاهات على النحو التالي(١):

الأول: الاتجاه السلفي(٢):

وهو اتجاه إحيائي ينزع إلى تصحيح العقائد، وتجريد الاتباع، وتزكية الأنفس، وترسم خطا سلف الأمة الصالح في القول والعمل، ويمثل هذا الاتجاه السلفية في مصر وأنصار السنة المحمدية.

وبرنامج هذا الاتجاه في التغيير برنامج علمي تربوي، يتجه أساسا إلى الاهتمام بتزكية الأنفس وسلامة العقائد، وإحياء فقه السنة، ولم يتميز ببرنامج عملي محدد لإقامة الدولة الإسلامية على نحو ما عرف عند كثير من فصائل العمل الإسلامي كما سيأتي.

ولا منازعة في أن فصائل العمل الإسلامي تلتزم جملة بعقيدة السلف ومنهج أهل السنة والجماعة، وإن كانوا يتفاوتون في تحقيق ذلك علما وعملا حسب التفاوت في القدرات، والتفاوت في ترتيب الأولويات، وإنما يقع النزاع في بعض التفاصيل، فقد يعتب الاتجاه السلفي على غيره ضعف اهتمامهم بالجانب العقدي، أو تساهلهم مع

---

(١) أقرر في هذا المبحث أن الله - عز وجل - نفعني فيه بمؤلفات الدكتور/ صلاح الصاوي أكرمه الله، وهو صاحب خبرة واسعة في مجال العمل الإسلامي المعاصر.

(٢) النسبة في هذا الاتجاه إلى السلف الصالح وهم الصدر الأول من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وهم خيار هذه الأمة، مشهود لهم بالخير على لسان المعصوم ﷺ «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» رواه البخاري (في كتاب الشهادات).

بعض البدع وقلة اهتمامهم بالعلم الشرعي، وقد تعتب بقية الاتجاهات على هذا الاتجاه إفراطه في العكوف على بعض المباحث النظرية في باب العقائد، وضعف اهتمامه بواجب الوقت وقضايا الأمة المعاصرة كإحياء الخلافة. وتطبيق الشريعة، والتصدي لخصومها من العلمانيين وأضرابهم وشدته على المخالف في بعض الأحيان وفى بعض المسائل الجزئية شدة قد تقضى إلى التهارج[(١)].

كما قد يتبادل الفريقان العتب في قضية التمذهب وموقف طالب العلم من هذه القضية، فالاتجاه السلفي يثبت مرتبة الاتباع، وهى لمن له أهلية فهم الحجة من العامة وطلبة العلم، وكثير من الاتجاهات الأخرى يرى أن هذه المرتبة إحدى مراتب العامية وأنه لا يخرج بها الشخص عن دائرة العوام، مع اتفاق الكلمة على أن الدليل الصحيح الذي لا معارض له لا يجوز رده بقول أحد الناس وأن الاجتهاد وظيفة العلماء والتقليد وظيفة العوام[(٢)].

والسلفية المنشودة هي سلفية المنهج، أي العودة بأصول الفهم إلى الكتاب والسنة وقواعد الفهم المعتبر لدى القرون الثلاثة الأولى، وذلك لنتمكن من خلال هذا المنهج من المواجهة السلفية المعاصرة لمشكلات حياتنا المتجددة.

فلا يقصد بالسلفية إذن مجرد الوقوف عند بعض المفاهيم أو القضايا العقيدية التي واجه بها سلفنا الصالح انحرافات عصرهم وكانت فريضة الوقت يومئذ وإغفال أو التخلي عن المعارك الطاحنة التي تدير الجاهلية رحاها في المجتمعات المعاصرة طمسا لمعالم الإسلام وإبادة لخضراء المسلمين[(٣)].

إن السلفية الحقة لا تقبل أن تستهدف الدعوة في بعض المواقع تحرير العقائد من شرك الأموات والأوثان وتضرب الذكر صفحا عن شرك الأحياء والأوضاع والنظم المعاصرة، وهو الذي لا يقل خطرا عن شرك الأصنام في الجاهلية الأولى، ولا تقبل كذلك أن تعلن الحرب على التشبيه أو التعطيل في بعض الصفات ولا تعلن على تعطيل

---

(١) د/ صلاح الصاوي: مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي ص ١٧٨، ١٧٩ ط الآفاق الدولية للإعلام - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣، وانظر الشيخ/ سلمان بن فهد العودة: الإغراق في الجزئيات ص ٣٢- ٣٨ ط دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع - الإسكندرية عام ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي ص ١٧٩.

(٣) مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي ص ١٨٣.

الشريعة وتحكيم القوانين الوضعية والفصل بين الدين والدولة، والأولى معركة في غير ميدان لا يملك فيها الخصم سيفا ولا سنان، والثانية أتون مستعر يلتهم الأصول والفروع ويأتي على بناء الإسلام كله من القواعد(١).

وبالطبع يتخذ هذا الاتجاه عدة وسائل في تنفيذ هذا المنهج ممثلة فى إصدار بعض الكتيبات والمجلات والمنشورات وفى دروس المساجد والندوات والمحاضرات، كذلك يتخذ أصحاب هذا الاتجاه من المساعدات الاجتماعية وسيلة لنشر منهجهم، فلهم باع واسع في أعمال البر بالفقراء والمساكين وإعانة الطلبة المستحقين لمواصلة دراساتهم..

الثاني: الاتجاه التبليغي:

يدور الاتجاه التبليغي حول محور العمل على إحياء العمل بفضائل الإسلام ونقل العامة من بيئة الغفلة إلى بيئة الذكر، ومن بيئة المعصية إلى بيئة الطاعة بعيدا عن التشكيلات الحزبية وكافة المسائل الخلافية، ويغلب على هذا الاتجاه الإجمال في الدعوة، وضعف العلم الشرعي، والمبالغة في المسالمة وذلك بعدم التعرض للحسبة أو الجهاد، وعدم الإنكار على المخالف بصفة عامة(٢).

ويمثل هذا الاتجاه منهج جماعة التبليغ والدعوة، وهو منهج لا يصح تصنيفه - مع غيره من مناهج العمل الإسلامي - على أنه اختلاف في الأصول والاعتقاد، لأن من أصول هذا المنهج البعد عن الخلافات العقدية، وليست له اختيارات محددة في هذا الباب، ولهذا فإن عقائد أتباعه تتأثر بحسب الواقع الذي ينشأون فيه، فمن نشأ في موضع إشاعة السنن وسلامة العقائد كان أقرب إلى السنة، وإلى سلامة الاعتقاد ممن نشأ في مواضع تسودها البدع والخرافات، كما لا يصح تصنيفه على أنه من جنس الاختلاف في الفروع والمذاهب الفقهية، لأن من أصوله البعد عن الخلافات الفقهية وليس لهذا المنهج اختيار مذهبي محدد يلتزم به أتباعه، وإنما يتفاوت الأمر بحسب المذهب السائد في المنطقة التي تنشأ فيها الدعوة(٣).

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٤، وانظر د/ صلاح الصاوي: تحكيم الشريعة وصلته بأصل الدين ص ٤٠ ط دار الإعلام الدولي - القاهرة - ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.
(٢) مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي ص ٢٠٣.
(٣) المرجع السابق ص ٢٠٣، ٢٠٤.

ويمكن تصنيفه - مع غيره من مناهج العمل الإسلامي - على أنه يختلف معها في ناحية الحرب أو المسالمة، فالغالب عليه المبالغة في المسالمة، ولعل الظروف التي واكبت نشأة هذه الدعوة كان لها أعظم الأثر في تشكيل هذا المنهج، فقد نشأت الدعوة في ظروف الارتداد وطغيان الحضارة الغربية ومنهجها العلماني تحت حراسة الاستعمار الأوربي، وفي مجتمع أقلية مسلمة مستضعفة حرمت من فرص التعليم وانكفأت بمناهجها حول نفسها، ووسط موج هائل من أغلبية مكَّنتها كثرتها من إتاحة الفرصة للتعليم والعمل، وردود فعل تجاه الحضارة الإسلامية التي سادت زمنًا في الهند . . فكان هدف جماعة التبليغ الأساسي إخراج الناس من الغفلة إلى الذكر ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الشعور بالمذلة والصغار إلى الاعتزاز بالانتساب إلى الإسلام.

وقد نظر بعض أهل العلم إلى هذا المنهج على أنه منهج الخطوة الأولى، وأن دعاته هم دعاة الخطوة الأولى، ودعوتهم هي دعوة العوام إلى العوام، ونظرًا لهذا الإجمال ثار جدل عريض حول شرعية هذا المنهج، ومدى القدرة على القول بقبوله في واقع العمل الإسلامي كإطار من إطارات العمل الأولية بحيث يتكامل مع غيره من المناهج الأخرى في التمهيد لبناء الفرد المسلم، وإقامة المجتمع المسلم والدولة المسلمة(١).

ويؤخذ على هذا المنهج عدم الشمولية لمختلف حقائق الإسلام، لكنه لا شك أنه إذا تكامل مع غيره من المناهج، ولم ينظر إليه على أنه نهاية الإرب عند من يحملون الدعوة إليه لكان حسنًا.

وليس للقائمين بهذا المنهج من الوسائل إلا الوعظ والإرشاد فيما يسمونه **«قوافل التبليغ»** حيث تحمل كل قافلة معها من الفرش والزاد ما يكفيها لتلك الرحلة ثم تنطلق إلى المكان المعين(٢).

وليس لهم جهد يذكر في المجالات الخدمية ثقافيًا واجتماعيًا أو صحيًا، وربما كان السبب في ذلك قلة الموارد المالية للجماعة، وعدم اعتبارهم تلك المجالات في أصول منهجهم.

---

(١) انظر: مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي ص ٢٠٣.
(٢) انظر: الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٣٠٤.

الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يدور هذا الاتجاه حول إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجديد رسومها، ويلتف حول هذا الاتجاه - أو المنهج - بعض فصائل الصحوة الإسلامية المعاصرة وفي مقدمتهم الجماعة الإسلامية بمصر، وهي تتطلع إلى الجهاد في سبيل الله بمفهومه الشامل، أي إقامة الدولة الإسلامية، وإلى محاربة الفساد المستشري في أوساط الأمة في إطار فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد نازعهم جهود العمل الإسلامي المعاصر في الأسلوب الذي يتم به أداؤهم لهذه الفريضة، ووقع بينه وبينهم من التهارج والخصومات ما تنفطر له القلوب، وهم على الجملة أهل صدق وإخلاص، وحاجة العمل الإسلامي إلى جهادهم وبلائهم حاجة ماسة، على أن يتم ذلك في إطار من الرشد واعتبار المآل، والنظر فيما يصلح وما لا يصلح، مع الحرص على التكامل مع الآخرين.

وتكاد تنحصر المنازعة في مسألة التغيير باليد، حيث ترى أصحاب هذا المنهج جواز التغيير باليد بالنسبة للأفراد، وأن المصلحة العائدة منه تربو على المفسدة، وينازعهم الآخرون فيرون أن التغيير باليد هو وظيفة الحكام وأصحاب الولاية والسلطان، ومنهم من يوافقهم على مشروعية التغيير باليد للأفراد إلا أنه يرى أن المفسدة تربو على المصلحة عند تطبيق هذا المنهج في الوقت الحالي، فيترجح معه كف يد الأفراد عن ذلك بناء على قاعدة الشريعة في الموازنة بين المصالح والمفاسد(١).

وهذا المنهج وإن كان من أخص خصائص أمة محمد ﷺ قال- تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٢)، إلا أن بعض فصائل الصحوة الإسلامية التي تذرعت هذا المنهج وأعلت شارته، لم تأخذه بضوابطه التطبيقية كما فصلها القرآن الكريم حيث قال- تعالى-: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(٣).

---

(١) انظر: مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي ص ١٦٣، ١٦٤.

(٢) آل عمران: ١١٠. (٣) النحل: ١٢٥.

وبقدر ما رأى لهم المجتمع من أياد بيضاء في تنظيف المجتمع من الرذيلة والفاحشة، رأى لهم أيد لطخت بالدماء.

وقد كان لهذا المنهج آثار سلبية على حركة الصحوة الإسلامية المعاصرة نجملها فيما يلي:

١- استنفار العامة ضد العمل الإسلامي وتصويره لهم على أنه نوع من الإرهاب والتطرف، بما يؤدي إلى تعميق الفجوة بين التيار الإسلامي وبين عامة الناس في مرحلة هم أحوج ما يكونون فيها إلى التلطف في التعريف والمداراة والتأليف.

٢- التشويش على القضية الأصلية التي انتصب التيار الإسلامي لحملها وإقامتها في الأمة، وهي قضية التوحيد وتحكيم الشريعة الأمر الذي يقضي إلى حصر العمل الإسلامي في نطاق الاحتساب على هذه المنكرات الجزئية.

٣- استنزاف وقت الدعاة في هذا التهارج، وانشغالهم به عن الانقطاع لتربية القاعدة وتصحيح المفاهيم والعمل على استفاضة البلاغ وإقامة الحجة.

اختلاط الدعوة في هذه المرحلة بحمية الجاهلية وتجاذب العصبيات نتيجة ردود الأفعال المتوقعة لهذه الأعمال من قبل الفريقين وهي أحوج ما تكون إلى النقاء والتجرد.

٦- تبديد الجهود وتفريغ الطاقات في هذه الأعمال الجزئية والانشغال بها عن التفرغ لمواجهة المنكر الأكبر الذي انبعثت عنه كل هذه المنكرات الجزئية[١].

٧- ومن أخطر الآثار السلبية التي تربت على هذا المنهج استغلال خصوم الإسلام بعض الوقائع التي جانب فيها أصحاب المنهج الصواب في التشنيع على الإسلام عمومًا وليس عليهم هم كأفراد، وقد لاقى هذا التشنيع رواجًا عند الكثيرين حتى من المسلمين، في ظل غياب الوعي الإسلامي، ورهبة الأحداث والوقائع، فأصبح الثابت لدى الكثيرين أنه لو قامت الدولة الإسلامية التي تنادي بها حركات الصحوة لغدت الأرض كلها بمثابة سجن كبير، الناس فيه حبيسو الضوابط والتكاليف، وفوق هذا

(١) مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي ص ١٧٣.

القمع لإتيان هذه التكاليف.

هذه هي أهم الآثار السلبية التي تترتب على التغيير باليد للأفراد الذي اتخذه أصحاب منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منهجًا لهم.

وأحب أن أشير هنا إلى نقطة هامة وهي أن أصحاب هذا المنهج يحاولون نسبة آرائهم وأفعالهم إلى الأعلام الكبار من أهل السنة أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية (١)، وابن القيم (٢) . . وغيرهما، مما أساء إلى هؤلاء الأعلام.

حتى غدا الناس - كثير منهم - يكرهون ابن تيمية وابن القيم، لا لشيء إلا ما يسمعونه من نسبة هذا المنهج إليهما!!

حتى لو أنك أفتيت واحدًا برأي لابن تيمية ولو كان فيه من اليسر ما فيه كأن تقول له أن ابن تيمية لا يوقع طلاق من حلف بعليّ الطلاق. ومع ذلك ربما سمعته يقول لك: دعنا من ابن تيمية أليس في أقواله شدة!!

بل ربما سمعنا من يتطاول فيكفر شيخ الإسلام ابن تيمية، ويتهم أصحاب هذا المنهج أنهم خوارج القرن العشرين ويتأول الأحاديث فى ذلك.

وما جر كل هذا على الأمة وأعلامها والمخلصين من رجالها إلا قلة الفقه وعدم تحسس مواضعه، وذهابه فى طيات الحماس الديني، فلا بد من الفقة الزكى قبل الحماس القوى.

وأجد هنا لزامًا عليّ أن أذكر من أقوال العلماء ما يبين ضوابط هذا المنهج:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في العارض له فإن كان الذى يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، وتقدير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة» (٣).

---

(١) ابن تيمية هو: الإمام الحجة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني، عرف بسعة علمه وكثرة اطلاعه وحسن اجتهاده وغيرته على الدين ويعتبر هو مجدد فكر السلف في عهده.

(٢) ابن القيم هو: أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب الدمشقي ولد عام ٦٩١ هـ لازم شيخه ابن تيمية وتفنن في كافة علوم الإسلام، وله مصنفات جليلة، توفى رحمه الله عام ٧٥١ هـ.

(٣) ابن تيمية: مجموعة الفتاوى ٢٨/ ٢٩ ط دار الرحمة (جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد النجدى).

ويقول ابن القيم - رحمه الله - : «إن النبى ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله ، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يمقته ويبغض أهله»(١) .

وابن رجب الحنبلى رحمه الله : (من خشى فى الإقدام فى الإنكار على الملوك أن يؤذى أهله أو جيرانه لم ينبغ التعرض لهم حينئذ، لما فيه من تعدى الأذى إلى غيره كذلك قال الفضيل بن عياض وغيره ومع هذا متى خاف منهم على نفسه السيف أو السوط أو الحبس أو القيد أو النفى أو أخذ المال أو نحو ذلك من الأذى سقط أمرهم ونهيهم)، وقد نص الأئمة على ذلك : منهم الإمام أحمد وإسحاق وغيرهم ، قال أحمد : (لا يتعرض إلى السلطان فإن سيفه مسلول) (٢) .

وقال العز بن عبد السلام . سلطان العلماء «التقرير عن المعاصى كلها مفسدة، لكن يجوز التقرير عليها عند العجز عن إنكارها باليد واللسان ومن قدر على إنكارها مع الخوف على نفسه كان إنكاره مندوبًا إليه . ومحثوثًا عليه» .

ومن هذه الأقوال التى ذكرتها لأشهر العلماء الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر يتضح أن التغيير باليد على هذا النحو يؤدى إلى مفسدة عظيمة وسيحدث التنازع والتهارج والتقاتل .

إن الدعوة إلى - الله تعالى - ، لازالت تعيش أيام غربتها وهى بحاجة إلى التأليف والمداراة مع الجميع أكثر من حاجتها إلى الزجر والهجر لأنها لم تملك بعد أسباب الردع الكافية .

الرابع: الاتجاه التشريعى:

وهو اتجاه يحمل على عاتقه لواء قضية التشريع وبيان صلتها بأصل الدين .

وقد بدأ هذا الاتجاه معتدلاً . والتف حوله مجموعة من فصائل العمل الإسلامى، وكان يتلخص منهجه فى العمل : فى الدعوة إلى تصحيح المفاهيم، وتربية القاعدة

---

(١) ابن القيم : إعلام الموقعين ٣/ ١٥ ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٧٠ .

(٢) ابن رجب الحنبلى : جامع العلوم والحكم ص ٢٨٢ ط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - تحقيق د/ محمد بكر إسماعيل .

الإيجابية، وإبراز قضية التوحيد وأنها شاملة لقضية الحكم والموالاة، بالإضافة لشمولها الشعائر أو توحيد العبادة .

وجماع ما يقول به أهل هذا المنهج من الإسلاميين : هو أن قبول الحكم الشرعى والتزامه جزء من الإيمان المجمل ، وأن من رد الحكم الشرعى كان كمن كذب به كلاهما كافر مخلد فى النار .

ويتميز هذا الاتجاه بعمق تربيته العقدية لأتباعه ، وشدة عنايتهم بمتابعة حركة الأحداث ومدى تأثيرها على العمل الإسلامى بالإضافة إلى الاعتناء بدراسة كتب الأصول [١] .

ولكن هذا الاتجاه برغم هذه الميزات إلا أنه اتسم الاختلاف داخل صفوفه، وكان من أهم ما ثار حوله الاختلاف :

١. قضية العذر بالجهل [٢] : بمعنى هل يعذر الناس بجهلهم بأمور الشريعة أم لا قبل العذر بجهلهم ؟

٢_ وكذلك قضية الموالاة للذين يحكمون بغير ما أنزل - الله تعالى - ، وهل بلغت الأنظمة المعاصرة مبلغ الرد للحكم الشرعى فتكون فى حالة كفر أكبر و لاعبرة بما تدعيه من الضغوط وما تزعمه من التوجه إلى التغيير لقيامه على محض المخادعة والكذب، أم أن ما تزعمه من ذلك يصلح شبهة تدرأ عنها وصف الرد وتكون فى حالة كفر أصغر ؟

فوجد من يقول بأن : عقد الإسلام يثبت من الظاهر لكل من أبدى صفحته بالإسلام، ولو بمجرد الانتساب إليه أو الولادة من أبوين مسلمين ووجد من يقول بأن إسلام الشخص يتقرر فى ضوء موقفه من مظلة الحكم بغير ما أنزل الله ولاء أو براء فإن محله عند تمايز الصفوف واستفاضة البلاغ استفاضة تقطع العذر وتزيل الشبه .

ووجد من يقول بعذر الجاهل لأن القول بعدم عذره يترتب عليه تكفير الأمة أو التوقف فى إسلامها لأن من نجا من شرك النسك ولم يجنح نحو القبوريين لم ينج من

---

(١) انظر : مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي ص ١٩٢، ١٩٣ .
(٢) قضية العذر بالجهل .

شرك الموالاة بإقراره لهذه النظم وعدم الإنكار عليها (١).

ووجد أيضًا من يقول بعدم عذر الجاهل، وزعموا أن القول بعذر الجاهل لو فتح بابه لدخل فيه اليهود والنصارى وعذروا بجهلهم ولم يقطع بكفرهم حتى تقوم عليهم الحجة!!

وعلى إثر هذه الاختلافات الضاربة حدثت فرقة بين أصحاب هذا المنهج فانشق عنه منهج اشتهر بالغلو لأبعد الحدود.

وذلك الذى يعرف بمنهج «التكفير» أو «التوقف والتبين» ويعنى التوقف فى الحكم بإسلام أى أحد من الناس حتى تقوم البراهين على إسلامه.

وكان أول من حمل هذا المنهج هو الشيخ الأزهري: على عبده إسماعيل في معتقلات ليمان طرة فى مصر، غير أنه تراجع عن بدعته، فى حين حمل لواءها أحد تلاميذه وهو: شكرى مصطفى، وكفر شيخه وتولى قيادة هذه الجماعة (٢).

وهذا المنهج «المعروف بالتوقف والتبين» يرى أهله أن الناس ساكتون على الحكم بغير ما أنزل الله ولهذا فهم شركاء للحكام فى كفرهم، سواء رضوا أم كرهوا، والأصل عندهم أن المجتمع بعمومه رايته راية كفر ما دام يحكم بغير ما أنزل الله فى السياسة والاقتصاد والاجتماع.. وهو مجتمع جاهلى لا يختلف عن الجاهلية التى عاصرها المصطفى ﷺ، وديارنا ديار حرب، والناس - كل الناس - كفار مرتدون إلا من علموا كفرة بالطاغوت (٣).

يقول شكرى مصطفى في كتاب له مخطوط غير مطبوع فى مقدمة الكتاب «**لما كان هذا العالم الآن عالما جاهليا.. ولما كانت تلك الجماعات التى ترتع فوق البسيطة مجتمعات جاهلية. فلزم أن نبحث عن: ما هى مواصفات ذلك العالم المسلم؟ وما هى مقومات الجماعة المسلمة؟**

إن هناك مجتمعات وجماعات تحمل شارة الإسلام وتزعم أنها مسلمة وتصرح بذلك

(١) انظر: مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي ص ١٩٤، ١٩٥.
(٢) انظر: محمد سرور بن نايف زين العابدين: التوقف والتبين ص ٥ ط دار الأرقم. برمنجهام. بريطانيا. الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م.
(٣) المرجع السابق ص ١٤.

فى دساتيرها، وهى على النقيض من ذلك الدين الحنيف ، وتلك الجماعات أخطر على الإسلام من هذه التى لم تعترف بوجود الله أصلاً ثم بشرعه وشريعته» (١).

ويطرح سؤالًا «من المسلم عندنا ؟»

ويجيب على ذلك بقوله **«هو من أعلن كفره بالطاغوت وإيمانه بالله وتسليمه له وحده،** الشق الثاني الشهادة بنبوة محمد ﷺ والدخول في طاعته وذلك ركن البيعة، ثم إتيان الفرائض التي افترضها الله عليه مع المداومة على ذلك وتلك عبارة عن حقوق الإسلام كاملة، ولم يأت بناقض ينقض الإسلام أو الشهادة وهو ما يسمى الردة أو الارتداد، فذلك هو المسلم» (٢).

وليته اكتفى باشتراط إتيان الفرائض كدليل على صحة الحكم بإسلام الشخص، بل رفضه وقال في موضع آخر:

« . . وحصيلة أن كل من ينسب نفسه للإسلام في هذه المجتمعات بقولة أو شعيرة لا نضمن منه استيفاء حقوق لا إله إلا الله ولا حقوق الإسلام كحد أدنى، والغالب العام أنه يضيع بعضها أو كلها، ولا يعرف خلاف ذلك منه، ولا أحد يؤدى حقها إلا مسئول خاص أو متدين زائد . . وأصبحت قولة لا إله إلا الله أو فعل شعيرة أو أكثر من شعائر الإسلام ليست برهانًا على أن صاحبها مسلم ولا تدل عليه، ولا تنتقل خطوة واحدة عن كونها ادعاء للإسلام يحتاج إلى بينة أو إثبات أو نفي» (٣).

ويطرح أيضًا سؤالاً عن التبين: **«ولكن ما هو الآن ذلك التبين؟»** ويجيب على ذلك بقوله:

«إن المسألة كلها تتلخص في أن الدعوى بالدخول في الإسلام وإظهار الانتماء إليه بقول أو شعيرة لا يكفي بمفرده للحكم بإسلام المتلبس به إلا بشرط انتمائه للجماعة الإسلامية يعني الادعاء المصاحب بقول أو شعيرة بالإضافة إلى الجماعة التى تضمن استيفاء حق الإسلام والآن لا توجد هذه الجماعة، ولا يوجد إلا الادعاء المصاحب بقول أو شعيرة، فمقتضيات الحكم

---

(١) هذا الكتاب المشار إليه هو نسخة مصورة عن المخطوط الأصلي للكتاب، ويبدو أنه مجرد مسودة للكتاب، لما يبدو عليه من قلة التنظيم.

(٢) المخطوط المشار إليه في الصفحة السابقة ص ٥٣، ٥٤ .

(٣) المرجع السابق ص ١٦٦ .

إذن بناء على ذلك غير موجودة في زمان تلك المجتمعات» (١).

ويقول عن التوقف: «إن ملخص ما يراد إثباته أصلاً في قضية التوقف هو: أن في هذه المجتمعات الجاهلية التي تسمَّت باسم البلاد الإسلامية وراثة من التاريخ هذا الاسم، لا يكون تلبس من لا نعرفه فيها ببعض المظاهر الإسلامية كافيًا بمفرده كدليل للحكم بإسلامه، كما أن مظاهر الكفر التى تقوم عليها هذه المجتمعات في عموم أفرادها ليست أيضًا كافية بسحب حكم الكفر على كل من فيها. بل يجب التوقف بالحكم على من لا نعرفه حتى نتبين كفره من إسلامه فنحكم عليه بذلك» (٢).

ومن هذه الأقوال السالف ذكرها تبدو الصورة القاتمة التى ارتسمت في ذهن ذلك الشاب. عفا الله عنا وعنه. ومن دعا ببدعته نحو المجتمع بأسره، بل إنك تقرأ في الكتاب عبارات « . . **هذا ما يجب أن نحاسب عليه الناس**» و « . . **يجب التوقف بالحكم على من لا نعرفه**» . . وكأنه ليس في الدنيا مسلمين غيرهم، كما أن جماعتهم ليست هي جماعة المسلمين. بناء على مواصفاتها عند أهل العلم. ولا أميرهم أميرًا للمسلمين!!

ويعتقد أصحاب منهج «**التوقف**»كفر من لم يكفر الكافر، ومن رضى بحكم الكافر فهو كافر، والرضا عند غلاتهم درجة واحدة، فكل من قال كلمة يفهم منها رضاه عن الحكومة. ولو كان كقول العامة رئيسنا فلان. كفر بهذا القول لأنه اعترف بشرعية هذا النظام، ويكون حال هذا القائل كحال كفار قريش مع اللات والعزى وهبل بغير فرق . . ويصبح عند أهل التوقف مؤمنًا بالطاغوت، ومن لم يكفره فهو كافر . . وهكذا تتوسع المسألة عندهم لتشمل كل من لم يكفر هذا الكافر ولو كنت لا تعرفه، فإذا قيل لك: ماذا تقول فيمن يقول: رئيسنا فلان؟! فيجب أن تقول هو كافر وفلان الذى لم يكفره كافر، والثالث الذى لم يكفر الثاني كافر وهكذا (٣).

والحق أن تكفير الكافر - البيّن الكفر - الذي يدين بغير الإسلام واجب، والقول بعدم كفره كفر.

قال صاحب غاية المنتهى . . من لم يكفر من دان بغير الإسلام أو شك في كفره . . وكذا من اعتقد أن الكنائس بيوت الله أو أنه يعبد فيها، أو أنه يحب ذلك ويرضاه . . أو

(١) المخطوط المشار إليه قبلُ ص ١٦٩. (٢) المرجع السابق ص ١٧٢.
(٣) محمد سرور بن نايف زين العابدين: التوقف والتبين ص ١٦٥، ١٦٦.

زعم أن الله - تعالى - بذاته في كل مكان مختلطًا بالمخلوقات أو أن عباد الأصنام ما عبدوا إلا الله، أو ادعى ألوهية علي أو نبوته، أو أن جبريل غلط، أو أن القرآن نقص منه شيء أو كتم . . كفر في الكل» (١) .

وكان الشيخ/ ابن تيمية كلما ذكر مسألة من هذه المسائل من الصارم المسلول. يعقب بقوله: «**فهذا لا شك في كفره، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره**» (٢) .

وهذا يعنى غلط ما قال به أهل التوقف من تكفير المسلمين وتكفير من لم يكفرهم.

ومن أعجب ما في هذا المنهج أن أهله يدَّعون أنهم سلفيون، وأنهم لا يقلدون مذهبًا من المذاهب، بل يتمسكون بالدليل ويقدمونه على كل قول، وواقع حالهم يخالف ادعاءهم . . فعقيدتهم في الإيمان تخالف عقيدة السلف الصالح، أما الفقه فيأخذون من كل مذهب ما يوافق بدعتهم ولو كان هذا القول لا يسنده دليل صحيح، وأى قول يتعارض مع بدعتهم يضربون به عرض الحائط سواء كان ذلك في الفقه أو في العقيدة (٣) .

ومن عجائب هذا المنهج أيضًا: أن أصحابه يرون أن هذه المرحلة من مراحل دعوتهم هي مرحلة الاستضعاف ويسمونها المرحلة المكية، وبالتالي يرون أن الزكاة اليوم غير واجبة، لأن وجود الإمام شرط في وجوبها، والذين يقولون بهذا القول منهم يعطلون هذه الفريضة العظيمة، ويعتقدون أنه لا تلزمهم جمعة ولا جماعة، ومنهم من قال: إن التمكين شرط في إقامة الجمعة، ومنهم من قال: إن المساجد كلها مساجد ضرار - واستثنوا من ذلك المساجد الثلاثة - ومنهم من قال لا تصلي وراء من تجهل عقيدته . . ويرون أنه لا يجوز القتال في تلك المرحلة لأنها مرحلة كف الأيدي، ويعيبون على بعض الحركات الإسلامية كالإخوان المسلمين جهادهم في حرب فلسطين والقتال (٤) .

أرأيت أعجب من هذا يكفرون المسلم الذى لا يأتى الفرائض ويتوقفون في الحكم

---

(١) العلامة الشيخ/ مرعى بن يوسف الحنبلي: غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى ٣/ ٣٥٥ ط دار السلام للطباعة والنشر. القاهرة.

(٢) انظر: ابن تيمية: الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول ص ٥٩١ ط دار الجيل. بيروت . ١٩٧٥

(٣) محمد سرور بن نايف: التوقف والتبين ص ٣٥ بتصرف يسير.

(٤) انظر: محمد سرور بن نايف: التوقف والتبين ص ٢٨، ٢٩.

بإسلامه وهم يعطلونها؟ ويرون القتال المشروع ضد اليهود والإنجليز موضع انتقاد، وهو الذى يعز الله به الدين ويحمى به الملة، وقتالهم هم للمسلمين وسفك دمائهم دفاع عن النفس مشروع!!!

إن هذا لشيء عجاب!!

جدير بالذكر أن أصحاب منهج التوقف يعتمدون على أصول الفقه اعتمادًا كليًا. ومن أهم مصادرهم فيه كتاب «الموافقات للشاطبي»[1] - رحمه الله - وبعضهم يكاد يحفظه غيبًا، ومن لا يعرف الشاطبي وسمعهم يكررون اسمه واسم كتابه يظنه لجنة من قيادة هذا التنظيم، والشباب الأغرار عندما يستمعون إلى دروس أهل التوقف ويرون اعتمادهم في الاستدلال على أصول الفقه، يظن أنهم في بقية العلوم الشرعية كذلك.. وهذا الانبهار يتعدى الشباب الأغرار ليشمل المبتدئين من طلاب العلم الذين يحاورونهم وربما تقرع مسامعهم لأول مرة العبارات التى يرددها أهل التوقف كثيرًا مثل: تعارض الأصل مع الظاهر، واختلاف الدلالات، والعموم إذا دخله التخصيص، ومطلق اللفظ، واللفظ المطلق.. فيجد الشاب نفسه أمام مشكلات في الفهم ما كان يضع لها في حسبانه، فضلاً عن أنهم يفهمونه أن هذا الأمر ليس بجديد بل هو قول معتمد عند أئمة أهل السنة[2].

وهؤلاء الذين يظهرون حذق أصول الفقه وبناء منهجهم على أساس منه، كان أحرى بهم أن يحسنوا استخدام أقوال العلماء وفتاويهم!!

ولكن ما أسوأ استغلالهم لأقوال العلماء يلوون أعناقها بما لا تحتمل ويطوعونها لتعضيد موقفهم. ومن ذلك:

قالوا: (من أدلتنا على أن الكافر إذا نطق بالشهادتين لا يحكم له بالإسلام قول ابن حجر العسقلاني[3]: وفيه منع قتل من قال لا إله إلا الله ولو لم يزد عليها وهو كذلك،

---

(١) الشاطبي هو: إبراهيم بن موسى الغرناطي كان من العلماء البارعين في علم أصول الفقه وله مؤلفات كثيرة غزيرة العلم توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٧٩٠ هـ.

(٢) انظر: التوقف والتبينُّ ص ٨٥.

(٣) ابن حجر: هو العلامة: أحمد بن على بن حجر العسقلاني ـ نسبة إلى عسقلان في فلسطين، ولد في نحو عام ٧٧٣ هـ وكان من أفضل من شرحوا صحيح البخارى وله مؤلفات جليلة وكثيرة في الأصول والشروح توفي رحمه الله عام ٨٥٢ هـ.

لكن هل يصير بمجرد ذلك مسلمًا؟ الراجح: لا، بل يجب الكف عن قتله حتى يختبر فإن شهد بالرسالة والتزام أحكام الإسلام حكم بإسلامه، وإلى ذلك الإشارة بالاستثناء بقوله: (إلا بحق الإسلام)[١].

وهذا القول صحيح أنه منقول عن ابن حجر، ولكن الرجل أراد منه خلاف ما أرادوا، فقد ساق ابن حجر هذا القول وهو يعدد - كعادته - الفوائد التى استنبطها من الحديث الذي دار فيه الحوار بين أبي بكر وعمر بشأن مانعى الزكاة، فهو في إطار الكلام عن استتابة المرتدين، وطبيعي أن يستدل الحافظ ابن حجر في مثل هذا الموضع بالقول المشهور للجمهور من العلماء: بأنه لا يكفي إقرار المرتد بالشهادتين بل لابد معهما من الإقرار بما كان قد جحده، ومانعى الزكاة مع إقرارهم بالشهادتين كان لابد أن يقروا بالزكاة وأنها سارية الفرضية وليست خاصة بزمن الرسول صلي الله عليه وسلم، كما أنهم لو أكملوا قراءة كلام ابن حجر لعرفوا مقصده، فقد نقل الشيخ كلامًا للإمام الخطابي قال فيه:

وقال الخطابي: «في الحديث - أى المشار إليه - أن من أظهر الإسلام أجريت عليه أحكامه الظاهرة ولو أسر الكفر في نفس الأمر، ومحل الخلاف إنما هو فيمن اطلع على معتقده الفاسد فأظهر الرجوع هل يقبل منه أم لا؟ وأما من جهل أمره فلا خلاف في إجراء الأحكام الظاهرة عليه»[٢].

بل إن ابن حجر يقول في «كتاب الإيمان».

«.. أما بالنظر إلى ما عندنا. أى أهل السنة. فالإيمان هو الإقرار فقط فمن أقرّ أجريت عليه الأحكام في الدنيا ولم يحكم بكفره إلا إن اقترن به فعل يدل على كفره كالسجود للصنم، فإن كان الفعل لا يدل على الكفر كالفسق فمن أطلق عليه الإيمان، فبالنظر إلى إقراره، ومن نفى عنه الإيمان فبالنظر إلى كماله ومن أطلق عليه الكفر فبالنظر إلى أنه فعل فعل الكافر، ومن نفاه عنه فبالنظر إلى حقيقته»[٣].

وهذا الذى سقته لك نموذج واحد من منهجهم في التعامل مع أقوال العلماء برغم

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٢/ ٣٣٥ ك استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض. ط دار الحديث. القاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨.
(٢) المرجع السابق ١٢/ ٣٣٦.
(٣) فتح البارى ١/ ٥٢ ك الإيمان.

ادعائهم حذق الأصول.

ومثل هذا المنهج - والله - جرّ على حركة الصحوة عمومًا ويلات لا يعلم مداها إلا الله - تعالى -، وعمل على الحد من انتشارها، لأنه ألب الناس ضدها، خصوصًا وأن هناك أمورًا كثيرة يشترك فيها أفراد الجماعات الإسلامية تجعل من الصعب على عامة الناس تمييز مناهجهم بعضها من بعض، فالكل يقول بإعفاء اللحى، والثياب البيض والسواك.. وغير ذلك من الأشياء التى هى ظاهر فقط؛ فكل هذا جعل عامة الناس يتخذون موقفًا موحدًا من حركات الصحوة برغم اختلاف مناهجها.

وحتى الجماعات التى عرفت بالأعمال الاجتماعية والخدمية كان الناس يتعاملون معها وينتفعون بخدماتها وهم على وجل من أن تكون هذه بدايات لأمور عظام.

وفي نهاية عرضنا للاتجاه التشريعي أقول: شكر الله لكل حريص على أن يسود شرع الله - تعالى - ويعلو كلَّ شرع، ولكنه لا يسود ولا يعلو بمثل تلك الطريقة التى تجعل المسلمين شيعًا وأحزابًا!!

الخامس: الاتجاه الجهادى:

نحن الآن مع اتجاه جديد من اتجاهات. أو مناهج. الصحوة الإسلامية: ألا وهو العمل الجهادى. والمقصود به هو المواجهة المسلحة مع الخصوم.

وقد مثل هذا الاتجاه عددًا من فصائل العمل الإسلامي، كان من أشهرها الجماعة الإسلامية بمصر، وكذلك جماعة الجهاد الإسلامي بمصر. أيضًا.

ويقسم أصحاب هذا المنهج منهجهم إلى مرحلتين:

الأولى: مرحلة المواجهة الجزئية مع الباطل: وذلك بتوجيه ضربات جزئية خاطفة تهدف إلى إضعاف النظام تمهيدًا لإسقاطه من جهة، كما تهدف إلى إحياء فريضة الجهاد في سبيل الله بين أفراد الأمة من جهة أخرى.

الثانية: مرحلة المواجهة الشاملة: وذلك بالدخول في معركة شاملة مع هذه النظم بغية إسقاطها وإقامة النظام الإسلامي والدولة الإسلامية [١].

(١) مدخل ترشيد العمل الإسلامي ص ١٣٢ بتصرف.

لقد ازداد ظهور هذا الاتجاه الجهادى بعد ما سمى بـ«حادث المنصة» [١]، حيث جعلت الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد الإسلامي، تركز في خطبها ولقاءاتها الأسبوعية والندوات على وجوب الخروج على الحاكم الذى لا يحكم بشرع الله وكذلك من يقومون بحمايته . . ومن تلك اللحظات دخل هذا الاتجاه في ميدان جره إلى كثير من الأخطاء وأعمال العنف التى أدرك مدى عنفها بعض القيادات بعد الأحداث الدامية الأسيفة التى دارت بينه وبين الحكومة .

يقول الدكتور عصام العريان [٢]، وهو يتحدث عن تيار العنف:

«إذا انتقلنا إلى تيار العنف فلا يمكن قبول التأثر الواضح أو حصر المصدرية في فكر ابن تيمية أو سيد قطب، فمن خلال الاحتكاك الطويل منذ عام ١٩٧٥ وحتى عام ١٩٨١ وهى الفترة التى نشأ فيها هذا التيار . الجماعة الإسلامية في أسيوط لم يكن هذا التأثير واضحًا، ولقد حدث الاستناد إلى بعض مقولات شيخ الإسلام ابن تيمية . . وذلك بعد دخول السجون والبحث عن مسوغات شرعية لما تم سفكه من دماء ولا أدل على ذلك مما تناقله البعض عن الخلاف على صوم شهرين كفارة للقتل الخطأ ثم العدول عن ذلك، والحقيقة أن الفعل كان يسبق غالبًا التأصيل الشرعي، ثم يتم بعد ذلك البحث عن مسوغات شرعية نظرًا لقلة الخبرة عند هؤلاء» [٣].

ويقول الأستاذ/ صلاح هاشم [٤]، وهو يعدد الأخطاء التى وقع فيها أصحاب هذا الاتجاه: **«بعد خروج أبناء الجماعة الإسلامية من السجن عام ١٩٨٤ بعد مقتل السادات وأحداث أسيوط، ازداد إعلان العداء للسلطة متمثلاً ذلك في نشر وتدريس أبحاث الجماعة مثل (الطائفة الممتنعة)، و(أصناف الحكام) لجميع أفراد الجماعة، دون تفرقة بين سنّ أو فهم أو مدى استيعاب من سيدرّس لهم، كما برزت موجة الهُتافات العدائية والأناشيد التى تدعو لقتال**

---

(١) حادث المنصة: هو الحادث الذى اغتيل فيه الرئيس المصرى محمد أنور السادات وكان موافقًا ليوم ٦/ ١٠/ ١٩٨١م.

(٢) د/ عصام العريان: هو من أبرز القيادات الإسلامية في مصر، ويشغل منصب الأمين العام المساعد لنقابة أطباء مصر.

(٣) انظر: مقال له بعنوان (شهادات حية على الحركة الإسلامية المعاصرة) بمجلة المنار الجديد ص ١٠٠، ١٠١ عدد ذى الحجة ١٤٢٠ هـ/ إبريل ٢٠٠٠م يصدرها دار المنار الجديد بالقاهرة بالتعاون مع المجتمع الإسلامي بأمريكا الشمالية.

(٤) الأستاذ/ صلاح هاشم: هو أحد أبرز القيادات التاريخية المؤسسة للجماعة الإسلامية في مصر.

الحاكم وحمل السلاح في وجهه، والتوعد بلقاء نفس مصير الحاكم السابق، وأنه لن يهدأ لنا بال حتى نجتث هذا النظام من جذوره.

كما يعد من الأخطاء التى وقع فيها أصحاب هذا الاتجاه: وهيجت السلطة ضدهم: ارتكاب بعض الأفراد لأخطاء شرعية وحركية أثناء تغيير المنكر في الجامعة وغيرها. مما أفقدها تعاطف بعض فئات الشعب ودفع السلطة إلى أن تقف موقفًا صلبًا كى تثبت وجودها وسيطرتها على الشعب.

أيضًا: تعجل الجماعة في محاولة تحقيق أهدافها وهى إقامة شرع الله، والعمل على تكوين المجتمع الملتزم بالشرع الحنيف، جعلها تهتم بالجوانب الحركية والتنظيمية أكثر من الجوانب الشرعية.

وأيضًا: دفع الجماعة ببعض الأفراد صغيرى السن وقليلي الخبرة في بعض المواقع القيادية كان سببًا في انتشار الأحداث، لعدم حسم وتقدير المواقف وكذلك السيطرة على المتسرعين من أفراد الجماعة.

وأيضًا: خروج الجماعة عن بعض مبادئها ووقوعها في الأخطاء الشرعية بحجة الحصول على المال والسلاح لاستمرار الأحداث، كما حدث في قتل بعض الأفراد لأخذ السلاح أو مهاجمة محال الذهب والمصارف للحصول على المال.

وأيضًا: مهاجمة الأحزاب السياسية ووصفهم بالعمالة للسلطة وقد أفقد هذا الفعل تعاطف هذه الأحزاب نحو هذا التيار بل أصبح عداء مع البعض الذى ساعد بعد ذلك على إثارة الفتن واستفزاز السلطة ضد الجماعة والدعوة للقضاء عليها والوقوف بالمرصاد لكل بادرة أمل تسعى للتقارب والحل.

وأيضًا: تبنى الجماعة الإسلامية لأحداث ديروط [1] عام ١٩٩٢ التى كانت بين المسلمين والأقباط والاستمرار في تنفيذ أحداث أخرى شملت معظم محافظات ومدن الجمهورية، وقتل السائحين والنصارى وضرب القطارات والتمثيل ببعض الجثث من المسلمين وغير المسلمين، ومحاولة اغتيال جميع رموز السلطة من رئيس الدولة ورئيس الوزراء ووزير الداخلية ووزير الإعلام، وكل هذا أثار جميع طبقات الشعب ضد

(١) ديروط: آخر مراكز محافظة أسيوط في الاتجاه إلى المنيا. وكانت أحداثها مروعة للغاية.

الجماعة، وأفقد السلطة صوابها، مما دفع بها لاعتقال كل من ينتمى إلى الجماعة الإسلامية، وأخمد بعض الأصوات التى كانت تنادى أحيانًا بتحكيم العقل والحل السلمى» [١].

ومن الأخطاء التى وقع فيها دعاة المنهج الجهادى كما يرصدها الأستاذ / صلاح هاشم:

«تنزيل الأحكام الشرعية على الواقع الذى نحياه من أفراد غير مؤهلين لذلك، وعدم استيعاب ما سبقنا من تجارب، بل عدم الاستفادة من تجاربنا نحن ضد السلطة: وذلك بالنظر لما أحدثته الأحداث فى الدعوة وأحوال المعتقلين والأسر» [٢].

وهذه الشهادات التى أنقلها عن رجال من ذوى الخبرة الواسعة بل من قيادات الحركات الإسلامية المعاصرة، تدل على مدى عنف المنهج الجهادى، وعدم الاتزان والسطحية. والافتقار إلى عمق التجربة.

وهذه والله شهادات حق، وتقديرات صدق من رجال لمسوا مرارة الواقع الذى عايشته الصحوة الإسلامية.

ويحضرني فى مثل هذا الموضع كلام للحسن البصرى [٣] - رحمه الله تعالى - يزكى موقف هؤلاء الرجال الذين أسلفنا أقوالهم، قاله إبان الفتن التى عاصرها، فتنة اغتيال الخليفة عثمان وفتنة على ومعاوية، ثم فتن طاحنة فى عهد الدولة الأموية قال:

«إن الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل» [٤].

وهذا حق لأن الفتنة فى بادئ أمرها قد يعمى على الناس خبرها، فلا يعرفها إلا العلماء وأرباب الخبرة بفتن الحياة، وإذا أدبرت وقف كل الناس حتى الجهلاء على آثار

---

(١) انظر: مقال للأستاذ/ صلاح هاشم بعنوان (الصراع بين الحركة الإسلامية والسلطة الأسباب والعلاج) منشور بمجلة المنار الجديد ص ٨٧، ٨٨ عدد (ذى الحجة ١٤١٩ هـ. إبريل ١٩٩٩م).

(٢) انظر: أ/ صلاح هاشم: مرجع سابق ص٨٩.

(٣) الحسن البصرى: هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصرى كان أبوه من سبي ميسان اشتهر بالوعظ وكان يعمل إبان الفتن على جمع الصف الإسلامي وذلك بتثبيط الناس عن الولوج في الفتن. انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١/ ١٣٦ ط المكتب التجارى للطباعة. بيروت.

(٤) انظر: محمد بن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٦٦ ط. دار صادر. بيروت.

ما خربت وتركت من دمار في المجتمع (١).

وبعد: فإن العمل الجهادى كان واحدا من أدوات التغيير للمنكر طرحته بعض الفصائل الإسلامية كمنهج لها، ولكنهم جانبوا الصواب كثيرا كما رأينا، حتى أنهم كانوا يقفون عند أمور لا تستحق إحداث الزوبعات من مثل، قول بعض المصلين لبعضهم بعد الصلاة: «حرمًا» فكان إذا قيل لأحدهم هذا ربما رد مستهزءًا قائلاً: «برما».

ومن مثل: « قول بعض الناس لبعضهم على الوضوء أو بعد الفراغ منه «زمزم» أو مصافحة المصلين بعضهم لبعض بعد الصلاة، أو الصلاة على النبى ﷺ بعد الآذان جهرًا، والثوب الطويل، . . وغير ذلك (٢).

وكان حريًا بهم أن يتغاضوا عن هذه الأمور أو أن يعالجوها برفق حتى لا ينفروا الناس، على الرغم من أن العمل الجهادى يحتاج إلى تعبئة وكسب الأفراد، لا فضِّهم وتفريقهم!!

ولكن يحمد لهم التزامهم بمنهج أهل السنة والجماعة فى قضية الإيمان والكفر فلم يكفروا أحدًا بمعصية ولا ببدعة، كما لا ينكر أنه كانت لهم أعمال خيرية واسعة النطاق أحرجت الحكومة فى كثير من الأحيان، وأظهرتها فى صورة الضعيف الذى لا يقوى على توفير احتياجات الشعب من مواد غذائية وتموينية، فعلى سبيل المثال: قام أبناء

(١) انظر: (الموالى ودورهم في الدعوة إلى الله تعالى) ص ٢٣٦ وهذه رسالتي لدرجة الماجستير. مودعة بكلية أصول الدين بأسيوط.

(٢) نحن لا ننكر بدعية هذه الأمور، ولكن في نفس الوقت تعبير البدعة لابد أن يخضع لفقه الأولويات وللمنهج القرآني في التغيير بالحكمة والموعظة الحسنة، وأذكر أنني سمعت أحد الدعاة السلفيين وهو الشيخ/ محمد حسين يعقوب يقول وهو يحكى تجربته في بعض هذه النقاط: ((كان هناك رجل يدخل المسجد الذى أصلي فيه وثوبه طويل فكنت أذكر له حديث النبي. صلي الله عليه وسلم.: ما أسفل من الكعبين فهو في النار ولكثرة إلحاحي كان يقول لي يا ولدى يا ولدى عمري كذا . . سنة أتغيرني أنت، قال: ولكن رأيت أن أدخل له بالحكمة وكنت فعلاً أرى الرجل الذى أحدثه عن طول ثوبه كلما دخل المسجد وضع صدقة في صندوق المسجد، فرأيت أن أدخل له من هذا الباب، فجئته يومًا فقلت يا عماه جزاك الله خيرًا لقد علمتني شيئًا جميلاً أنك إذا دخلت المسجد وضعت في الصندوق صدقة، فأعجب الرجل هذا، وأخذ به طمأنينة نحوى، فعاد هو يسألني ويقول بعبارته: ((هُوّ الحديث اللي كنت بتقول لى عليه بيقول إيه)) ثم يقول الشيخ. كعادته. أى والله يا شباب)). ا. هـ بتصرف.

فانظر كيف جذبت الحكمة الرجل للبحث عن علاج يصلح به ما طال أن رفض إصلاحه أمام الأسلوب المتحمس الحامي.

الجماعة الإسلامية بمنطقة عين شمس بتوفير ما يقرب من ٧٠٠ بطاقة تموينية للفقراء وتوزيع المواد التموينية عليهم من زيت ودقيق وأرز وسكر مجانًا، على الرغم من عدم توفرها فى الجمعيات الحكومية (١).

وقد حاول بعض قادة هذا المنهج سواء من داخل المعتقلات أم من خارجها بعد أن أسفرت الأعمال الجهادية عن عراقيل كثيرة فى طريق العمل الإسلامى، توجيه نداءات للشباب الذى ينتمى إلى هذا المنهج وغيرهم أيضًا. بإعادة فى هذا المنهج من جديد، وكان من أفضل تلك النداءات نداء للأستاذ/ صلاح هاشم الذى جاء فيه قال يجب على أبناء الحركة الإسلامية عدة واجبات:

١. أن ينظروا إلى المجتمع بمنظار أبيض يعطى الأمل فى الهداية للعصاة، وليس بمنظار أسود يدفع إلى اليأس والكراهية لهذا المجتمع، مما يدفع إلى العزلة.

٢. أن ينظر الفرد إلى نفسه قبل أن يلتزم بتعاليم الإسلام، ألم يكن عاصيًا وربما كان من أشد العصاة (٢). . فهداه الله؟ وأن ينظر فى تاريخ الصحابة - رضوان الله عليهم. فنجد أن أشد الناس عداوة للإسلام أصبح من أشد الناس حبا له، وهذا ما يدعونا إلى مخالطة المجتمع، والصبر على دعوته، والتفاؤل باستجابته للالتزام بتعاليم الإسلام.

٣. أن يكون الفرد الملتزم قدوة فى المجتمع فى جميع تصرفاته، ولا يعتبر نفسه فوق البشر، وأنه له ميزة عن غيره فلا يلتزم بالتعاليم أو القوانين المنظمة لسير الحياة اليومية فى المجتمع.

٤. أن يكون بشوشا خدومًا عطوفًا على من حوله، وليس على إخوانه فقط وإنما على جميع من حوله وإن كانوا من غير المسلمين.

٥. أن يعلم الفرد أن ما لا يدرك اليوم يدرك غدًا - إن شاء الله - ولا يتعجل قطف ثمرة قبل أن تنضج، ويتمثل فى ذلك حديث النبى ﷺ «**إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى**» (٣).

---

(١) انظر: أ/ صلاح هاشم: مرجع سابق ص٨٨.
(٢) ما أجمل أن يتذكر من هداه الله إلى الالتزام بتعاليم الإسلام وهو ينظر إلى المفرطين قول الله تعالى: ﴿كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم﴾ [النساء: ٩٤].
(٣) الحديث رواه البيهقي: السنن الكبرى / ك الصلاة، باب القصد في العبادة ٣/ ١٨.

٦. أن يكون مصدر طمأنينة وسكينة لمن حوله ، لا أن يكون مصدر إزعاج وقلق ، فينصرف الناس من حوله ولا يستجيبون لنصحه .

٧. أن ينزع الفرد حظ الشيطان والهوى والنفس من قلبه ، وأن يزهد فيما عند الناس فيحبه الناس ، لأن حب الدنيا هو سبب الصراع في كل مكان ، وأن لا يغضب لنفسه قط حتى لا يتسلط الشيطان على تصرفاته .

٨. أن يكون متزنًا نفسيًا ، فلا يجنح إلى العنف فيُكسر ، ولا يجنح إلى اللين فيعصر ، ولأن يضع نصب عينيه القاعدة الفقهية : **«لأن تخطئ في العفو خير من أن تخطئ في العقوبة»** (١) ، و**«ادرءوا الحدود بالشبهات»** (٢) .

٩. أن لا يكون لدودًا في الخصومة ويضع قول علي – رضي الله عنه – أمام عينيه : **«أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما ، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»** وهذا ما يفتح الطريق للحوار والصلح بعد الخصومة .

١٠. أن يتمثل العدل في الغضب والرضا والحرب والسلم ، ولا تدفعه الخصومة إلى ظلم الآخرين كما قال تعالى : ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ (٣) .

١١. أن لا يكون سيفًا مسلطًا على رقاب الناس ، بل يلتمس لهم الأعذار ، وأن يعلم أن كل ابن آدم خطاء وهو أولهم .

١٢. أن يكون عضوًا نافعًا داخل المجتمع فيعمل على تنمية الاقتصاد ، وفتح آفاق جديدة للاستثمار ، وأن يكون نموذجًا يحتذى به في التعامل والاقتصاد الإسلامي .

١٣. أن لا يرفض كل شيء بحجة أنه من الدولة الظالمة ، بل يأخذ ما هو مفيد ويترك ما هو ضار .

١٤. ترك إحداث العنف ضد النظام والنصارى والسائحين واللجوء إلى الحوار في

---

(١) أقول : أصل هذه القاعدة حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رواه الترمذي : برقم (١٤٢٤) ك/ الحدود باب ما جاء في درء الحد ٤/ ٣٣ .

(٢) هذا جزء من حديث : أخرجه البرهان فوري في كنز العمال برقم ١٢٩٧٢ ك الحدود ٥/ ٣٠٩ .

(٣) المائدة : ٨ .

كل ما يختلف عليه.

١٥. الاهتمام بتربية الأفراد على الطاعة والذكر والدعاء وتعودهم على الصفح والعفو، وليس الثأر وحب الانتقام.

١٦. الانضباط بالشرع الحنيف عند تغيير المنكر أو توجيه خطاب في أي مناسبة.

١٧. التعايش مع المجتمع بفقه الواقع، وليس بفقه التصادم ومحاولة التأثير في المجتمع، وقد كان لذلك الأثر العظيم في بداية نشأة الجماعة حيث لاحظنا اتجاه جميع طبقات المجتمع نحو التمسك بالإسلام، مثل ظهور بيوت أزياء للمحجبات، ومستشفيات خاصة بالمحجبات، وظهور شركات توظيف الأموال، وتوبة كثير من الفنانين والفنانات. والتزام معظم الشباب بتعاليم الإسلام، وما أدل على ذلك من قول أحد ضباط أمن الدولة إن الجماعة منتشرة قبل الأحداث، مثل السرطان في المجتمع، يعني بذلك سرعة انتشارها وقبولها داخل المجتمع.

١٨. ألاَّ نفاجئ المجتمع بقضايا لا يستوعبها، بل نتدرج في ذلك، ونتبع القواعد الفقهية مثل: **«لا تخاطبوا الناس بما لا يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟»** و**«ليس كل ما يعرف من الحق يقال»** وبذلك نستطيع أن نوصل دعوتنا للجميع (١).

وهذه نداءات فهل من مجيب!!!

وهذه نداءاتٍ صادقة واعية، فاللهم ارزقنا آذانًا صاغية، وقلوبًا صادقة، وأنفسًا للحق خاضعة، وله طالبة، وبه عاملة، إنك أنت المستعان.

السادس: العمل السياسى:

العمل السياسي بالنسبة لبعض الحركات الإسلامية، هو منهج من مناهج التغيير والإصلاح، يراد به السعي إلى تكوين الأحزاب أو المشاركة فيها، أو الاشتراك في التبرعات ومجالس الشورى، وغيرها من المؤسسات السياسية للدولة، مع ما قد يستتبعه من المخالفات المؤقتة مع بعض القوى السياسية الأخرى، بغية التمكين لشرع الله من خلال هذه المواقع، أو تحصيل بعض المصالح الشرعية للحركة الإسلامية ومنع أو تخفيف بعض الظلم الواقع عليها (٢).

---

(١) أ/ صلاح هاشم: مرجع سابق ص ٩٤، ٩٥

(٢) انظر: مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي ص ٨٨

وأشهر من سلك هذا المنهج في حركات الصحوة الإسلامية المعاصرة هم جماعة الإخوان المسلمون، وقد نظم الإمام البنا هذا المنهج الحركى، وكان يقول إنه في سلوكه هذا المنهج يتبع الأصول والقواعد القرآنية.

يقول الأستاذ البنا ـ رحمه الله ـ

«**إن للإخوان المسلمين منهاجًا محدودًا يتابعون السير عليه ويزنون أنفسهم بميزانه، ويعرفون بين الفينة والفينة أين هم منه، فإذا سألتهم عن أصول هذا المنهج النظرية ما هي؟ فإني أجيبك في صراحة تامة هي الأصول والقواعد التى جاء بها القرآن الكريم، فإذا قلت: وما وسائلهم وخطواتهم العملية؟ قلت لك في صراحة كذلك: هي الوسائل والخطوات التى أثرت عن الرسول العظيم ـ ﷺ ـ** ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» (١).

ثم يذكر الشيخ/ البنا بعض وسائل تنفيذ هذا المنهج فيقول:

« ١ـ الإقناع ونشر الدعوة بكل وسائلها حتى يفقهها الرأى العام ويناصرها عن عقيدة.

٢ـ ثم استخلاص العناصر الطيبة لتكون الدعائم الثابتة لفكرة الإصلاح.

٣ـ ثم النضال الدستورى، حتى يرتفع صوت هذه الدعوة في الأندية الرسمية، وتناصرها وتنحاز إليها القوة التنفيذية.

٤ـ وأما ما سوى ذلك من الوسائل فلن نلجأ إليه إلا مكرهين، ولن نستخدمه إلا مضطرين، وسنكون حينئذ شرفاء، لا نحجم عن إعلان موقفنا واضحًا لا لبس فيه ولا غموض ونحن على استعداد تحمل نتائج عملنا أيًّا كانت» (٢).

وقد كان صاحب هذا المنهج الأستاذ/ البنا ـ من أشد الثائرين على النص الذى يتصدر دائمًا قوانين الجمعيات الإسلامية وهو أن الجمعية لا تتعرض للشئون السياسية، وكان يقول: «**إن الإسلام عقيدة وعبادة ووطن وجنسية وسياسة وقوة، وثقافة وقانون، وإن المسلم مطالب بحكم إسلامه أن يعنى بشئون أمته. ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم. وأستطيع أن أجهر في صراحة بأن المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيًا بعيد النظر في شئون**

---

(١) الإمام البنا: مجموعة الرسائل ص ٩٠.

(٢) مجموعة الرسائل ص ٢١٢، ٢١٣ باختصار.

أمته، مهتمًا بها، غيورًا عليها، وأن على كل جمعية إسلامية أن تضع في رأس برنامجها الاهتمام بشئون أمتها السياسية وإلا كانت هي نفسها تحتاج إلى أن تفهم الإسلام» (١).

ومن أهم أسس منهج العمل السياسي التدرج، فهو وإن كان يضع ضرورة إعادة الخلافة الإسلامية لتوحيد كلمة الإسلام، فهو يرى أنه لا اختلاف بين الوحدة الوطنية (٢) والوحدة العربية والجامعة الإسلامية باعتبار أن كلاً منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها (٣).

ومن أهم ما يحمد لنمهد العمل السياسي في إطار الحركة الإسلامية عدم التعصب، ليس أدل على ذلك من أن الإخوان المسلمين (حملة هذا المنهج) عندما شكلوا لجنة تسمى «**اللجنة السياسية**» مهمتها دراسة التيارات السياسية العامة والخاصة في الداخل والخارج لتحديد موقف الإخوان المسلمين منها، أشركوا معهم في عضوية هذه اللجنة اثنين من النصارى (وهيب دوس، وأخنوخ لويس)، وأكد البنا في مقالات عديدة له أن حركة الإخوان المسلمين ليست بعصبية ولا حركة طائفية موجهة ضد عقيدة من العقائد أو دين من الأديان، ولقد التزم الإخوان المسلمون بهذه السياسة تجاه النصارى المصريين إلى اليوم فكان مرشدوا لإخوان جميعًا بعد البنا يزورون النصارى والمؤسسات النصرانية، ولقد دعت هذه السياسة النصارى في مصر إلى تبني موقف إيجابي من الإخوان المسلمين، فعلى سبيل المثال رد توفيق غالي . أحد النصارى . على مقالات لسلامة موسى . في عهد البنا . يتهم فيها الإخوان المسلمين بأنهم يثيرون الفتنة الطائفية، وأكد أنهم أشرف الجماعات مقصدًا وأنبلهم خلقًا (٤).

وعادةُ أى منهج أنه عرضة لانحراف أصحابه بعض الشيء في تطبيقه، لذلك فإن المنهج السياسي في عمل الحركات الإسلامية . في كثير من الأحيان . كان يصنع ما تصنع

---

(١) انظر: محمد شوقي زكي: الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى ص ٩٠.
(٢) يلاحظ: أن البنا كان لا يقر الوحدة الوطنية إلا في إطار ما أسماه وطنية الحنين أى حبه الوطن، ووطنية الحرية والعزة أى تحرير الوطن، ووطنية المجتمع أى تقوية الروابط بين أفراد الوطن الواحد ولكن رفض الوطنية الحزبية التي تقسم الناس إلى طوائف متناحرة.
(٣) انظر: د/ عبد الفتاح محمد العويسى: تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية ص ١٧ ط دار الطباعة والنشر الإسلامية . القاهرة.
(٤) انظر: د/ عبد الفتاح محمد العويسي: مرجع سابق ص ٢٣، ٢٤.

الأحزاب التى يسمونها لا دينية.

لهذا حذر الأستاذ/ مصطفى مشهور ـ المرشد لجماعة الإخوان ـ قال: **«إن من صور الانحراف أن ننهج أسلوب الأحزاب السياسية، ونعني بذلك تغليب عنصر السياسة في أسلوب العمل بحيث يطغى على غيره كالتربية ونشر الدعوة والجهاد، أو أن نهتم بالكم لا بالكيف على طريقة الأحزاب السياسية بهدف نيل أكبر عدد من الأصوات في الانتخابات أو أكبر عدد في المظاهرات ونحوها، وهذا لا شك انحراف خطير في الأساس الذى يقوم عليه البناء، فليس القصد كسب الأصوات في الانتخابات، ولكن الأصل أننا نريد من يعطينا نفسه وماله في سبيل الله، لا صوته فقط، نريد من يصبرون ويضحون ويثبتون ويتحملون أعباء الدعوة والعمل، ويقدرون المسئولية، نريد طلاب آخرة لا طلاب حكم ومناصب دنيوية كما هو الحال في الأحزاب السياسية، نريد من يقومون بأمانات الحكم الإسلامي بكل ورعه وزهده والالتزام به، لا هؤلاء الذين تغيرهم كراسي الحكم وينسون ما كانوا ينادون به ويرفعونه من شعارات، لا نريد من العاملين في حقل الدعوة أن يسيطر عليهم استشراف الحكم لذات الحكم وما يرتبه من سلطات ومغانم وما يمكن أن يحدث من تجاوزات غير مشروعة في سبيل ذلك، وإنما نريد أن يسيطر عليهم أننا نعمل لإقامة دين الله في الأرض، وما يستتبعه من التزام للشرع وبعد عن الأساليب غير المشروعة، ولا يعني ذلك أننا نرفض السياسة أو نلغيها من حسابنا، ولكننا نعلم دورها وأهميتها، ولكن نعطيها قدرها المناسب، دون طغيان على غيرها من النشاطات، ونسلك بها سبيل المؤمنين الملتزمين بتعاليم دينهم مع تقدير متطلبات الحكم والإعداد له بالدراسات والكفاءات»** (١).

جدير بالذكر أن هذا المنهج لقي معارضة شديدة في محيط العمل الإسلامي، خصوصًا من الذين يقولون بأن البرلمانات ومجالس الدولة كلها مجالس شركية قامت على اغتصاب حق التشريع، وهو أمر يناقض أصل التوحيد، وفي الدخول إلى هذه المجالس موالاة للظالمين، وتلبيس على الناس بشرعية هذه الأوضاع، ابتداء من اليمين الذى يقسمه العضو الملتحق بتلك المجالس على احترام الدستور والقوانين، وفيها من الكفر والإهدار لشريعة الله ما فيها (٢).

---

(١) مصطفي مشهور: طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف ص ٥٢، ٥٣ ط دار الطباعة والنشر الإسلامية. القاهرة. الطبعة الرابعة.

(٢) انظر: د/ صلاح الصاوى: مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي ص ٨٩، ٩٠، وانظر: محمد قطب: واقعنا المعاصر ص ٤٨٤ ـ ٤٨٦ ط دار الشروق القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

والحق أنه لابد لتسويغ العمل بهذا المنهج أن يخضع لقاعدة المصالح والمفاسد، فكلما كانت هناك مصالح معتبرة شرعًا يرجى تحقيقها، أو مفاسد يرجى دفعها جاز العمل، ولابد أن يكون في قمة هذه المصالح المعتبرة شرعًا هو حمل دعوة الإسلام وتبليغها، والعمل على التمكين له حتى في هذه المجالس.

جدير بالذكر - أيضًا - أن هذا المنهج - العمل السياسي - كان يصاحبه اتجاه آخر هو الاتجاه التربوى، يعمل على إيجاد المؤسسات التعليمية الإسلامية، لإعداد الشباب وتنشئتهم نشأة إسلامية خالصة، وقد توسع أصحاب هذا الاتجاه في المجال التربوى كثيرًا، وقد مكن لهم العمل السياسي في الحصول على ما يعضد شرعية مؤسساتهم وقانونيتها، وسنعرض له بشيء من الإيضاح عند الكلام على تطبيقات الأصولية الإسلامية إن شاء الله.

* * *

* محاذير يجب اجتنابها ليتكامل منهج العمل الإسلامي:

وبعد/

فقد طوفنا حول مناهج ما أسموه بالأصولية الإسلامية، ورأينا تعدد اتجاهات الحركات الإسلامية، برغم اتحاد الأهداف، فكان أشبه ما يكون بمجموعة طلبوا شيئًا واحدًا، ولكن أتاه كل واحد من طريق.

وهذا الاختلاف الذي رأيناه في الاتجاهات المتعددة، يعتبر اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد - إلا ما كان من أهل التوقف والتبين - فبعض الجماعات اهتمامه الأكبر بالمسائل العقدية والعمل على نشر التوحيد، وبعضها اهتمامه الأكبر بالدعوة والتبليغ وحث الناس على الذكر وانتشالهم من غفلة الحياة، وبعضها اهتمامه الأكبر بتغيير المنكر، وبعضها اهتمامه الأكبر بالجهاد، وبعضها اهتمامه بالتواجد في مراكز التأثير في المجتمع من خلال العمل المنظم كالنقابات ونحوها والمواقع الاقتصادية، أو في العمل السياسي عند من يرى جواز مشروعية ممارسته . .

وهذا التنوع في الاتجاهات الإسلامية لا يمكن أن يكون خيرًا وينعكس بآثار طيبة على الدعوة الإسلامية وعلى المجتمع إلا إذا اجتنب فيه عدة أمور:

١- الانشغال بما قد تراه جماعة معينة أفضل الأعمال، وقد يكون سببًا في ترك أو التقصير في بعض الواجبات الأخرى التي تمثل الحد الأدنى من الالتزام، فلا يصح أن يكون الانشغال بأمور العقيدة - مثلاً - سببًا للجهل بأمور الشريعة وما فيها من حلال وحرام، وكذلك لا يصح ترك الجهاد بسبب الانشغال بطلب العلم، ولا يصح كذلك أخذ شق واحد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتسلك جماعة الأمر بالمعروف فقط ولا تتعرض للمناكير بشيء، أو تسلك جماعة أخرى فتركز على تغيير المنكر، وتختار من درجات تغيير ما هو من شأن السلطان، وللأسف فإن أكثر الاتجاهات الإسلامية قد وقعت في هذا الأمر المحظور، وظهرت ثغرات الخلل وعدم التوازن

عليها، ولتحقيق التكامل المنشود لا بد من ترك هذا المحذور

٢- كذلك يجب تجنب تربية الأفراد داخل هذه الجماعات على تحقير الأعمال والعلوم الأخرى التي ليس لجماعته اهتمام كبير بها في سبيل حفز هممهم على تنفيذ ما يطلب منه.

وهذا المحذور إذا لم يجتنب، من شأنه أن يولد من الضغائن والأحقاد والبغضاء بين أبناء الصحوة الإسلامية ما لا يعلم مداه إلا الله، فتكون السخرية وازدراء هذه الجماعة لأعمال الجماعة الأخرى، بل ربما يصل إلى درجة الافتراق في الصف، لدرجة امتناع بعض أفراد في جماعة من الصلاة خلف إمام من جماعة أخرى، وقد رأى الناس من هذا الكثير، حتى أنه ذات مرة حدثني أحد هؤلاء، وهو برغم ما يظهر من سماحة في منهجه إلا أنه أفصح عن مكنون ما في صدره، فجعل يقول الأزاهرة «بتوع كلام» والإخوان يجيدون حبك المنهج ولا يجيدون تطبيقه، . . فعلمت أن الرجل يريد أن يقول: أنا أو نحن . . وكفى.

فهذه النظرة المريضة بالاستعلاء على أصحاب العلوم والأعمال الصالحة الأخرى التي لا تهتم بها الجماعة التي ينتمي إليها الفرد لا بد أن تختفي من بين أبناء الصحوة الإسلامية، وألا يذكر بعضهم مثالب وعيوب البعض، فلا بد من شيوع الفضيلة، لا أن يحقر طلاب العلم من خرجوا للدعوة، ولا يظن من خرج إلى الجهاد عمل الآخرين هباء منثورًا لا قيمة له، ولا أن يكون الساعي على الأرملة والمسكين مستشعرًا أن صلاح الأمة بعمله دون عمل الآخرين، بل لا بد من استشعار روح المحبة على الخير ومدح صاحبه، أفيحزن المؤمن إذا وفق الله عبدًا لطاعة لم يقم هو بها؟ إن الإيمان الحقيقي يدعو المؤمن إلى محبة هذا العبد الموفق للطاعة وأن يستشعر هو تقصير نفسه ويسأل الله أن يلحقه بهذا الموفق ويرجو له تمام الخير.

٣- كذلك من الأمور التي لا بد من اجتنابها ليتكامل العمل الإسلامى عدم التنسيق بين هذه الاتجاهات، فلو قدر أن يكون هناك شيء من التنسيق بين الاتجاهات الإسلامية لتغير وجه العمل الإسلامي إلى الأفضل والأحسن.

وكيف لا يتغير إلى الأفضل والمسلم مطالب بتوجيه النصح لأخيه المسلم، فلو قدر أن فردًا من جماعة (أو جماعة) يريد أن يفعل فعالاً لا تثير الشغب نحو العمل الإسلامي

يقوم الآخرون بالأخذ على يديه وإرشاده للأفضل.

كما أن التنسيق يعني أن يطرح كل اتجاه خطة عمله على الآخرين ويتم دراسة جميع خطط العمل على نحو موسع، يحقق شمول الإسلام لكل مناحي الحياة، وفي ذات الوقت يضمن وحدة الصف الإسلامي.

وللأسف فإن هذا المحذور قد وقعت فيه كل الاتجاهات الإسلامية، لدرجة أنه يكاد ينعدم مجرد قبول الاستعداد أو لشيء من هذا التنسيق، ولعل ما نراه في واقع جماعات الأصولية النصرانية - وغيرها - من الدعوة إلى التقريب والتنسيق بين مذاهبها - التي ظلت متناحرة طيلة نحو ألفي عام - يجلل وجه العمل الإسلامي المعاصر بالخزي والعار!!

٤- كما لا بد من تجنب النظر إلى واقع المسلمين بمنظار اليأس، فهذا يدفع إلى تعجل قطف الثمار بطريقة هوجاء قبل نضجها، لذلك قد تجد الطابع الغالب على أكثر دعاة الصحوة الإسلامية في تحديثهم للناس بغربة الإسلام هو طابع التحذير الذي قد يصل في كثير من الأحيان إلى حد اليأس.

ويرحم الله الشيخ/ محمدًا الغزالي حيث ذكر أن كثيرًا من الدعاة ربما يحدث الناس عن غربة الإسلام ولكن بطريقة لا توحي بأن الإسلام ستقوم له قائمة مرة أخرى، غير أن حديث الغربة(١) لا بد أن يفهم في إطار السنن الكونية من مدّ وجزر، فالإسلام في غربته الأولى بدأ من قاع، ثم علا إلى قمة، ثم هوى من تلك القمة إلى قاع حيث اجتاح التتار بلاد الإسلام ولكنه عاد فعلاً إلى قمة حتى أن من بقي من فلول التتار دان بالإسلام فضلاً عن يقظة المسلمين وصحوتهم، ثم هوى إلى قاع حيث جاء الصليبيون .. وهكذا إلى أن تكون له الجولة الأخيرة بإذن الله(٢).

٥- كذلك يجب الحذر من تطرق الاختلاف بين جماعات الصحوة الإسلامية إلى الأصول، فإنه من أجل تكامل العمل الإسلامي لا بد من حصر الاختلاف في دائرة

(١) الحديث رواه: الإمام أحمد في المسند ٤/ ٧٣ ونصه:
قال: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعوَد غريباً فطوبى للغرباء)).
(٢) انظر: الشيخ: محمد الغزالي: الصراع بين الحق والباطل (مقال منشور بمجلة منار الإسلام) ص ١٧ عدد جمادي الأولى ١٤٠١ هـ/ أبريل ١٩٨١.

الفروع والمسائل الاجتهادية، وحتى الاختلاف الذي هو في الفروع حبذا لو اتسعت الصدور لقبول رأي المخالف، لكن للأسف قد تكون بعض الأمور من مسائل الفروع فيحاول بعض المتنازعين إقحامها في دائرة الأصول والمسائل الاعتقادية، وعندئذ يبلغ التوتر حدته وتغلق أبواب التفاهم وتشرذم الكلمة.

ومما يعين على تجنب مغبة الاختلاف على هذا النحو، يقظة أهل العلم دائمًا لكل ما يطرح من القضايا وتحديد جنسها، هل هي من الأصول أم من الفروع؟

فمسألة كمسألة العمل السياسي رأينا من يرفضها ويغالي في رفضها ويجعلها ضمن القضايا الاعتقادية ومن مسائل الأصول، لأن مجالس الدولة مجالس شركية فاجتنابها أمر ضروري، ورأينا ما ترتب على الاختلاف فيها من إنكار الفصائل بعضها على بعض، بل والتشنيع على المخالف!!

والمسائل الفرعية لا بد أن يفهم أنها بطبيعة الحال حمّالة أوجه، والاتفاق فيها على رأي قليل، ومرد ذلك إلى اختلاف المشارب وتفاوت المدارك.

٦- ويجب الحذر - أيضًا - من الارتجال وقصور الدراسة والتخطيط، فالدراسة القائمة على دراية بواقع الأمة الإسلامية، وواقع الحركة الإسلامية وواقع القوى المعادية للإسلام، وجمع البيانات والمعلومات اللازمة عنها جميعًا، وتحليلها من منظور علمي موضوعي، والخروج منها بالنتائج لتوضع موضع التنفيذ إثباتًا أو نفيًا، أصبحت ضرورة لازمة.

وللأسف لا يزال بعض المنتسبين إلى العمل الإسلامي يضيقون بما يدعونهم إليه بعضهم من ضرورة الدراسة أولاً، وغدت كلمة الدراسة عندهم لأي فكرة أو عمل تعني التسويف، وهو يعني التمويت بالقتل البطيء.

وكان أحدهم يقول: «**إذا اتبعنا نظام البحث والدراسة على غرار ما يفعله الاقتصاديون فيما يسمونه «دراسة جدوى» ما حققنا شيئًا، الدراسة تأتي بعد، المهم أن نبدأ العمل ونمضي ولا نقف ساكنين، أنا أؤمن بالأعمال الناقصة، لنبدأ العمل ناقصًا أو خطئًا، ثم يأتي غيرنا فيكمل النقص ويصحح الخطأ**».

وحقيقة هذه فلسفة لها دوافعها ومبرراتها، ولكن الذي أكدته التجارب أن ترقيع

العمل المغلوط أو تقويم المشروع الأعوج أصعب بكثير من بدئه من الألف بداية صحيحة.

وقد يبذل المخلصون جهودًا مضنية في الترقيع والتصحيح والتقويم ثم لا تؤتي النتائج المرجوة، وقد تحقق بعض النتائج، ولكن بعض الأمور تستعصي على الإصلاح لأنها بدأت من أول الأمر غير صحيحة ولا مستقيمة.

ومن أهم ما ينبغي التخطيط له توجيه المواهب الشابة إلى التخصص على المستويات في مجالات الحياة كلها علمية وشرعية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وتربوية وإعلامية وإدارية وتخطيطية وغيرها من كل ما يسد الثغرات ويلبي الحاجات في عالم الكومبيوتر والأسلحة النووية وغزو الفضاء والهندسة البيولوجية . . فلا بد من التخصص الذي يعتبر في نظر الشريعة من فروض الكفايات الواجبة على الأمة مجتمعة، ولا يجوز أن تتكدس القدرات والكفايات في مجال، على حين يغفل مجال آخر يحتاج إلى من يقوم به فلا يجد(١).

ولقد عاب القرآن الكريم على المسلمين في عصر النبوة أن يتجهوا كلهم إلى الجهاد، على ماله من منزلة وفضل، غافلين عن ميدان آخر لا يقل عنه أهمية، وهو الفقه في الدين، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٢).

ونظرًا لأننا نرتجل وخصومنا يخططون نراهم يسرقون ثمرات جهادنا الإسلامي ونحن عاقلون.

ودليل ذلك: أن الحركات التحررية ضد الاستعمار كله الغربي والشرقي والصهيوني كان محركها ومطلق شرارتها ومفجر طاقاتها وقائد كتائبها هو الإسلام، وهذا باعتراف المراقبين المحايدين والمؤرخين المنصفين من الشرق والغرب، ولكن للأسف: الإسلام يزرع ولا يحصد، ويغرس ولا يجني، بل نرى آخرين من العلمانيين والكائدين

(١) انظر: د/ يوسف القرضاوي: وقفة مع الحركة الإسلامية، مقال بمجلة الأمة ص ٨، ٩ عدد شعبان ١٤٠٥ هـ - أبريل ١٩٨٥م.
(٢) التوبة: ١٢٢.

في الخفاء من أعداء الإسلام يقفون متفرجين حتى إذا تهيأت الثمرة للنضج وثبوا فجأة إلى مقدمة الصفوف، وأحدثوا دويًا هائلاً وفرقعة ضخمة تجذب إليهم الأسماع والأبصار لينفردوا وحدهم بالغنيمة، ويقطفوا وحدهم ثمرة النصر(١).

٧- كما لا بد من الحذر من أسلوب الاستعجال في إدراك الغايات، فالمستعجل في كل أمره يريد أن يزرع اليوم ويحصد غدًا، بل ربما يريد أن يزرع في الصباح ليحصد في المساء، وهذا مخالف لسنن الله تعالى في الكون، فكل شيء له أجله المسمى وأطواره المعلومة.

وللأسف فإن الاستعجال جعل فصائل الحركة الإسلامية تخوض معارك قبل أوانها، وتخوض أخرى أكبر من طاقتها، وتحارب الشرق والغرب في آن واحد، وتدخل نفسها مداخل لا تستطيع الخروج منها، ويكفينا من إشارات القرآن الكريم التي لها دلالتها في بيان سوء مغبة العجلة وإن دفع إليها أنبل الغايات قال تعالى:

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ۝٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾(٢)

وما دفع موسى هنا في عجلته إلا أنبل غاية وهي إرضاء ربه تعالى، ولكن مع ذلك عوتب في تعجله، قال العلامة الآلوسي:

«**كأنه قيل: لا ينبغي عجلتك عن قومك، وتقدمك عليهم وإهمال أمرهم لوجه من الوجوه، فإنهم لحداثة عهدهم باتباعك ومزيد بلاهتهم وحماقتهم بمكان يحيق فيه مكر الشيطان ويتمكن من إضلالهم**»(٣).

وكم نادى أرباب الخبرة بالعمل الإسلامي من العلماء والأعلام - أمثال الشيخ/ محمد الغزالي، والشيخ/ القرضاوي . . وغيرهما - الحركات الإسلامية في الوقت

---

(١) مثال ذلك: مصطفى كمال أتاتورك الذي قاد الشعب التركي باسم الإسلام وتحت لوائه فبذل الشعب من دمه وماله راضياً حتى انتصر، وهلل الناس في أنحاء العالم الإسلامي وكبروا للغازي أتاتورك، ولم يكادوا يفرحون بالنصر حتى انقلب العرس إلى مأتم، وإذا الذي ظنه الناس سيفاً للإسلام يصبح خنجراً مسموماً في ظهره أو صدره، وإذا هو يوجه معاوله لهدم الخلافة وهدم الإسلام كله معها وإلغاء وجوده الاجتماعي من حياة الشعب التركي المسلم.

(٢) طه: ٨٣- ٨٥.

(٣) محمود شكري الآلوسي: روح المعاني ١٦/ ٢٤٣ ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الذي كان لها فيه حرية التحرك والنشاط أن تدخر قوتها، ولا تورط نفسها في مواجهات ومعارك يدفعها إليها المغامرون المتعجلون، أو يستدرها إليها المخططون الماكرون، وأن تشغل نفسها بنشر الدعوة إلى الإسلام الصحيح بالحكمة والموعظة الحسنة على كل صعيد، وتربية الأجيال الصاعدة بهذا الإسلام تربية متكاملة، والاندماج في المجتمع لحل مشكلاته وتخفيف معاناته، وتسديد خطواته ورعاية حاجاته، وأن تدع التفكير في استخدام القوة والعنف والاصطدام بالسلطة الحاكمة . . وستجد بعدها أنها أحدثت ثورة سلمية في المجتمع كله، وحققت انقلابًا فكريًا ونفسيًا وأخلاقيًا من غير أن تشهر سلاحًا أو تريق دماء.

صحيح أن القوى المناوئة للصحوة الإسلامية ما كانت لتدعها تنتشر دون أن تعرض لها، ولكن الصحوة أيضًا عليها بعض اللوم فإنها كثيرًا ما كانت تستفز تلك القوى المتربصة وتستثير فيها غرائز الخوف حين تستعرض عضلاتها بصورة أو بأخرى، وكانت الحكمة تقتضي أن تحسب كل خطواتها ولا تمكن عدوها منها ما استطاعت، وتسأل الله العافية فإذا وقع البلاء بقدر الله لم يكن إلا الصبر والمصابرة.

هذه هي بعض المحاذير التي لا بد من اجتنابها لنجاح وتكامل منهج العمل الإسلامي، وباجتنابها تقطع الألسن الحاقدة المتربصة، وتلجم لتكف عن وصف تلك الجماعات بالأصولية وإلصاق تهم العنف والتطرف بها حتى ولو كان من عصابة مجرمين ولا صلة لهم بالدين.

وإلى مجالات تطبيقات ما أسموه بالأصولية الإسلامية في المبحث التالي بمشيئة الله تعالى.

* * *

المبحث الخامس

تطبيقات الأصولية الإسلامية

ويشتمل على:

القسم الأول: تطبيقات الأصولية الإسلامية في المجالات العقدية والتشريعية والاجتماعية والسلوكية.

القسم الثاني: ميادين عمل الصحوة (أو الأصولية) الإسلامية.

١- ميدان العمل الاجتماعي.

٢- ميدان العمل التربوي الثقافي.

٣- ميدان العمل الصحي.

٤- ميدان العمل الاقتصادي.

٥- ميدان العمل العسكري.

القسم الأول

تطبيقات الأصولية الإسلامية

لتطبيقات الأصولية الإسلامية جوانب أو مجالات متعددة، ولكن قبل أن أذكر تلك المجالات أحب أن أشير إلى نقطة هامة وهي:

أن تطبيقات الأصولية الإسلامية قد يقصد بها المجالات التي ينطبق عليها الوصف الذميم الذي أراده الأوروبيون - الذين صدروا هذا المسمى - وذلك ينحصر في مجموعة الألفاظ أو الأعمال التي يتخذها بعض الجماعات الإسلامية، والتي قد يبدو فيها شيء من الغلو أو التشدد.

وقد يقصد بتطبيقات الأصولية الإسلامية ميادين عمل حركات الصحوة الإسلامية، وكلا القصدين يفيد في فهم القضية فهمًا متكاملاً، وذلك لأن القصد الأول يعتبر بمثابة حصر السلبيات، والقصد الثاني بمثابة ذكر الإيجابيات التي انعكست على الإسلام ودعوته ومجتمعاته من حركات الصحوة الإسلامية.

ومن باب قول الله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ (١)، وقول النبي - ﷺ -: (اتبع السيئة لحسنة تمحها) (٢) أبدأ بذكر المجالات التطبيعية التي تعتبر من سلبيات حركة الصحوة الإسلامية، ثم أتبعها بمجالات عمل حركات الصحوة الإسلامية .. فاسأل الله التوفيق.

* * *

(١) المؤمنون: ٩٦.

(٢) جزء من حديث رواه: الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٥٣.

القسم الأول: تطبيقات الأصولية الإسلامية
في المجالات العقدية والتشريعية والاجتماعية والسلوكية.

أولًا: المجالات العقدية والتشريعية:

لقد وقع الغلو من بعض جماعات الصحوة الإسلامية في بعض المسائل العقدية والتشريعية أذكر منها:

١]- المغالاة في مسألة الولاء والبراء: ولا ينكر أن الولاء والبراء من أعظم الأصول الإسلامية التي تم تقريرها في أكثر من موضع في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (١).

وفي أكثر من حديث نبوي، من ذلك قوله - ﷺ -: «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله**» (٢).

والولاء للمسلم يكون بحسب التزامه بالحق أو بعده عنه، قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «**من كان مؤمنًا وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافرًا وجبت معاداته من أي صنف كان . . ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أعطى من الموالاة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره، ولا يخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي**») (٣).

وعلى هذا فكل من نطق بشهادة التوحيد كان له حق من الولاء، ولكن يعطى منه بمقدار ما هو عليه من التزام بواجبات أو مقتضيات شهادة التوحيد، وللأسف فقد وقع الغلو في الولاء والبراء من كثير من حركات الصحوة الإسلامية، حيث قصر بعضهم الولاء على جماعته، وزعموا أنها جماعة المسلمين، وتأولوا الأحاديث الواردة في النهي عن مفارقة الجماعة فصرفوها إلى جماعتهم.

فمثلاً: تدعي جماعة شكري مصطفى أنها جماعة المسلمين، وكانوا يقولون عن

---

(١) آل عمران: ٢٨ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٢١٥ حديث رقم (١١٥٣٧)، والإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٨٦ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٩٨).

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٢٧- ٢٢٩ باختصار.

أنفسهم: **«جماعتنا الوحيدة المسلمة في العالم»** ويعتقدون أنها جماعة آخر الزمان التي ما إن ظهرت ستظل ظاهرة لا يضرها من خالفها حتى يقاتل آخرها الدجال أو حتى تقوم الساعة، وكان أحد قياداتهم يقول: **«نحن جماعة الحق ومن عدانا فليس بمسلم»** ويقول آخر: **«إن الولاء لله ولرسوله لا يتمثل من الناحية العملية بداهة إلا بالدخول في ولاء جماعة المسلمين - ويقصد جماعته - وإن الله تعالى إنما أوجب ترك موالاة جماعات الكفر للوقوع في ولائه»**[(١)].

وقد تجد مثل هذا التعصب للجماعة عند كثير من الجماعات الأخرى، لكنه لا يصل إلى حد تكفير الجماعات الأخرى، فقط ينحصر في التعصب لجماعتهم وتفضيلها على غيرها، وقد أدى هذا الغلو في كثير من الأحيان إلى إثارة الخلافات والشغب لأبسط الأسباب، حتى أن بعض أفراد الجماعات كان يمتنع من الصلاة خلف إمام من جماعة أخرى لا ينتمي إلى جماعته.

٢]- المغالاة في قضية الإيمان والكفر: قضية الإيمان والكفر قضية ليست باليسيرة وتحتاج عند الكلام فيها إلى تحفظ شديد، وإلى الأخذ بمجموعة ضوابط شرعية حتى يتجنب مغبة الوقوع في إثم تكفير المؤمن، فكما في الحديث: **«إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما»**[(٢)] وفي رواية: **«ومن رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله»**[(٣)] وفي رواية **«لا يرمى رجل رجلًا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»**[(٤)].

وهذه النصوص وأمثالها تلفت النظر إلى التحذير من الوقوع في التكفير، ذلك لأنه من الأحكام الشرعية المضبوطة بضوابط معلومة من كتاب الله وسنة رسول الله - ﷺ - والقول فيها بمجرد الهوى جهل واجتراء على أحكام الشريعة، قال ابن تيمية - رحمه الله - **«من ادعى دعوى وأطلق فيها عنان الجهل مخالفًا لجميع أهل العلم، ثم مع مخالفتهم يريد أن يكفر ويضلل من لم يوافقه عليها فهذا من أعظم ما يفعله كل جهول»**[(٥)].

---

(١) انظر: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ص ٢١١، ٢١٢ ط مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) البخاري بشرح ابن حجر ٦١٠٣ ك الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ١٠/ ٦٢٠.

(٣) البخاري بشرح ابن حجر ٦١٠٤ ك نفس الكتاب والباب.

(٤) البخاري بشرح ابن حجر ٦٠٤٥ ك الأدب، باب ما ينهي عن السباب واللعن ١٠/ ٥٦١.

(٥) ابن تيمية: كتاب تلخيص الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ص ١٢٥ ط الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع - دلهي بالهند - الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ.

وللأسف فقد وقع بعض أفراد من المنتسبين إلى الصحوة الإسلامية في هذا المنحدر الصعب وغالوا في مسألة التكفير، وكفروا المجتمع، وزعموا أنه مجتمع جاهلي . .

ويمكن أن نحصر مظاهر الغلو في قضية التكفير في عدة نقاط هي كما يلي:

أ- التكفير بالمعصية .

ب- تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله بإطلاق .

ج- تكفير الأتباع المحكومين بغير ما أنزل الله بإطلاق .

د- تكفير الخارج عن جماعتهم .

هـ- تكفير المقيم غير المهاجر، حيث يعتبرون المجتمعات الإسلامية، دار كفر وتجب الهجرة منها .

د- تكفير من لم يكفر الكافر .

وموضع الخلل هو فهم هؤلاء الأفراد الخاطئ لمعنى الكفر، حيث لم يفهموا أن هناك كفرا دون كفر، أو كفر عمل وكفر اعتقاد، فجعلوا يقذفون بصواعق التكفير كل مسلم اتباعًا لهواهم .

٣]- المغالاة في ذم التقليد وإلزام جميع الناس بالاجتهاد: التقليد وهو العمل بقول الغير من غير حجة(١)، وقد ذم جمهور علماء أهل السنة التقليد(٢)، ودعوا إلى الاجتهاد، ولكنهم لم يلزموا جميع الأمة به، ولم يكفروا به أحدًا، وهذا هو الموافق لنصوص القرآن الكريم فمن ذلك :

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٣) فلم يوجب على الجميع التفقه في الدين ولكن أوجبه على مجموعة منهم تتحمل مسئولية البلاغ والإنذار .

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ

---

(١) محمد بن علي الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص ٢٦٥ ط مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١١٤ ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٨ هـ.

(٣) التوبة: ١٢٢ .

مِنْهُمْ﴾ [١].

ولكن مع ذلك فقد غالى بعض أفراد حركات الصحوة في ذم التقليد، غلوًا شديدًا حتى أن بعضهم كفر المقلد[٢]، ومنهم من كان لا يقف عند اجتهاد العلماء، ويخوضون في العلماء خوضًا لا يليق.

ومن الخطأ في فهم شباب الصحوة الإسلامية في مسألة الاجتهاد، هو أنه يغلب الحماس عندهم الفقه، مع أن سعة العلم ضرورة لفهم وجهات نظر المجتهدين، وترجيح مذهب فقهي على آخر.

يقول الشيخ/ محمد الغزالي - رحمه الله: [٣]

« . . **إن الأمر المثير للقلق أن تجد بعضهم يعرف أطرافًا من المرويات، يكترث بها وحدها ويذهل عن غيرها، ثم يذهب يتحدث عن الإسلام دون فقه أو رويّة، وقد روى أحدهم حديث «ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار»** ثم حكم على الألوف المؤلفة من عباد الله أنهم من أهل جهنم، قلت له: إن إسبال الإزار كبرًا رذيلة، وقد كان في الجاهلية الأولى شارة الرياسة والملك . . أما طول الإزار حتى الكعبين أو دونهما قليلاً لستر الجسم وتجميله دون اغترار ولا استكبارًا فهو لا يدخل النار! فأبى المتحدث أن يستمع إلى شرحي، وعدّني من علماء السوء الخارجين على السنة . . ورأيت نفرًا من هؤلاء يغشون المجامع مذكرين بحديث أن أبا الرسول - ﷺ - في النار! وشعرت بالاشمئزاز من استطالتهم وسوء خلقهم، قالوا لي: كأنك تعترض على ما نقول؟ قلت ساخرًا: هناك حديث آخر يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [٤] فاختاروا أحد الحديثين . . قال أذكاهم بعد هنيهة: هذه آية وليست حديثا! قلت: نعم جعلتها حديثًا لتهتموا بها فأنتم قلما تفقهون الكتاب!!

قال: كانت هناك رسالات قبل البعثة، والعرب من قوم إبراهيم وهم متعبدون بدينه،

---

(١) النساء: ٨٣.
(٢) انظر كتاب ((الحجيات ص ١٤)) لشكري مصطفى، نقلاً عن الغلو في الدين ص ٣٧٠.
(٣) يلاحظ أن الشيخ الغزالي رحمه الله كان يحب شباب الحركة الإسلامية ويسعى لتوجيههم ولكن كان كثيراً ما يحدث بينهم الصدام لحدة بعض الشباب.
(٤) الإسراء: ١٥.

قلت: العرب لا من قوم نوح ولا من قوم إبراهيم وقد قال الله تعالى في الذين أرسل إليهم سيد المرسلين: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ (١) وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢) . . وللفقهاء كلام في أن أبوي النبي - ﷺ - في النار يردون به ما تروون . . لقد أحرجتم الضمير الإسلامي حتى جعلتموه ليستريح أن يروي: (أن الله أحيا الأبوين الكريمين فآمنا بابنهما، وهي رواية ينقصها السند، كما أن روايتكم ينقصها الفقه، ولا أدري ما تعشقكم لتعذيب أبوين كريمين لأشرف الخلق - ﷺ؟ ولم تنطلقون بهذه الطبيعة المسعورة تسؤون الناس؟ إن المرويات تتعارض في ظاهر الأمر، وهنا يدخل علماء الفقه وعلماء الأثر للتنسيق والترجيح، وقد يصح السند ولا يصح المتن، وقد يصحان جميعًا ويقع الخلاف في المعنى المراد، وهذا باب واسع جدًا . . ومنه نشأ ما يسمى بمدرسة الأثر ومدرسة الرأي، والأولون أقرب إلى الفقه الظاهري، وإن خالفوه كثيرًا . . والآخرون أوسع دائرة وأبصر بالحكمة والغاية وكلاهما إلى خير إن شاء الله!!

. . إن ناسًا أدمنوا النظر في كتب الحديث واتخذوا القرآن مهجورًا فنمت أفكارهم معوجة، وطالت حيث يجب أن تقصر وقصرت حيث يجب أن تطول، وتحمسوا حيث لا مكان للحماس، وبردوا حيث تجب الثورة، نعم من هؤلاء من ظن الأفغانيين من أتباع أبي حنيفة لا يقلون شرًا عن الشيوعيين أتباع كارل ماركس، لماذا؟ لأنهم وراء إمامهم لا يقرأون الفاتحة!»(٣).

هذان موقفان من المواقف التي تتطلب فقهًا وفهمًا لوجهات نظر المجتهدين، والتي يتضح منها أن بعض إخواننا من شباب الصحوة لم يحالفهم حظ كبير من هذا الفقه، ثم بعد هذا يذمون التقليد، ويلزمون الناس، جميع الناس بالاجتهاد!!!

وبنظرة فاحصة في أوضاع حركات الصحوة الإسلامية نجد أن كثيرين من أفرادها

---

(١) سبأ: ٤٤.
(٢) القصص: ٤٦.
(٣) الشيخ/ محمد الغزالي: لا سنة بغير فقه (مقال بمجلة الأمة القطرية) ص ١٠، ١١ عدد ذو القعدة ١٤٠٢ هـ/ سبتمبر ١٩٨٢م.

برغم ما ينادون به إلى الاجتهاد، إلا أنهم أميل إلى التقليد، وإيثار بقاء كل قديم على قدمه، وليس هذا مقصورًا على الحركات التي عرفت بنزعتها الظاهرية في فهم الإسلام، والحرفية في تفسيره، بل يكاد ذلك يعم الحركات الإسلامية المعاصرة، حتى التي اشتهرت فيها بالمرونة وسعة الأفق وخاضت من التجارب ما يجعل لها الحق في التجديد والتغيير، فهي تتمسك ببعض الوسائل والأشكال ولو وقفت حجر عثرة في سبيل انتشارها، أو جلبت عليها من المتاعب ما هي في غنى عنه! وتنفر من الأفكار الحرة، والنزعات التجديدية التي تخالف المألوف والمستقر من الأفكار والأعمال حتى ولو كانت لا تصادم الشريعة!![١]

وهناك بعض الجماعات الإسلامية من يفرض على أتباعه نوعًا من الثقافة المحفوظة التي ترددها وتكرر مفاهيمها كأنها قرآن يتلى، فيغدون وكأن كل واحد منهم (شريط مسجل) يردد ما مليء به، لا إنسان بفكر يحاور، ويأخذ ويدع، فما قاله أميرهم أو رئيسهم في موقف من المواقع أو في قضية من القضايا ذات الأوجه المتعددة هو الصواب الذي لا يقبل الخطأ، بل الحق الذي لا يحتمل الباطل، ورغم إنكارهم للتربية الصوفية التي تقوم على السمع المطلق والطاعة العمياء والتي شعارها: من قال لشيخه: لمَ؟ لا يفلح، والمريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، نراهم يربون أتباعهم على شل هذه النزعة وإن لم يقولوا ما قاله المتصوفة، ومن قال: لِمَ؟ نظر إليه بتحفظ، فإن أكثر منها فهو متمرد!! والأدهى من ذلك ألا يقتصر ذلك على الجنود فقط والمريدين، بل يراد أن يطبع بهذا الطابع التقليدي العلماء والمفكرون - أيضًا - فلا يخرجون عن الإطار المرسوم لا في التفكير ولا في التعبير فإن فعلوا قوبلوا بأعنف الهجوم والسخرية[٢].

وفي إحدى المرات كُلّف أحد المشايخ العامل في حقل الحركة الإسلامية بوضع خطة عمل لخمس سنوات، فكان مما اقترحه ضمن الخطة: إجراء حوار متصل مع القوى الخائفة من الإسلام والمناوئة له، والمعادية للحركة الإسلامية، حوار فكري مع

---

(١) انظر د/ يوسف القرضاوي: وقفة مع الحركة الإسلامية (مقال بمجلة الأمة القطرية) ص ١٢ عدد شعبان ١٤٠٥ هـ/ أبريل ١٩٨٥.
(٢) د/ يوسف القرضاوي: المرجع السابق ص ١٣.

المستشرقين وأمثالهم من رجال الفكر الغربي، وحوار ديني مع الأحبار ورجال الدين المستعدين للتفاهم والوقوف في وجه المادية الطاغية، وحوار سياسي مع الدبلوماسيين والسفراء والمهتمين بالشئون السياسية، والغرض من هذا الحوار تغيير الفكرة القديمة التي تصور الإسلام غولاً، والمسلمين وحوشًا، والحركة الإسلامية حركة إرهاب وعنف دموي . . وإمكان إقامة تعايش سلمي بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى، وأن يكون للمسلمين حقهم في حكم أنفسهم في أوطانهم وفق عقيدتهم وشريعتهم، ولكن العجيب أن هذا الاقتراح قوبل من الأغلبية بالرفض والسخرية حتى قال من قال: إن الشيخ أصبح تقدميًا[١]!

ومن هنا ندرك أن الاجتهاد الذي يدعون الناس إليه هو اجتهاد لا بد أن يوافق اجتهادهم، واجتهاد أمرائهم وشيوخهم.

وقد حدث لي ذات مرة مع أحد هؤلاء الإخوة شيء من هذا، فقد صليت ذات مرة العصر بالناس، وبمجرد الفراغ من الصلاة ابتدرني أحد هؤلاء الإخوة قائلاً بصوت عال: (يا شيخ: الصلاة الفائتة تقضى أم لا؟) فقلت: نعم تقضى، فقال: لا، لا تقضى فقد أفتى الشيخ/ ابن باز بأن الصلاة الفائتة لا تقضى وإن قضيت لا تقبل، قلت: أما قال النبي - ﷺ -: **«من تذكر صلاة كانت عليه فليصلها أينما ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك»**.

حقيقة تدخل أحد الإخوة لإقناعه بصحة هذا الكلام، ولكنه جعل يعلل رأيه - أو رأى شيوخه على الأصح - بعلل منها: أن القول بجواز قضاء الفائتة وقبولها يدعو الناس إلى التقصير في المحافظة على صلاة الجماعة . . وإن كان لم يتسن[٢] لي التحقق من صحة نسبة هذه الفتيا إلى الشيخ/ عبد العزيز بن باز - رحمه الله، إلا أن الأمر واضح جدًا حيث إن في المسألة نصًا، ومع ذلك يتمسك بقول عالم أيًا كان!! لمجرد أنه ممن ينتسب إلى الدعوة السلفية، ويرفض حديث النبي - ﷺ - لمجرد أن الذي يرويه له أو يذكره به أزهري من أصحاب العمائم!![٣].

---

(١) المرجع السابق ص ١٣ بتصرف يسير.

(٢) أثناء مراجعة البحث وافاني أحد الأفاضل بعدم صحة نسبة هذه الفتيا إلى الشيخ/ ابن باز رحمه الله.

(٣) معروف أن الأزهرية لا يكرهون الدعوة إلى الأخذ بمنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم - ولكن يكرهون إساءة بعض المنتسبين إليها إلى هؤلاء السلف من جراء تعنت بعضهم وتهورهم، وإن كان في الأزهرية بعض من انحرف فكرهم فواجب هؤلاء الذين يدعون إلى منهج السلف أن يسعوا لردهم بالتي هي أحسن فذاك منهج السلف.

ثم بعد ذلك يذمون العوام على التقليد ويطالبونهم بالاجتهاد.

والاجتهاد كما هو معروف في الشريعة الإسلامية وإن كان ليس حكرًا على طبقة معينة حيث لا كهنوت ولا إكليروس(١)، ولكن هناك عالمًا متخصصًا يملك أدوات الاجتهاد وتتحقق فيه شروطه، فهو الذي يجتهد فيما يعرض عليه من وقائع، ويصدر فيها رأيه بما انتهى إليه اجتهاده أصاب أو أخطأ، وشروط المجتهد معروفة ومفصلة في كتب أصول الفقه، منها: شروط علمية ثقافية مثل العلم باللغة العربية، والعلم بالكتاب والسنة، والعلم بمواضع الإجماع المتيقن، والعلم بأصول الفقه وطرائق القياس والاستنباط، والعلم بمقاصد الشريعة وقواعدها الكلية، . . ولا بد مع كل هذا أن يكون لديه ملكة الاستنباط، وهي تنمو بممارسة الفقه، ومعرفة اختلاف الفقهاء ومداركهم، ولهذا قالوا: «**من لم يعرف اختلاف الفقهاء لم يشم رائحة الفقه**». وهناك شرط مهم نبه عليه الإمام أحمد بن حنبل وذكره ابن القيم في إعلام الموقعين وهو: ألا يعيش المجتهد الذي يفتي الناس بمعزل عنهم ويصدر أحكامًا بعيدة عن الواقع، أو يحاول تطبيق أحكام عصر انقضى وأناس مضوا على عصر آخر وأناس آخرين، ويستلزم هذا إطلاع المجتهد على أحوال مجتمعه وإلمامه بالأصول العامة لثقافة عصره بحيث لا يعيش هو في واد والمجتمع من حوله في واد آخر، فهو يُسأل عن أشياء ولا يدري عن خلفيتها وبواعثها النفسية والاجتماعية من حوله شيئًا فيتخبط في الحكم عليها(٢).

وللأسف فإن غلوّ بعض شباب الحركة الإسلامية في مسألة الاجتهاد ومحاولة إلزام جميع الناس بها كان ناشئًا عن عدم استجماعهم لتلك الشروط، فأكثرهم عندما يريد أن يحمل الناس على الأخذ بمنهج السلف يحاول أن يوقف عجلة الزمان، بل وإعادتها وإن استطاع حتى عصر السلف، ولكن ما الذي يمنع أن ندعو الناس للأخذ بمنهج السلف مع الوضع في الاعتبار ضرورة تفهم أن هناك أمورًا جدت لم تكن في عهد السلف، فإما أن نتعاون في الاجتهاد على أن نضع لها من الأحكام والحلول ما يناسبها

---

(١) إكليروس: هي كلمة يونانية: تعني القسم المخصص لله، وهو تعبير يطلق على رجال الدين النصراني: انظر: التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة ص ٢٢ لجماعة من علماء اللاهوت: الأرثوذكس - القاهرة ١٩٩٧م.

(٢) انظر: ابن القيم: إعلام الموقعين ٤/ ٢٥٦ ط مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.
وانظر: الشيخ/ محمد الشيخ/ محمد أبو زهرة: أصول الفقه ص ٣٥٦- ٣٧٥ ط دار الفكر العربي - القاهرة.

في إطار وحدود قواعدنا الأصولية - وهي والله تتسع لذلك - وإما أن نقف مكتوفي الأيدي، لنعطل مصالح العباد، ولنحقق للأعداء ما يطمعون في إقناع الناس - حتى المسلمين به - وهو أن الإسلام وشريعته دين جامد ومتخلف ورجعي . .

ومثل تلك الأمور هي التي كانت أشبه بحجر عثرة في طريق العمل الإسلامي المعاصر، فحبذا لو أمطناها عن طريقنا، فوالله إماطتها من شعب الإيمان.

ثانيًا: المجالات الاجتماعية والسلوكية:

مجالات الغلو في النواحي الاجتماعية والسلوكية بالنسبة لبعض أفراد الصحوة الإسلامية، كانت من الكثرة بحيث أنها جعلت المجتمع ينظر إلى كل ملتزم نظرة ريب ونفور.

ونحاول ذكر بعض تلك الحالات الاجتماعية والسلوكية فيما يلي:

١]- التشديد على النفس: النفس بطبيعتها ملول وهي من الحق نفور، لأنه على خلاف طبعها، وهي دائمًا بحاجة إلى الترويض على الطاعة حتى لا تمل.

ولذلك جاء القرآن الكريم وهو يبين أن الله: ﴿ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ (١)، ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ (٢)، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ (٣) . . وغير ذلك من آيات القرآن التي توضح أن هذا الدين بني على اليسر ورفع الحرج.

وفي السنة - أيضًا - كَمّ ليس بالقليل في هذا الباب، ولكن نختار منه ما يدل على أن التشديد على النفس مزلق خطر، يخشى لو استمر الإنسان أن ينقطع عن العبادة لما يصيبه من الملل فمن ذلك:

قوله ﷺ: «**لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قومًا شددوا على أنفسهم فتلك بقاياهم في الديارات والصوامع**»(٤). ويقصد بذلك أحبار أهل الكتاب الذين سلكوا طريق الغلو والتشدد في العبادة، حتى يذكر أن بعضهم ربما مات دون أن يمس الماء جسده،

(١) الحج: ٧٨.
(٢) المائدة: ٦.
(٣) البقرة: ٢٨٦.
(٤) رواه أبو داود (٤٩٠٤) ك الأدب، باب الحسد، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ((رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء وهو ثقة)) ٦/ ٢٥٦.

وربما كان أحدهم يقف في صلاته على قدم واحدة . . يريد بذلك أن يعذب نفسه طاعة لله[١]، هذا فضلاً عن تحريم بعض الطيبات سواء في الطعام والشراب أو النساء، ولا يخفى على أحد نتائج هذا التشدد أن خرجت أجيال ملت هذا التشدد ولكنها لم تعد إلى سواء السبيل، بل نبذت الجميع وفضلت الإلحاد، والنزوع إلى التخلص من قيود التكاليف، وليس هذا فقط حال عوام الناس عند أهل الكتاب، بل إن علماءهم أيضًا على هذا النحو، فادعى بعضهم الرهبنة، ولكنهم لم يستطيعوا صبرًا على نداءات الفطرة فربما وقعوا في الزنا . .

ومن ذلك قوله ﷺ لمعاذ حينما صلى بالناس فأطال فشكاه رجل: «**أفتان أنت يا معاذ - يكررها ثلاثًا**»[٢] ومعناه «**أي منفر عن الدين وصاد عنه**»[٣].

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رجل يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب النبي - ﷺ - ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضبًا منه يومئذ ثم قال: يا أيها الناس إن منكم منفرين فمن أمَّ منكم الناس فليتجوز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة»[٤].

وهذه الأحاديث وأمثالها تدل على خطورة الانزلاق في مزلق الغلو في التشديد على النفس في أمور التكاليف.

ومن أقوال العلماء في هذا الباب: قال العز بن عبد السلام - الملقب بسلطان العلماء: «**لا يصح التقرب بالمشاق، لأن القرب كلها تعظيم للرب سبحانه وتعالى وليس عين المشاق تعظيمًا ولا توقيرًا**»[٥].

وقال: «**من الأعمال ما يكون شريفًا بنفسه وفيما رتب عليه من جلب المصالح ودرء المفاسد فيكون القليل منه أفضل من الشاق من غيره، ولا يكون الثوابث على قدر النصب في**

(١) انظر: أبي الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ط مكتبة الدعوة - القاهرة.
(٢) البخاري بشرح ابن حجر (٧٠١) ك الآذان، باب إذا طوّل الإمَام وكان للرجل حاجة فخرج فصلى ٢/ ٢٣٨ .
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٤/ ١٨٢ .
(٤) البخاري بشرح ابن جحر (٧٠٤) ك الآذان، باب من شكا إمامه إذا طول ٢/ ٢٤٦ .
(٥) عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام: قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ٣٦ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

مثل هذا الباب كما ظن بعض الجهلة بل ثوابه على قدر خطره في نفسه»[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : **«وما ينبغي أن يعرف أن الله ليس رضاه - أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق حتى يكون العمل كلما كان أشق كان أفضل كما يحسب كثير من الجهال أن الأجر على قدر المشقة في كل شيء . لا ! ! ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصلحته وفائدته ، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله ، فأي العملين كان أحسن وصاحبه أطوع وأتبع كان أفضل ، فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة ، وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل»**[٢] .

وقد يعترض هذا ما جاء في بعض الأخبار من فعل النبي ﷺ لبعض الطاعات على وجه المشقة مثل أنه كان يقوم حتى يتفطر قدماه ، ووصاله في الصوم . . وغير ذلك !

ولكن هذا منهج خاص به عليه الصلاة والسلام لا يستطيعه غيره ، ولذلك كان يقول لمن يريد محاكاته في الوصال في الصوم **«إني لست كهيئتكم أبيت يطعمني ربي ويسقين»**[٣] .

حتى لو افترض أن إنسانًا غير النبي - ﷺ - استطاعه فليجعله لنفسه ولا يلزم به أحدًا ، وقد صرحت بعض الأحاديث النبوية بحرية المرء في الأخذ بالأشد لنفسه ما لم يتجاوز الحدود الشرعية وبدون إلزام الآخرين به ، فمن ذلك قوله ﷺ :

«إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف ، فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»[٤] .

ومما يؤسف له أن أغلب حركات الصحوة الإسلامية غلب عليها في كثير من الأحيان التشديد على النفس كواحد من تطبيقات الغلو في السلوك ، ومن مظاهر ذلك :

أ- التطويل بالناس في الصلاة . ب- تطويل الخطب والدروس .

جـ- النقد اللاذع للمقصرين . د- التكفير بالمعصية عند بعض الجماعات .

---

(١) المرجع السابق ١/ ٣٤ .
(٢) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى ٢٥/ ٢٨٢ .
(٣) البخاري بشرح ابن حجر ١٩٦٦ ك الصوم ، باب التنكيل لمن أكثر الوصال ٤/ ٢٥٢ .
(٤) البخاري بشرح ابن حجر ٧٠٣ ك الآذان ، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء ٢/ ٢٤٥ .

ولعل شباب الصحوة الإسلامية يعذر في بعض فعاله هذه، فربما كان ذلك الحال الذي وصلوا إليه من الغلو بمثابة ردّ فعل للحالة التي بلغها المجتمع حولهم من التفريط والتلاعب بالعبادة حتى أن كثيرًا من المسلمين أصبح كالمسيء صلاته، الذي أمره النبي - ﷺ - بإعادتها وهو يكرر عليه: «**صل فإنك لم تصل**» وحجتهم في ذلك «**كان النبي ﷺ** أخف الناس صلاة» و«**من أمّ الناس فليخفف**». ولكنهم لو أتموا الأحاديث التي يستدلون بها على التيسير والتخفيف لعلموا أن الأمر لا يعني اللعب بالعبادة، فحديث: «**كان النبي ﷺ** أخف الناس صلاة» عقبه يقول: «**في تمام**»[1] يعني دون نقص في أركانها.

وحديث من أمَّ منكم الناس فليخفف بقيته يقول فيه النبي ﷺ، «.. **اقرأ والشمس وضحاها، والضحى والليل إذا يغشى، وسبح اسم ربك الأعلى**»[2].

ولكن برغم هذا فإن الأمر كان يحتاج إلى ترو وتعقل أكثر، وأخذ بمنهج وضوابط الإسلام في تعبيد الناس لربهم.

٢]- ومن مظاهر الغلو التي وقع فيها بعض أفراد الصحوة الإسلامية ذم العلوم الدنيوية من هندسة وكيمياء وفلك وذرة .. وكل ما ينتج عن هذه العلوم من مبتكرات وأجهزة.

وقد كان في منتصف القرن المنصرم بعض من يسمون الطائرة والسيارة بدعة، ويقولون بحرمة قيادة المرأة للسيارة، ويحرمون ارتداء البدلة ونحوها ويسمونه لباس أهل الكفر ..

وبلغ الأمر ذروة الغلو عند جماعة التكفير الذين حرموا الأخذ بوسائل التعليم الحديثة كالجامعة ونحوها، وأبغضوا العلوم غير الدينية، وعدوا العمل بها صفاقة وقلة حياء، يقول شكري مصطفى في كتابه الخلافة:

«والذي يظن أن هذه الحشود من الجهد والعلوم والمبتكرات التي تغرق الأرض الآن أنها قامت لعبادة الله، أو أنه يمكن التوفيق بين بذل العمر في صنع هذه المدنية الرائعة والدنيا العريضة المزخرفة وبين عبادة الله بالصوم والصلاة والدعاء والذكر والحج والبلاغ والجهاد في الله حق جهاده، .. أقول من كان يظن أن تكاليف بناء المدنية الحديثة لا يتعارض مع تكاليف

---

(١) البخاري بشرح ابن حجر ٧٠٦ ك الآذان، باب الإيجاز في الصلاة وإكمالها ٢/ ٢٤٧.
(٢) البخاري بشرح ابن حجر ٧٠٥ ك الآذان، باب من أشكال إذا طول ٢/ ٢٤٦.

العبادة، وأنه يمكن لعلماء الغرب وبناة المدنية أن يكونوا عبّادًا لله في نفس الوقت . . من كان يظن ذلك فليشهد على نفسه أولاً قلة الحياء وصفاقة الوجه، ثم يفعل بعد ذلك ما شاء . .»(١).

وجملة القول فإن منع هذه الجماعة لأتباعها من الانتساب إلى المدارس والمعاهد العلمية معروفة عند كل من تربطه بهذه الجماعة أدنى صلة، وقد اعترف بذلك معظم الذين تخلوا عن هذه الجماعة . . ومما يجدر ذكره أن تحريم الدراسة ليس قاصرًا على كليات الطب والهندسة واللغات الأجنبية وإنما يشمل الجامعات والمعاهد الإسلامية التي لا تدرس غير العلوم الإسلامية، لأنها من مؤسسات الطاغوت، وتدخل ضمن إطار مساجد الضرار، فأساتذتها منافقون على الإطلاق، بل ومرتدون أما العلم المشروع فلا يكون إلا في الشقق التابعة للجماعة ولا يصح تقرير منهج غير المنهج الذى وضع أصوله وفروعه قائد هذه الجماعة (٢).

وهذا كلام لا يحتاج إلى مناقشة أو استدلال لكشف مقدار الغلو فيه، وذلك لأن منهج الإسلام عمومًا جاء بأصول تزكي النفوس وتهذب الأخلاق . . وفي نفس الوقت تبني المدنية وتقيم الحضارة، في إطار يرضي الله ورسوله، ثم إن بناء المدنية لا يتعارض مع عبودية الله عز وجل، أليس إعمار الكون من عبودية الله عز وجل، فمفهوم العبادة أوسع من قصره على الشعائر التعبدية فقط.

أفليس الطبيب الذى يداوي جراحات الناس وأمراضهم عابدًا؟ والمهندس الذى ينظم تجمعات الناس ومساكنهم عابدًا؟ والصانع الذى يصنع المعدات التى تريح الناس وتعينهم في رخاء ورغد عيشهم عابدًا؟

ولذلك قسم العلماء العلوم إلى قسمين:

الأول: علوم شرعية يقصد بها تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق، وصيانة العقائد من الفساد وتكون الأعمال الصالحة بها مثمرة للخير.

الثاني: علوم يقصد بها المنافع الدنيوية فقط، وهذه تختلف أحكامها باختلاف

(١) كتاب الخلافة، نقلاً عن محمد سرور بن نايف: الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو ص ٢٣٧ ط دار الأرقم - برمنجهام - بريطانيا - الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م.
(٢) محمد سرور بن نايف: الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو ص ٢٣٨ بتصرف.

مقاصد المتعلم، فإن قصد بها الخير وبنيت على الإيمان والدين صارت علومًا دنيوية دينية محمودة، وأما إذا لم يقصد بها الدين صارت علومًا دنيوية محضة ليس لها غاية شرعية شريفة بل غاياتها دنيئة ناقصة (١).

ثم إذا كنا كمسلمين عمومًا نشكو واقعًا مريرًا من تخلف أمتنا في ميادين الصناعة والتقدم التكنولوجي، ونعيش على فتات وفضلات الغرب والشرق، أفلا يجب علينا أن ندفع شباب الأمة الإسلامية إلى المنافسة في فقه تلك العلوم مع تحصيل النية، بدلاً من أن ندعوهم إلى الرضا بواقع التخلف؟

٣]. ومن مظاهر الغلو التى وقع فيها شباب الصحوة الإسلامية: نظرتهم إلى المجتمع على أنه مجتمع جاهلي، ولقد توسع بعض غلاة التيار الإسلامي المعاصر في إطلاق هذا التعبير على المجتمعات الإسلامية، حتى أنك ربما وجدت هذا التعبير في كتابات بعضهم في الصفحة يتكرر عدة مرات (المجتمع الجاهلي. مجتمع الجاهلية) . . وغير ذلك.

ولعل بعض رؤس التيار الإسلامي المعاصر أمثال أبى الأعلى المودودي وأبى الحسن الندوي وسيد قطب ومحمد قطب . . وغيرهم لم يكونوا يقصدون بهذه النظرة تكفير المجتمع.

وهذا ما نلمحه في كتابات سيد قطب ومحمد قطب حيث يتأولان أن ظروف نشأة هذا التعبير هي من حيث أنه يحكم بغير ما أنزل الله تعالى، وقد سمى الله الحكم بغير ما أنزل حكمًا جاهليًا فقال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٢). وما دام الحكم جاهليًا فالمجتمع الذى يحكم به مجتمع جاهلي، ولكن وصفنا لهذه المجتمعات بالجاهلية لا علاقة له ألبتة بعقائد أهل هذه المجتمعات (٣).

ولكن لم يكن كل شباب التيار الإسلامي على درجة واحدة من إدراك هذا المقصود

---

(١) انظر: الشيخ: عبد الرحمن السعدي: الفتاوى السعدية ص ١٠٤، ١٠٥ ط مكتبة العارف بالرياض. الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ.

(٢) المائدة: ٥٠ .

(٣) انظر من كتاب سيد قطب: ((في ظلال القرآن)) ٢/ ٩٠٤ ط دار الشروق، وهو في مجمله تفسير قيّم لولا هذه النظرة الكليلة إلى المجتمع، وينظر من كتابات محمد قطب ((جاهلية القرن العشرين)) ط دار الشروق، وكتاب ((واقعنا المعاصر)) ص ٤٨٤ ط دار الشروق. القاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م.

ومن هنا برزت مظاهر الغلو التى بلغت عند بعض الأفراد إلى الربط بين الوصف للمجتمع بالجاهلية وبين الكفر، وأصبحت كلمة جاهلية تساوى الكفر.

وكان بلا شك مثل هذا التصرف سببًا في إحداث هوة عظيمة بين الصحوة الإسلامية وبين المجتمع في وقتٍ الحاجةُ فيه ماسة إلى تجميع الرجال وتضميد الجراح!

وهذا لا يعني الرضا عن المنكر والاستسلام لواقع مرارته، لا الله، ولكن الأمر يعني أنه لابد للشباب المسلم المتحمس للدعوة ولإعلاء كلمة الله. جزاهم الله خيرًا. من إعادة النظر في فقه الواقع وكيفية التعامل مع المجتمعات. وإلا فمن أعظم المفارقات أن تعلن حركات الصحوة الإسلامية أن من غاياتها إقامة المجتمع المسلم ثم هي بعد لا تسلك الطريق إلى ذلك، بل تجعل أكثر المجتمع ينفض من حولها، وصدق الله إذ قال لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (١).

ألا ترى كيف كان النبى ﷺ برغم أن المجتمع الذى كان يعيش فيه كان مجتمعًا جاهليًّا قلبًا وقالبًا، إلا أنه كان يترفق في ندائهم، تارة «**يا قوم**» وتارة «**يا معاشر العرب**» حتى مع اليهود والنصارى «**يا أهل الكتاب**» بأحب الأسماء إليهم.. فكيف ننادي المجتمع بأنه جاهلي وننتظر أن يستجيب لنا؟

ولقد كان يكفيهم أن يسموا (جاهلية القرن العشرين) بجاهلية الحكم في القرن العشرين.. فإن هذه التسمية هي المتسقة مع مفهومهم للجاهلية، كما أنه لا يمكن القول بوجود الجاهلية العامة بعد مبعث الرسول ﷺ (٢).

ونحن مضطرون. هنا. لنقرر أن شباب الحركة الإسلامية، كان قد عجز عن احتواء المجتمع، وذلك لأنه لم يراع بعض التحولات المستجدة في الواقع الاجتماعي وتوازنات البناء الاجتماعي والتكوين النفسي لهذا المجتمع، والتعاطي بحكمة مع بعض الضغوط الفاعلة في حركة المجتمع.. ونماذج الحكمة في احتواء المجتمع. ومراعاة التكوين النفسي والاجتماعي في السنة النبوية كثيرة جدًا.

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) انظر: عبد الرحمن اللويحق: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ص ٣٢٩، وانظر: محمد توفيق بركات: سيد قطب (خلاصة حياته ومنهجه في الحركة والنقد الموجه إليه) ص ٢٣٠.٢٣٨ ط دار المنارة. مكة المكرمة.

من ذلك: تركه ﷺ العتاب لأهل مكة حين جددوا بناء البيت الحرام وقصروه عن قواعد إبراهيم، فقالت عائشة يا رسول الله: ألا تردها إلى قواعد إبراهيم؟ فقال النبى ﷺ: يا عائشة لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت [(١)].

فالكعبة من أقدس المقدسات ولكنه راعى التكوين النفسي للمجتمع فآثر تأخير المطلب الشرعي لأن فعله في ذلك الوقت قد يحدث فتنة في صفوف المسلمين، خاصة تلك الجموع الغفير التى دخلت في الإسلام ولما يثبت الإيمان في حناياها، فآثر القائد الحكيم ﷺ أن يرجئ هذا المطلب الشرعي إلى أن تلائمه الظروف النفسية الاجتماعية وتكون مؤهلة لقبوله [(٢)].

وقد ثبت أن النبى ﷺ قد مات ولم ينجز ذلك الأمر حتى قام به عبد الله بن الزبير في أيام خلافته كما أورده ابن جرير [(٣)].

ومن تلك النماذج ـ أيضًا ـ تركه عليه الصلاة والسلام قتل عبد الله بن أبي ابن سلول رأس النفاق حين قال وهم قافلون من غزوة: ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» قال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبى ﷺ دعه، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه [(٤)].

ألا ترى إلى الحكمة: إن ما فعله ابن أبي سلول هو جريمة ارتداد كاملة، بل أخطر من ذلك هي كشف عن خطة للإطاحة بسلطان المسلمين والحكم الإسلامي، وإثارة حرب أهلية في مدينة الإسلام، وهذه جرائم لا يقابلها من العقوبات سوى القتل، ولكن لما عرضه عمر لم يعترض النبى ﷺ على المبدأ، وإنما اعترض على أثر الموقف على حركة الدعوة الإسلامية من الجانب النفسي **«لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه»** فابن سلول رجل ذو خطر في المدينة وأوجه وجهائها ورموزها عند العرب، فلو قتله النبى ﷺ لطار الخبر في ربوع الجزيرة العربية بأن الفتنة قد نشبت بين محمد وصحبه، وأن النزاع على السلطة يدمر حركة المسلمين من الداخل، فيفتتن الضعيف وتطمع

(١) البخاري بشروح ابن حجر: رقم ٣٣٦٨ ك أحاديث الأنبياء، باب بدون ترجمة ٦/ ٤٩٦.
(٢) انظر: جمال سلطان: فقه الحركة الأصول والمقدمات ص ٤٤ مركز الدراسات الإسلامية ـ برمنجهام ـ بريطانيا ـ الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م.
(٣) راجع ابن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٣/ ١١٣ ط بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
(٤) البخاري بشرح ابن حجر: ٤٩٠٧ ك التفسير.

الجاهلية في النيل من دولة الإسلام، فآثر النبى ﷺ التجاوز عن هذا الواجب الشرعي في ذلك الحين، والاستعاضة عن ذلك باحتوائه نفسيًا وحركيًا [(١)].

أظن أن بعض الأفعال العبثية التى كان يفعلها بعض شباب الحركة الإسلامية. لمجرد اختلاف يسير بين صفوفهم أو مع المجتمع فتقوم المجازر السيفية والقلمية بتقطيع رقاب المخالفين، والرمى بالكفر ليس لها حظ من فقه الواقع الاجتماعي والنفسي المقرر في السنة.

بل إن من أصغر الأمور أن يقوم بعض الرجال. الذين يضربون بخبرتهم إلى عشرات السنين في مجال العمل الإسلامي. بتوجيه شباب الحركة نحو صدامات وعراكات ومشاحنات داخلية مع المجتمع أو بعضهم مع بعض من أجل ماذا؟ من أجل السيطرة على واجهة مسيرة أو صلاة عيد!!

وهم بذلك يسيئون إلى التيار الإسلامي كله، ويظهرونه أمام العامة وأمام الأعداء في صورة ممزقة مضطربة ومتصدعة، مما يزيد الأعداء طمعًا في تعميق شق الصف وصدع الحركات الإسلامية، أما العامة فيترددون ألف مرة قبل أن يستجيبوا أو يؤيدوا هذه الفلول المشتتة المتصارعة. وأكثر أفراد المجتمع لا يستطيعون التفريق بين المعتدل والمتعصب والجاد والهازل من فصائل العمل الإسلامي فحكمه يعم، فتصبح الخسارة على الإسلام!!

٤]. ومن الأمور التى غالى فيها بعض حركات التيار الإسلامي مسألة تقلد الوظائف في المجتمعات التى تحكم بغير شريعة الله، أو (الجاهلية) كما يسمونها.

وقد كانت هذه المسألة مثار جدل عريض بين فصائل التيار الإسلامي، صاروا فيها إلى ثلاثة آراء:

الأول: يرى جواز تولى الوظائف والأعمال في الحكومات التى تحكم بالقوانين الوضعية، وجواز العمل السياسي المقرون بأهداف الدعوة إلى الله تعالى، وجواز تولى كل المناصب لإحقاق الحق وإبطال الباطل فيها بقدر المستطاع.

---

(١) جمال سلطان: فقه الحركة ص ٤٥، ٤٦ بتصرف.

الثاني: يرى عدم جواز تولى أى عمل حكومى في المجتمعات الحاكمة بغير ما أنزل الله تعالى، ويشتطون فيرون مجرد قبول شيء من تلك الوظائف تصبح عبادة للطاغوت.

يقول شكرى مصطفى بعد أن سرد عددًا من الوظائف والأعمال: **«كل ذلك إنما هو سلطان الطاغوت، ودائرة اختصاصه، ومواد ألوهيته، والداخلون في نظامه هم عبيده وسدنة محرابه، وإنه لا شيء مما ذكرنا. ولا قشة ترفع في الطرق بأمر البلدية. في بلد الطاغوت إلا وهي داخلة في إلاهيته»** (١).

فيا سبحان الله: حتى موظف البلدية الذى يجمع القمامة، ويغوص في مجارى الصرف إلى صدره، ولا هو وزير، ولا مدير، ولا بإمكانه التأثير، ومع ذلك يصبح عابدًا للطاغوت؟

الثالث: يرى التوسط فيقول بقبول بعض الأعمال ورفض بعضها، فيقبل من الأعمال كل ما هو غير واقع تحت الضغط المباشر للحكم الجاهلي.

يقول الأستاذ/ محمد قطب: **«الأصل في المسلمين الذين ينكرون الحكم بغير ما أنزل الله، أن يكونوا بقدر الإمكان في مواقع بعيدة عن ضغط الحكم الجاهلي عليهم، ولكن هذا لا يتوافر في جميع الأحوال فكثير من الناس تضطرهم ظروف المعيشة أن يدخلوا تحت هذا الضغط من أجل إعالة أنفسهم وإعالة ذويهم، وهي كما ترى ضرورة بالنسبة لكثير من الناس، فأي الوظائف يصح لهم. تحت هذه الضرورة أن يعملوا فيها؟ لا يوجد تحديد دقيق في الحقيقة .. ولكنا نقول بصفة عامة إنه كلما قربت الوظيفة من السلطان فقد بعد موقع المسلم منها بالضرورة .. ولكن في جميع الحالات لا ينبغي للمسلم الذي ينكر حكم الجاهلية أن يكون وزيرًا، فإنه عندئذ يقع تحت الضغط المباشر للجاهلية بحيث لا يستطيع الفكاك، وأبسط ذلك أن يقسم يمين الولاء للحكم الجاهلي الذي ينكره، أو للطغاة الذين يحكمون بغير ما أنزل الله .. فإنه لا يستطيع عندئذ أن ينجو من مخالفة أمر الله»** (٢).

ولكن إذا نظرنا إلى أقوال علماء السلف في مسألة قبول الولايات من الحكام الظلمة أو الحاكمين بغير ما أنزل الله نجد أنهم على قولين:

---

(١) ينظر كتابه (الخلافة) ص ١٣ نقلاً عن: (الغلو في حياة المسلمين المعاصرة) ص ٥٢٦.
(٢) محمد قطب: واقعنا المعاصر ص ٤٨٥، ٤٨٦.

الأول: جواز قبول الولاية إذا عمل بالحق فيما تقلده من الأعمال.

الثاني: أنه لا يجوز قبول الولايات من الظالم [(١)].

والراجح عند الأئمة الأعلام القول بقبول العمل أو الولاية حتى لا تصبح الأماكن كلها شاغرة فمن يعمل لإحقاق الحق وإبطال الباطل. خصوصًا وأن الوظائف أو الولايات ذات تأثير بمالها من الوجهة السلطانية.

قال العز بن عبد السلام: «**لو استولى الكفار على إقليم عظيم فولوا القضاء لم يقوم بمصالح المسلمين العامة، فالذي يظهر إنفاذ ذلك جليًا للمصالح العامة، ودفعًا للمفاسد الشاملة، إذ يبعد من رحمة الشارع ورعايته لمصالح عباده تعطيل المصالح العامة وتحمل المفاسد الشاملة لفوات الكمال فيمن يتعاطى توليتها لمن هو أهل، وفي ذلك احتمال بعيد**» [(٢)].

وأفتى شيخ الإسلام ابن تيمية من سأل عن جواز تولى الولاية أو الإقطاع التى يكون فيها تكاليف من السلاطين تتضمن شيئًا من الظلم فقال: «**الحمد لله: نعم إذا كان مجتهدًا في العدل، ورفع الظلم بحسب إمكانه، وولايته خير وأصلح للمسلمين من ولاية غيره واستيلاؤه على الإقطاع خير من استيلاء غيره.. فإنه يجوز له البقاء على الولاية والإقطاع ولا إثم عليه في ذلك، بل بقاؤه على ذلك أفضل من تركه، إذ لم يشتغل إذا تركه بما هو أفضل منه**» [(٣)].

بل إن شيخ الإسلام قال ـ أيضًا ـ في قول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [(٤)]: «**ولم يكن يوسف يمكنه أن يفعل كل ما يريد، وهو ما يراه من دين الله فإن القوم لم يستجيبوا له، لكن فعل الممكن من العدل والإحسان ونال بالسلطان من إكرام المؤمنين من أهل بيته ما لم يكن يمكنه أن يناله بدون ذلك، وهذا كله داخل تحت قوله تعالى:**

---

(١) انظر: على بن محمد حبيب الماوردي: الأحكام السلطانية ص ٧٥ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٣، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢١٥ ط دار الكتاب العربي ـ القاهرة.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ٧٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٠/ ٣٥٧.

(٤) يوسف: ٥٥.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [(١)]، [(٢)].

ومن هذا يتضح أنه لا حرج في تولى الوظائف الحكومية ما دامت النية محصلة في القلب بالعزم على إحقاق الحق وإبطال الباطل.

* * *

(١) التغابن: ١٦.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٥٤.

القسم الثاني:

ميادين عمل حركات الصحوة (الأصولية) الإسلامية

أما عن ميادين عمل حركات الصحوة الإسلامية كتطبيقات لها فكثيرة، حيث أن الكثير من الجماعات الإسلامية بل يقف نشاطها عند حدود العمل الدعوى الوعظي فقط، بل خاضوا العمل الاجتماعي والتربوي الثقافي، والعمل الصحي، والعمل الاقتصادي، والعمل العسكري.

وسنحاول ـ بإذن الله تعالى ـ ذكر بعض هذه الميادين، ولكن يلاحظ أنه من الصعب إحصاء عمل أو جهود كل جماعة من الجماعات على حِدَة، فأقول وبالله التوفيق:

١]ـ ميدان العمل الاجتماعي:

لقد كان لحركات الصحوة الإسلامية في ميدان العمل الاجتماعي باع واسع جدًا، وذلك أمر طبيعي حيث إن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية تسعى لإصلاح المجتمعات، وصياغتها وَفْق القوانين الإلهية.

والعمل الاجتماعي لحركات الصحوة الإسلامية يتمثل فيما كانت تقوم به جماعات الصحوة من خدمات للنهوض بالمجتمع، ومن ذلك:

ـ إقامة مشروعات لكفالة اليتيم، ومساعدة الفقير، ومعونة المعوق المسلم.

ـ إقامة مشروعات لتزويج اليتيمات وإعانة الأرامل (١).

ـ كما عنيت بعض جماعات الصحوة بالإصلاح الريفي، وقد أسس الإخوان جماعة من بينهم للعناية بنهضة القرية المصرية، وعملوا بعض المزارع النموذجية، وتباروا في إطعام الفقراء، وإنارة القرى، والعناية بالمصالحة بين المتخاصمين، وتولت إحدى اللجان إحصاء الأطفال المشردين والأسر الفقيرة لتشغيل الأطفال في صناعة تتفق

---

(١) انظر: د/ فؤاد على مخيمر: الجمعية الشرعية منهاجًا وسلوكًا ص ٢٤ ـ ٢٧ بدون ذكر الطبعة، وانظر: حسين بن محسن: الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٢٦٩ (ما لخصه عن لائحة جماعة أنصار السنة المحمدية).

وإمكاناتهم، وإعالة العجزة الذين لا عائل لهم [١].

. كما عنيت بعض الجماعات . أيضًا . بتوجيه الشركات العمالية وصبغها بالصبغة الإسلامية، وتوجيه العمال الصناعيين للاشتراك في النقابات، والمطالبة بعمل نقابات للعمال الزراعيين، وبث روح التعاون في صفوف العمال [٢].

. كما عنيت بعض الجماعات في نشاطها الاجتماعي بإيجاد بيوت أزياء للمحجبات، لعرض الملابس الإسلامية للنساء المسلمات، وقد اتسع نطاق هذا العمل من خلال فروع كثيرة في شتى الأقطار.

. توفير بعض السلع الغذائية للأسر الفقيرة، فما يجدر ذكره أن الجماعة الإسلامية بمنطقة عين شمس (وحدها) كانت قد استطاعت في سنة من السنوات توفير نحو سبعمائة بطاقة تموينية للفقراء يوزعون عليهم السكر والأرز والدقيق. . وغير ذلك [٣].

هذا ولا تزال بعض الجماعات التى لها صفة قانونية تعمل في مجال العمل الاجتماعي إلى الآن مثل (أنصار السنة المحمدية، والجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة)، ولم يشذ من جماعات الأصولية الإسلامية عن نزول ميدان العمل الاجتماعي غير جماعة التكفير فقد كانت ترى المجتمع كافرًا، ولا يستحق أعمال البر.

٢]. ميدان العمل التربوي الثقافي:

ميدان العمل التربوي الثقافي كان من أثرى ميادين العمل عند حركات الصحوة الإسلامية، ذلك لأن كل جماعة كانت تؤسس فكرتها على أساس أنه لابد لها من توجيهات تربوية تنمي فكر الجماعة عند المنتمين إليها، وتجذب الذين لم ينتموا بعد.

وهذه التوجيهات التربوية في مجملها كانت تهدف إلى تربية جيل مسلم على أخلاق الإسلام وآدابه، وكانت تتناول كافة المراحل العمرية، بالإضافة إلى أنها كانت تختلف في الغالب . في بعض الأمور . من جماعة إلى أخرى . على حسب إمكانياتها وقدراتها.

فمن الجماعات من اقتصرت في عملها التربوي والثقافي على المسجد، ومنها من

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ص ١٤٣، ١٤٤، الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٢٧٢.
(٢) الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ص ١٥٠ بتصرف.
(٣) انظر: أ/ صلاح هاشم/ مرجع سابق ص ٨٨.

توسعت فأنشأت لذلك المدارس ودور الحضانة للطفال والكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم، وإقامة المعاهد لتخريج الوعاظ والدعاة المثقفين المتفقهين.

ولعل أبرز الجماعات في ميدان العمل التربوي هي جماعة الإخوان المسلمين، والتى كان لها مدارسها ومعاهدها ودور الحضانة . . المنتشرة في شتى أنحاء مصر والعالم الإسلامي، وقد كان لتلك المدارس مناهج منظمة ومنسقة، بحيث تتناسب مع كافة المراحل العمرية المختلفة (١).

فهناك فصول لمحو الأمية، ودور الحضانة، ومرحلة ابتدائية وإعدادية وثانوية، تصدر للتدريس فيها رجال كانوا يعملون بصدق وإخلاص، لذلك أثمرت جهودهم التربوية ثمارًا طيبة.

ومن طريف ما يذكر أن وزارة المعارف المصرية في عهد العشماوي باشا (سنة ١٩٤٦ م) استعانت بجماعة الإخوان في تنفيذ خطتها لمحو الأمية، اعترافًا منها بنشاط الإخوان في المجال التربوي التعليمي (٢).

وأكثر جماعات الصحوة الإسلامية كانت قد ركزت على اتخاذ المسجد وسيلة من وسائل التربية والتثقيف، ففي ساحات المسجد يحفظ الصبية القرآن، ويختار كتاب من كتب التراث يدرس للكبار (كفتح الباري . أو إحياء علوم الدين . أو موافقات الشاطبي . أو فتاوي ابن تيمية . .) بدقة ومنهجية لا تقل شأنًا عن الأنماط التعليمية المبتدعة في المدارس النظامية، وحضور الطلاب بنفس الدرجة من الحرص، إن لم يكن أزيد.

واشتهر في إبّان ازدهار حركة الصحوة الإسلامية مدارس عرفت بمدارس الجمعة (٣)، وأصحاب فكرة المدارس هم جماعة الإخوان، وتقوم فكرة هذه المدارس على أن يجتمع أطفال كل حي في مسجدهم صباح كل يوم جمعة، حيث يتلقون على يد

---

(١) انظر: د: أحمد ربيع عبد الحميد: الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين ص ١٥٥ . ١٦٨ ط دار التوفيق النموذجية . القاهرة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
كما ينظر: الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٢٦٨ نقلاً عن اللائحة الداخلية لجماعة أنصار السنة المحمدية ص ١ . ٣ .

(٢) انظر: محمد شوقي زكي: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ص ١٩٥ .

(٣) يلاحظ أن تيار الأصولية النصرانية أنشأ في المقابل ما عرف بمدارس الأحد والتى لازالت تمارس نشاطها إلى الآن!!!

معلم من الإخوان دروسًا في مبادئ الدين والتاريخ الإسلامي في صورة قصصية مع بعض الألعاب الرياضية، فإذا حان وقت الصلاة ذهبوا جميعًا إلى مكان الوضوء، حيث يقوم المعلم بتعليمهم كيفية الوضوء ثم يؤدون فريضة الصلاة وينصرفون [(١)].

وتلي جماعة الإخوان في النشاط التربوي الثقافي جماعتا أنصار السنة المحمدية، والجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة، حيث تشرفان على العشرات من المساجد ودور الحضانة والكتاتيب إلى الآن في مناطق مختلفة من أنحاء الجمهورية.

كما أن تيار الصحوة الإسلامية كان قد أخذ في الاعتبار أهمية العمل الصحفي وإصدار المجلات والنشرات في تثقيف الشباب المسلم.

فعلى سبيل المثال:

كانت تصدر عن جماعة الإخوان مجموعة من الجرائد والمجلات (جريدة الإخوان المسلمون اليومية. مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية. مجلة الشهاب. مجلة الكشكول. مجلة الدعوة. مجلة منزل الوحي. مجلة المسلمون. جريدة منبر الشرق) [(٢)].

وكانت تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية، مجلات: (الهدي النبوي. الإصلاح. التوحيد) [(٣)].

هذا بالإضافة إلى النشرات التى كانت توزع بقصد التوجيه إلى أهمية الثقافة الإسلامية . .

ويلاحظ أن بعض أفراد من حركات الصحوة الإسلامية، قد تسببوا في ضياع ثمرة جهودهم التربوية لتهورهم في الأعمال الأخرى، فيثير عليهم الحكومات، فهى لا تفرق بين الجناح العسكري والجناح الدعوي. بل إنها ربما تعتقل من جناح الدعوة أكثر مما تعتقله من الجناح العسكري. حيث إنهم. غالبًا ما كانوا يختفون عقب الأحداث.

٣]. ميدان العمل الصحي:

(١) انظر: د: أحمد ربيع عبد الحميد: الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين ص ١٨٠.
(٢) انظر: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ص ١٨٨، ١٨٩.
(٣) انظر: الشيخ/ فتحي عثمان: أنصار السنة وستون عامًا من الصحافة الإسلامية (مقال بمجلة التوحيد) ص ٤١ عدد جمادى الأولى ١٤٢٢ هـ.

نزل الكثير من جماعات الأصولية الإسلامية ميدان العمل الصحي، إيمانًا منهم بضرورة هذا العمل الإنساني، فانتشرت المستشفيات والمستوصفات الملحقة بالمساجد، وقام بالعمل فيها أطباء ورجال مخلصون كان هدفهم المشاركة في مسح آلام المرضى، وإعانتهم في الحصول على ما قد لا يستطيعون الحصول عليه من الخدمات الصحية.

وعملت بعض الجماعات التى كان لها صفة قانونية كالإخوان وأنصار السنة والجمعية الشرعية على توثيق صلاتها بالهيئات الطبية الحكومية لنشر الوعي الصحي لمكافحة الأمراض والأوبئة، وذلك من خلال الندوات والمحاضرات والدروس المسجدية . . لبيان موقف الإسلام من الطب والتداوي وحشد على سلوك الطرق الوقائية، وكذلك الرضا بكل قدر الله تعالى.

وفي عام ١٩٤٥ فشا وباء الملاريا في صعيد مصر فقامت فرق الجوّالة من الإخوان بجهد طيب لمواجهة هذا الخطر، فعملوا جنبًا إلى جنب مع المسئولين من رجال الإجارة كرجال الصحة وهيئات الهلال الأحمر وخلافه، فكانوا أصدق مثال للإخلاص في العمل . . وفي عام ١٩٤٧ حينما فشا وباء الكوليرا في الوجه البحري (في مصر) جندت الأمة رجالها، وكان كثير من المسئولين للأسف يقرون أمام خطر الموت، فإذا بقيادة جوّالة الإخوان تضع تحت إمرة المسئولين نحو سبعين ألف جوّال ليعملوا في محاربة هذا الوباء، وعندئذ شكل مجلس ليكون أداة اتصال وتنسيق للأعمال التى يقوم بها الجوالون وبين المسئولين في وزارة الصحة، وعمل الجوّالة كان يتمثل في التبليغ عن الحالات والإصابات، ومحاصرة القرى الموبوءة لعدم دخول أو خروج أحد منها، ونشر النصائح الطبية بالمساجد والميادين ولصق الإعلانات على الحوائط، وعن طريق عربات وميكروفونات الدعاية الصحية، والقيام بأعمال النظافة في الأحياء، وتطهير المنازل . . ولقد كان من تقدير المسئولين في ذلك الحين ما أعلنه وزير الصحة الدكتور/ نجيب إسكندر من الإشادة بجهود جوّالة الإخوان [١].

(١) الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ص ١٦٦ ـ ١٦٨ بتصرف.

ولا زالت إلى اليوم بعض المستوصفات التابعة للجمعيات الإسلامية شاهدة على مشاركة رجال الصحوة الإسلامية في مجال العمل الصحي كواحد من أبواب العمل الخيري.

وفي مجال العمل الصحي عند الأصوليين الإسلاميين يجدر أن نشير إلى أن ثمة خلافا كان يقع في بعض القضايا المتعلقة بالصحة بين الأصوليين ومسئولي الصحة، في مثل: (قضية تنظيم أو تحديد النسل. وقضية الختان. وجراحات التجميل . . وغير ذلك).

فكان الأصوليون ينظرون إلى مثل تلك القضايا من منظور ديني، فيرونها مخالفة لأصول الشرع الثابتة، فقضية كقضية تحديد أو تنظيم الأسرة لا يخفى على أحد أنها قضية مستوردة من الغرب الذى أقلقه خصوبة أرحام نسائنا في حين أجدبت أرحام نسائهم، وهو دائمًا يربط بين كثرة النسل والفقر على أنه نتيجة حتمية له، وهذا يتنافى مع قواعد الدين عمومًا والإسلام خصوصًا، التى تأمر بالتوكل على الله والثقة في رزقه.

وليس هذا مجال مناقشة هذه القضايا، ولكن ما أود الإشارة إليه هو أن: الحق وإن كان بجانب هؤلاء الشباب في كثير من هذه القضايا إلا أنهم كانوا يخسرون الجولة فيها، ويعينون غيرهم على كسبها، وذلك بإساءة تصرف البعض منهم في عرض ومناقشة هذه القضايا.

٤]. ميدان العمل الاقتصادي:

لم تكن كل جماعات الصحوة (الأصولية) الإسلامية على درجة واحدة في ميدان العمل الاقتصادي، فأكثر الجماعات كانت تعتمد في مواردها المالية على التبرعات والاشتراكات وهبات ووصايا المحسنين.

ولم يشارك بصورة ملحوظة في ميدان العلم الاقتصادي غير جماعة الإخوان المسلمين، حيث إنهم قاموا بإنشاء شركات عملاقة في مختلف الأنشطة، فأنشأوا شركة للمعاملات الإسلامية على نظام الأسهم، وقامت الشركة بإنشاء مشروعات استثمارية، فأقامت خطوط نقل، ومصنعًا كبيرًا للنحاس ينتج وابور غاز كامل وقطع غياره المختلفة . . وأنشأوا كذلك الشركة العربية للمناجم والمحاجر في سنة ١٩٤٧، وأقاموا شركة

الإخوان المسلمين للغزل والنسيج في عام ١٩٤٨، وشركة الإخوان للطباعة، وشركة الإخوان للصحافة، وكذلك أنشأوا شركة التجارة والأشغال الهندسية، ثم شركة التوكيلات التجارية والتى أصبح لها فروع في جميع أنحاء القطر المصري (١).

هذا وقد كانت بعض الجماعات الأخرى تسهم في العمل الاقتصادي عن طريق بعض المشروعات الصغيرة كالمشغل والورش . . أو عن طريق جهود بعض أصحاب رأس المال المنتمين إلى تلك الجماعات.

وكان للأصوليين تحفظ شديد على أنواع المعاملات الربوية التى يقوم عليها اقتصاد البلاد الإسلامية، فسعوا إلى تعديل مسار أسس الاقتصاد، فأنشأوا ما يسمى بالبنوك الإسلامية وشركات توظيف على الطريقة الشرعية.

وحينما أقاموا تجربة البنوك الإسلامية كان الهدف منها تخليص الاقتصاد الإسلامي من المعاملات الربوية المخالفة للشريعة الإسلامية، وكانت فكرة هذه البنوك تقوم على أساس العمل من أجل حماية الفقراء وتحقيق التكافل الاجتماعي، بخلاف فكرة البنوك الربوية التى قامت على أيدي اليهود، والتي تغلب عليها النزعة الفردية التى تقوم على الاتجار بالأموال للإثراء من خلالها، ولا تضع مصلحة المجتمع هدفًا أو غاية لها، وإنما الربح الشخصي هو الهدف الأساسي من قيامها (٢).

ومما يدل على نجاح تجربة البنوك الإسلامية أن عددًا كبيرًا من غير المسلمين فتحوا حسابات لهم في البنوك الإسلامية، بل إن بعض البنوك الأوروبية حينما رأت نجاح فكرة البنوك الإسلامية جعلت تقتفي أثرها في تطبيق نظام المرابحة خلال دورة إنتاجية واحدة بعد وضع تصور معين للتكاليف (٣).

وقد لاقت البنوك الإسلامية معارضات شديدة من الذين ألفوا النظام الربوي ونمت من خلاله ثرواتهم، حيث دبروا المؤامرات وأشاعوا حولها الشائعات، واتهموا أصحاب رؤوس الأمور فيها والعاملين عليها بالنصب والاحتيال، وتهريب الأموال إلى

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ص ٢٢١ . ٢٢٣ .
(٢) انظر: إسماعيل الكيلاني: البنوك الإسلامية تجربة رائدة لحماية الفقراء (مقال بمجلة الأمة القطرية) ص ٦١ عدد رمضان ١٤٠٣ هـ / يونيه ١٩٨٣ .
(٣) المرجع السابق ص ٦٤ بتصرف.

خارج البلاد . . إلخ هذا المسلسل الذى كان الناس يشاهدونه في ذهول غريب!!!

جدير بالذكر أن ظهور الصحوة الإسلامية في أولها كان قد عاصر تدهورًا خطيرًا في الاقتصاد الإسلامي في أواخر أيام الدولة العثمانية، وغزت رؤوس الأموال الأجنبية العالم الإسلامي في شكل قروض ربوية، استتبعها احتلال عسكري صليبي . . وكان للأجهزة المصرفية وشركات التأمين الغربية في تلك الفترة دور رئيس وفعال، حيث جردت الأمة من المال بامتصاصه بعد أن أصبح معظم المسلمين يتنفسون الربا حتى تخدرت أجسامهم، وأضحوا لا يجدون تداويًا من الربا إلا به!!

وكان الربا من أشد أسلحة الخصوم فتكًا، فهو يغرى بالكسب من أي وجه كان هذا الكسب، ولو من أحط وجوه الاستثمار كالاتجار بالرذيلة أو المخدرات وما إلى ذلك، ويرهق الفقير فلا يجد سبيلاً إلى كسب القوت إلا بقبول العمل الصغير، وبنحول فرص العمل أحكمت الحلقات، فمراكز التوجيه والمسئولية مكفولة لخصوم الإسلام ظاهرين أو مستترين.

فهل يلام شباب الصحوة الإسلامية إن كان حريصًا على أن يعمل لاستقلال اقتصاد الأمة الإسلامية من تبعية الاقتصاد الأوروبي الربوي.

٥]. ميدان العمل العسكري:

حركات الأصولية الإسلامية جميعًا تؤمن بفرضية الجهاد ومدى أهميته لدعم العمل الإسلامي المعاصر، وإن كانت فلسفة التوقيت المناسب لنزول ميدان العمل العسكري تختلف من جماعة إلى أخرى، فهناك من يرى أن الوقت غير مناسب للعمل العسكري، وهناك من يرى أن الجهاد لا يرتبط بتوقيت زمني معين.

ولكن برغم هذا فإن الجميع يحرصون على التربية البدنية، والإعداد الجيد للشباب، ويقسمون أفراد الجماعة إلى قسمين: قسم للدعوة، وقسم للجهاد، وقسم الجهاد مهمته توفير الأمن اللازم لقسم الدعوة ومصالحه، وهناك من الجماعات من توسعوا في ميدان العمل والتربية العسكرية، وكانت لهم معسكراتهم الخاصة للتدريب على فنون القتال ومهاراته، مثل جماعة الإخوان وحركة طالبان وتنظيم القاعدة وتنظيمات أخرى في أفغانستان، وفي الجزائر وليبيا . . وغير ذلك.

وقد نزل بعض تلك الجماعات ميدان العمل العسكري في صفّ الأمة عمومًا، وليست حروبًا خاصة بالجماعة، فمثلاً: لعبت تشكيلات الإخوان المسلمين العسكرية

دورًا بارزًا في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م (١)، وكذلك في حروب القناة عام ١٩٥١ ضد الإنجليز، تمثل في نسف المعسكرات، وقطع خطوط الإمداد والتموين، وفتح المعسكرات لتدريب القوى الشعبية على أعمال المقاومة (٢).

وقد أبدى اتحاد مسلمي أفغانستان والذى كان يحوى عدة تنظيمات. دورًا كبيرًا في الجهاد ضد الروس الذين كانوا يريدون أن تظل الشعوب مسلوبة الإرادة تحت سلطانهم، وأبلوا في ذلك أحسن البلاء مع غيرهم من المجاهدين في آسيا حتى سقط الدب الروسي البغيض (٣).

وفي الجزائر. يوم أن جاء الاحتلال الفرنسي ورفع الصلبان فوق بعض المساجد وجعل أحد القادة يقول: «**إن أيام الإسلام في الجزائر أصبحت معدودة . . وإن مدينة الجزائر لن يكون لها بعد عشرين سنة من إله إلا المسيح**» (٤). جاهدت حركة ابن باديس ثم الأمير عبد القادر، ثم الجبهة الإسلامية للإنقاذ . . جهادًا مريرًا ضد هذا المستعمر الذي أعلنها حربًا صليبية.

وفي ليبيا قاومت الحركة السنوسية الاحتلال الإيطالي حتى دوخته، وفي تركيا جاهدت الأحزاب الإسلامية جهادًا مريرًا. أيضًا. . . وعلى كلٍّ فإن حركات التحرر ضد الاستعمار كله في الشرق والغرب كان الإسلام هو محركها ومطلق شرارتها، والحركات الإسلامية في مقدمة الثوار على الاستعمار.

ولكن للأسف: فإن هذه الأعمال العسكرية الصادقة التى تحسب لحركات الصحوة في شتى الميادين (الديني. والوطني. والقومي) إلا أن البعض من المغرضين حاول بعد ذلك تعريتها من الصبغة الدينية الإسلامية، فنسمع أنها مقاومات شعبية، أو ثورات قومية ووطنية . . وغير ذلك مما خلفه الاستعمار عند خروجه من مصطلحات لا تغري الجيل القادم بالجهاد، ولا بالغيرة على الدين، ولا الانطلاق من خلاله.

(١) انظر: عبد العال الباقوري: العرب وإسرائيل وفلسطين ص ١١. ١٦ ط مكتبة الأسرة. القاهرة ١٩٩٨م
(٢) انظر: حسن دوح: صفحات من جهاد الشباب المسلم ص ٢٧، ٨٢، ١٢٩، ١٣٢ ط دار الاعتصام. القاهرة ١٩٧٧م.
(٣) انظر: عز العرب فؤاد: أفغانستان المجاهدة ص ٦١ . ٦٧ ط دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.
(٤) انظر: مجلة الأمة القطرية ص ٦٩ عدد المحرم ١٤٠٥ هـ/ أكتوبر ١٩٨٤م.

وما الضير في أن نسميها الثورة الشعبية الإسلامية، أو الثورة الإسلامية الوطنية، حيث إن الإسلام يحثنا على تقدير الأوطان، وحب ذرات ترابها!

وقد يعتذر المعتذرون بأن تسميتها «إسلامية» يؤدي إلى ضياع جهود آخرين «من غير المسلمين» شاركوا في الثورة والجهاد ضد المستعمر، وما أعجب هذا الاعتذار؟ نعم إسلامنا يأمرنا أن نعرف للناس أقدارهم وأن نشكر لهم صنيع معروفهم، ولكن هذا لا يعني أن نطمس معالم ديننا، ولا أن نروي تاريخ أمجاده لأجيالنا مطموسة الهوية!

وليت أعمال التضليل تقف عند حد تسمية أعمال الجهاد عملاً شعبيًا أو وطنيًا أو قوميًا فقط، بل إنها تتعدى ذلك إلى تسميته بالإرهاب، ولعل الحملة الإعلامية والعسكرية التى قادتها الولايات المتحدة الأمريكية مؤخرًا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ تؤكد صدق ما أقول.

فبرغم تفاهة الأدلة كما قرر ذلك الخبراء العسكريون والمحللون السياسيون عالميًا، إلا أن أمريكا تجاهلت كل هذا، واعتدت على حركة طالبان ومعهم ألوف الأبرياء من الأفغان غير المسلمين، ولم يعتبروا فعلهم هذا إرهابًا بل شرعية دولية.

مع أن المختصِّين في القانون الدولي عالميًا أكدوا أن فعل أمريكا ليس له وجه من الدولية الشرعية..

يقول الأستاذ الدكتور/ صلاح عامر. أستاذ القانون الدولي: **«إذا نظرنا إلى ما تقوم به أمريكا. الآن. في حربها ضد أفغانستان فليس له شرعية ولا أساس في القانون الدولي، ومن وجهة نظر القانون الدولي هو من قبيل العدوان ضد دولة.. فحق الرد والانتقام في هذه الحرب غير متوافرة بالدليل القاطع من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنها دلائل مشكوك في صحتها.. والأعمال العسكرية التى تقوم بها أمريكا الآن نوع من الإرهاب** [(١)].

ويقول الدكتور/ حسن نافعة. أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة: **«إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكتف بشن الحرب على أفغانستان بدون إذن صريح ومسبق من مجلس الأمن.. وإنما راحت تخطر مجلس الأمن بأن العلميات العسكرية في حرب (الإرهاب) قد تتجاوز أفغانستان، ونحن نعلم أن عددًا من الدول العربية والإسلامية من بينها العراق وليبيا وسوريا وإيران.. وغيرها مدرجة في القائمة الأمريكية الخاصة بالدول الداعمة**

---

(١) انظر: ميرفت الحصري: الإرهاب هل يسود العالم؟ (مقال من تحقيقها بجريدة الأهرام) ص ٣٣ بتاريخ ١٩/ ١٠/ ٢٠٠١م.

للإرهاب، **وأن عددًا من حركات التحرر العربي** [١] من بينها: حزب الله، وحماس، والجهاد.. وغيرها مدرج على القائمة الأمريكية الخاصة بالمنظمات الإرهابية» [٢].

وبرغم أن الأعمال العسكرية التى تقوم بها تلك الحركات الإسلامية، جهاد لا يزيد عن حدود الدفاع عن النفس، وإذا قيس إلى جانب ما يلاقونه من أذى وتعدٍّ وانتهاك لحرماتهم بدت أعمالهم العسكرية يسيرة جدًا، ومع ذلك لابد أن تسمى إرهابًا وتطرفًا!!

ويسمى بوش الحرب ضدهم حربًا مقدسة [٣]، وتصرح مستشارة الأمن القومي الأمريكي أن الحملة العسكرية في أفغانستان أكبر من مجرد القضاء على حركة طالبان وتنظيم القاعدة [٤]، ويصرح توني بلير رئيس الوزراء البريطاني **«أبعدوا المتطرفين ليتحقق السلام»** [٥].

ولعل أقرب معنى يمكن أن تفيده تلك التصريحات: أن الحرب حرب دينية، وأنها ستطول لتشمل كل مكان يتوقع منه أى بادرة صحوة أو يقظة، وأنه من أجل أن يتحقق السلام لابد من إبعاد الإسلام!!

والملاحظ بوضوح أن أي تقدم عسكري في الصف الإسلامي عمومًا ومن قبل حركات الصحوة (أو الأصولية) خصوصًا، لابد أن تلصق له الصفة الدينية أو التى تعني (التطرف) فمثلاً عندما قامت دولة باكستان بتجارب نووية في عام ١٩٩٨، سميت القنبلة التى صنعتها باكستان في جميع الأوساط الأوروبية بـ **«القنبلة الإسلامية»**، فلماذا لم تسم القنبلة النووية الأمريكية بأنها نصرانية، أو الإسرائيلية بأنها يهودية أو الهندية بأنها هندوسية [٦].

---

(١) برغم أن هذه الحركات إسلامية لحمًا ودمًا إلا أن علماءنا يبدو أنهم ينسون في بعض الأوقات خطورة الفصل بين الإسلام والعروبة، ولعل الدكتور (صاحب المقال) رأى نزع الغطاء الإسلامي عنها أفضل إيثارًا لسلامتها من حرب الإرهاب!!!

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٣٣.

(٣) انظر: المستشار: محمد حامد الجمل: حرب بوش الثاني العالمية المقدسة، (مقال بجريدة الوفد المصرية السبت ٢٩/ ٩/ ٢٠٠١م.

(٤) جريدة المساء (المصرية) ٢٩/ ٩/ ٢٠٠١م.

(٥) المرجع السابق.

(٦) انظر: د/ علي محمد العجلة: ماذا بعد الزلزال النووي في شبه القارة الهندية (مقال بمجلة منار الإسلام) ص ٩ عدد ربيع الأول ١٤١٩ هـ/ يوليو ١٩٩٨م.

ونحن نسطر عن ميدان العمل العسكري كواحد من تطبيقات الأصولية الإسلامية، لابد أن نقرر الحقيقة برغم مرارتها وهى: أن جهودًا كبيرة عظيمة قد تبذل في الجهاد ولكنها في غير ساحات العدو، أقصد تلك الحروب الداخلية التى تزهق فيها الأرواح المسلمة بالمئات بل بالألوف، فربما نسمع أن الجزائر ـ مثلاً ـ بلد المليون شهيد، ولكن هلاّ عرف شبابنا الأصوليون أن التغاضي عن بعض الأشياء في سبيل وحدة الصف والتكتل لمجابهة العدو الخارجى نهج إسلامي، وهلاّ عرفت حكوماتنا الإسلامية كيف تفجر ما عند هؤلاء الشباب من كنوز الحماس والقوة والإيمان والوطنية لتكوّن أقوى معسكر وأقوى جبهة عالمية.

والذين جابوا الشرق والغرب والخبراء بنفسيات الشعوب، يرون أن الشعوب الإسلامية في الشرق من أفضل الشعوب على الإطلاق، يمكن أن يعتمد عليها، لأن الشعوب غير الإسلامية فقدت قيمها وأخلاقها، فسادهم النفاق والانحراف . . أما المسلمون فالإخلاص الذى يوجد عندهم ـ على الرغم من ضعفهم ـ ليس له نظير، ولا يوجد في غيرهم، والكلمات العظيمة (الله ـ الرسول ﷺ ـ الجهاد ـ الشهادة في سبيل الله) لا يزال لها سحر في نفوس المسلمين، فيمكن أن توجّه تلك الشعوب المسلمة بأسرها خير توجيه، لأن هذه الكلمات قد فقدت معانيها وقيمتها عند أكثر شعوب العالم.

* * *

المبحث السادس

الأصولية اليهودية

ويشتمل على:

أولاً : بعض مظاهر الأصولية اليهودية .

ثانيًا : المذابح التى أقامها الأصوليون اليهود .

ثالثًا : أصولية الحكومة والشعب .

المبحث السادس

الأصولية اليهودية

قد يقول قائل: إن الحديث هنا في هذا البحث عن الأصولية الإسلامية، فما الداعي إلى الحديث عن الأصولية اليهودية ثم النصرانية؟

والجواب: هو أن العالم وإن كان يئن من عمليات العنف والتطرف والإرهاب، إلا أن الجميع يعرفون كيف يضمدون جراحهم، ويسترون فضائحهم، إلا نحن المسلمين!!

فمجرد حدوث أدنى عملية عنف [(١)] تقع في مجتمعنا، نعرف كيف نضخمها ونشهر بها، ليس على المستوى المحلى فقط، وإنما على المستوى الدولى أو العالمي.

ولذلك سأسوق الحديث عن الأصولية اليهودية [(٢)] في إيجاز شديد في نقاط ثلاث ليستطيع القارئ الكريم تقرير ما إذا كانت الأصولية الإسلامية قد بلغت مبلغ التطرف والعنف الذى بلغته الأصولية اليهودية، أو تشكل نفس الخطر الذى تشكله الأصولية اليهودية أم لا؟

أولًا: بعض مظاهر الأصولية اليهودية:

إن الناظر بعين البصيرة يرى الجهود الجبارة التى يبذلها اليهود في كل مكان ليعلنوا للعالم أنهم يتمسكون بأصولهم التوراتية، بل إنهم يفخرون بأنهم أصوليون، حتى العلمانيون منهم.

(١) هذا لا يعني أنني أبرر أعمال العنف أو التطرف، فإنني أكرهها وأدينها وأُنكر على فاعليها، ولكن أردت الإشارة إلى أن الطريقة التي يُصور بها التطرف للتنفير منه يحدث فيها تجاوزاً كبيراً، ربما أدى للتنفير من الإسلام كدين، وفي هذا الفعل خطر عظيم إذ أنه يُعين أعداء الإسلام في حملتهم ضد الإسلام التي قادوها منذ أن زعموا أن الإسلام انتشر بالسيف وليس بخصائصه، مما يجعل آثار هذه الطريقة في تصوير التطرف تنال المتطرف ثم غير المتطرف، وما أجمل ما يحكى في الحكم القديمة: من أن جماعة من الثيران الحمر كان بينها ثور أبيض فكانت تكرهه لأنه يغاير لونها وتنفر منه، فجاء الأسد طالباً ثوراً فقدموا له الأبيض ليتخلصوا منه، ولكنه عاد مرة أخرى يطلب ثوراً جديداً ليأكله، فهجم على أحد الثيران الحمر، فقال الثور وهو بين فكي الأسد: أكلت يوم أكل الثور الأبيض!

(٢) وسيأتي الحديث عن الأصولية النصرانية.

ولعلنا إذا أردنا أن نعدد مظاهر الأصولية اليهودية لأعجزنا ذلك، لكن ما لا يؤخذ كله لا يترك كله فنختار بعضًا من ذلك:

١]. الاسم الذى اختاره اليهود لدولتهم التى أقاموها (إسرائيل) وهو اسم له معنى دينى، حيث كان يطلق على نبى الله يعقوب. جدهم بزعمهم. ومعناه: عبد الله أو الصفوة، ولم يكن إطلاق هذا الاسم اعتباطًا، بل أراد مهندسو التخطيط بإقامة دولة اليهود تجميع اليهود في جميع أنحاء العالم حول قاسم مشترك، فكان اختيار هذا الاسم الذى يحمل عاطفة دينية.

وتغذى التوراة والتلمود هذا المظهر من مظاهر الأصولية اليهودية، حيث تخبرهم النصوص. التى تواطأ على وضعها الحاخامات ونسبوها إلى الله كذبًا وافتراء. بأن الصفوة قد توارثوها عن جدهم، فهم أيضًا صفوة الله، وشعبه المختار من بين الشعوب، وهذه النعمة لا يخلو منها سفر من أسفار التوراة، ففي سفر اللاويين. مثلاً.: «وتكونون لى قديسين لأني قدوس أنا الرب، وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى» (١). «. . أنا الرب إلهكم الذى ميزكم من بين الشعوب» (٢). أنا الرب الذى أخرجكم من أرض مصر ليعطيكم أرض كنعان فيكون لكم إلهًا». . (٣).

وفي التلمود: «أن الإسرائيلي مُعتبر عند الله أكثر من الملائكة، وأن اليهودي جزء من الله، فإذا ضرب أمىٌ إسرائيليًا فكأنه ضرب العزة الإلهية، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود. . والشعب المختار هم اليهود فقط، أما باقي الشعوب فهم حيوانات» (٤).

. . وغير هذا عشرات النصوص التى تعتبر أصلاً في تكوين الشخصية اليهودية والروح العدوانية المستعلية التى تلازمها على الدوام.

٢]. اختيار الموقع المناسب الذى يعلمون خطورة تأثيره على العاطفة الدينية اليهودية

---

(١) الكتاب المقدس - سفر اللاويين ٢٠: ٢٦ ط دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط - القاهرة ١٩٩٣.
(٢) سفر اللاويين ٢٠: ٢٤.
(٣) سفر اللاويين ٢٥: ٣٨.
(٤) د/ روهلنج: الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٥١ وما بعدها - ط مطبعة المعارف - مصر ١٨٩٩ (ترجمة د/ يوسف نصر الله).

لإقامة دولتهم عليه، فمن المعروف تاريخيًا أن أرض فلسطين لم تكن هى المرشحة لتكون الوطن القومي لليهود، بل رشحت عدة أقطار في أفريقيا وأمريكا الشمالية، ولم تظهر فكرة فلسطين أرض الميعاد إلا بعد فترة من الزمن. . حيث فكر تيودور هرتزل في طريقة يلهب بها عواطف اليهود، فلم يجد إلا الفكرة الدينية، فرأى أن فلسطين هى المكان الوحيد الذى يناسب هذه الدعوة الجديدة، ولليهود بفلسطين علائق تاريخية، ولهم فيها مقدسات دينية [١].

فمجرد أن كان التلويح بالعودة إلى الأصولية. حتى الأصول المكانية. كانت الاستجابة، فعادوا في أسراب هجرات منظمة حتى أعلنوا قيام دولتهم في عام ١٩٤٨م، وهم يرون ذلك حقًا طبيعيًا وعودة إلى الأصولية.

٣]. إعلان التوراة دستورًا لدولتهم، حيث إن الأصوليين اليهود يتبعون تعليمًا فحواه أن القوانين الوضعية لا تطبق على إسرائيل، ومن بين كل شعوب الأرض، فإن الإسرائيليين وحدهم لا يمكن تطبيق القوانين التى يشترعها الإنسان عليهم، ولكن تطبق فقط عليهم قوانين الله [٢].

وقوانين. الله تلك يفرونها عليه كذبًا. هى أقوال الحاخامات [٣] ومن وضعهم، هؤلاء الحاخامات الأصوليون يسيطرون على الحياة في كل ناحية، وأتباعهم من اليهود يعتقدون أن لهم سلطة إلهية وأن جميع أقوالهم صادرة عن الله، وأن الله يستشير هم على الأرض عندما يوجد مسألة عويصة لا يمكن حلها في السماء أو أن أقوالهم أفضل من أقوال الأنبياء، فهى شريعة واجبة الاتباع، وأن من جادل حاخامه فقد أخطأ، وكأنه جادل العزة الإلهية، حتى لو تناقضت أقوال الحاخامات فيما بينها أو تضاربت مع بديهيات العقول، أما لو تناقضت تعاليم الحاخامات مع أوامر الله فقد قالوا: يجب إتباع التعاليم الحاخامية، لأنها غير قابلة للنقض حتى من الله نفسه [٤].

---

(١) د/ يوسف القرضاوي: القدس قضية كل مسلم ص ٥٧، ٥٨ - بتصرف - ط دار التوفيق النموذجية - الناشر مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م.

(٢) انظر: جريس هالسل: النبوءة والسياسة (الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية ص ٧٤ ترجمة/ محمد السمّاك - ط جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - ليبيا ١٤١٠هـ.

(٣) الحاخامات: كلمة عبرية معناها الرجل الحكيم وتطلق على جماعة المعلمين والفقهاء.
انظر: د/ عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ١٥١ ط دار الشروق - القاهرة ١٩٩٩م.

(٤) انظر الكنز المرصود ص ٥٢.

وقد وضعت تحت إدارة الحاخامات. تمامًا. جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية، ولا يعترف إلا بالزواج الديني. عندهم . . والحصول على الجنسية الإسرائيلية يمر عبر عباءة الحاخامات السوداء، فهم وحدهم الذين يستطيعون أن يحكموا بأن هذا يهودي أو غير يهودي، كما يحكمون بدرجة تفاوتها فيصير الشخص يهوديًا صحيحًا أو يهوديًا ناقصًا تبعًا لمشيئتهم، فيُمنح الجنسية أو يُمنع [(١)].

ولا يقف نفوذ الحاخامات عند حدّ الأحوال الشخصية. أو غيره. بل نشاط دائب التأثير على الحياة والسياسة في إسرائيل، وفي ترويج الدعاية لوجهات النظر والأهداف العنصرية الأصولية، ولا يتوقفون إذا ما رأوا تشريعات وقوانين أو نشاطًا دينيًا لا يعجبهم، فهم فوق هيئات الدولة التى تضعهم في حسابها عند كل قرار تتخذه حتى لا تُرمى بالخروج على الشريعة ومعاداة اليهودية ومخالفة التوراة!!! [(٢)].

وحينما نقول: إن إعلان التوراة والتلمود دستورًا لدولة إسرائيل من أوضح المظاهر للإعلان عن أصوليتهم المتطرفة، فإن هذا الأمر غير خاص برجال الدين المحافظين وحدهم، بل إن العلمانيين من رجال الدولة يتخذون لغة دينية ويتحدثون وكأنهم حاخامات ورجال دين.

٤]. ومن مظاهر الأصولية اليهودية: إحياء اللغة العبرية بعد موتها لأكثر من ألفي عام، لأنهم يهدفون من وراء ذلك إلى ربط الأجيال اليهودية المعاصرة بلغة التوراة، على الرغم من أنه ربما كان من الأيسر عليهم في تعليم هذا الخليط. الذى يتحدث لغات شتى وله جذور فكرية مختلفة. أن يُقرؤهم التوراة مترجمة إلى لغاتهم، ولكن الأصولية اليهودية تدعوهم إلى ربط الجيل الجديد بأصوله، حتى اللغوية.

وكما جعلوا التوراة دستورًا لإسرائيل، جعلوا اللغة العبرية. أيضًا. اللغة الرسمية لهم، ولذلك يهدف برنامج التعليم الإسرائيلي من إحياء العبرية كلغة تعامل. وإخراجها من حيز المعابد. إلى تنشيط الذاكرة اليهودية بما حدث لآبائهم وأجدادهم في الشتات، لتظل الروح اليهودية في حالة استنفار ضد الغير دائمًا، وحماية الدولة بكل الوسائل بما

(١) محمود النجيري: أكذوبة الأصولية الإسلامية والغارة الأصولية الإنجيلية اليهودية على العالم الإسلامي ص ١٢٧ بتصرف - ط دار البشير للطباعة والنشر - القاهرة ١٤١٤هـ.
(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٢٧.

في ذلك الوسائل الإرهابية، خوفًا من العودة إلى الشتات ومذابح الأغيار [١].

وليس تدريس اللغة العبرية في المدارس اليهودية على نسق ما نفعل في الفاعل المرفوع أو المفعول المنصوب أو زيد الذى ضرب عمرًا!!

ولكن تدرس العبرية بآدابها وتاريخها المزيف بطريقة تغرس في نفسيات الأطفال الحقد على العالم، وتنمي فيهم الرغبة الجامحة في إبادة كل ما هو غير يهودي.

يقول الأستاذ: عماد شكور. المستشار بمنظمة التحرير الفلسطينية:

«يخرج التلميذ من حصة اللغة العبرية أو الأدب العبرى وهو يريد أن يحطم العالم لما فعله بأجداده، وتتكون لدية أفكار لا تقل خطورة عن تلك التى جاءت في بروتوكولات حكماء صهيون، ولكن الأبشع من ذلك كله هو مدارس الدين. فهذه المدارس مواقع لتخريج الإرهاب العقائدى، حيث يبيح الحاخامات دماء غير اليهودي ويدعون إلى طرد كل العرب من فلسطين بالعنف والإرهاب» [٢].

٥] ومن مظاهر الأصولية اليهودية: صبغ الحياة عندهم بالتعاليم اليهودية، وذلك واضح جدًا حتى في مجرد الأسماء، سواء أسماء الأشخاص أو غيرها.

فمثلاً: «**باراك، رابين، شمعون، مائير..**» أسماء تترد في مواضع عديدة من أسفار العهد القديم، حتى أسماء الأماكن: فمثلاً: البرلمان عندهم يطلقون عليه اسم «**الكنيست**» وهى كلمة عبرية تعنى جماعة إسرائيل [٣].

وحتى الحركة التى قامت على أكتافها دولة إسرائيل اختاروا لها اسم «**الصهيونية**» نسبة إلى جبل صهيون بأرض فلسطين، وهو الجبل الذى كان ينافح عنه إشعياء. بطل السفر المعروف. ويقول: «**من أجل صهيون لا أسكت ومن أجل أورشليم لا أهدأ**» [٤].
ويقتبس مناحم بيجن [٥] نفس العبارة كلما أجرى حوارًا بخصوص أرض فلسطين

(١) انظر: وجيه أبو ذكر: الإرهابيون الأوائل (جيراننا الجدد) ص ٢٧ ط المكتب المصري الحديث - القاهرة ١٤٠٧هـ.
وانظر: د/ حسن ظاظا وآخرون: الصهيونية العالمية وإسرائيل ص ٥٧ وما بعدها - ط الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية - القاهرة ١٩٧١م.
(٢) وجيه أبو ذكرى: الإرهابيون الأوائل ص ٢٧.
(٣) انظر: موسوعة اليهود واليهودية ٥/ ٧٦.
(٤) سفر إشعياء ٦٢: ١.
(٥) مناحم بيجن هو رئيس وزراء إسرائيل في فترة السبعينات.

ويقول: «من أجل صهيون لن أهدأ ومن أجل أورشليم لن أسكت»[(١)].

بل ويجمح بهم الخيال إلى النظر إلى المدن الإسلامية العربية في فلسطين على أنها هى هدفهم القديم، فمثلاً يقول مناحم بيجن في حوار له مع الرئيس ريجان:

«سيدي الرئيس إن ما يطلق عليه من قبل بعضهم الضفة الغربية هو يهوذا أو السامرة، وحقائق التاريخ البسيطة هذه لن تتغير أبدًا.. وسأتمسك بتلك الحقيقة التى تنص على أنه قبل ألفي عام كانت مملكة يهودية في يهوذا والسامرة.. هنالك سجد ملكونا للرب، وهنالك تنبأ أنبياؤنا بالسلام الأبدي، وهنالك أنشؤا حضارات غنية، حملناها معنا في قلوبنا وأفكارنا وفي تجوالنا لأكثر من ألف وثمانمائة عام وعدنا بها إلى وطننا..»[(٢)].

وقال موشيه دايان يوم الاستيلاء على القدس عام ١٩٦٧ «اليوم فتحت الطريق إلى بابل ويثرب.. وإذا كنا نملك التوراة وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فيجب أن تكون لنا أرض أورشليم وحبرون وأريحا ويافا»[(٣)].

بل إن اليهود في أصوليتهم ينظرون إلى العرب على أنهم هم العماليق الشعب الذى كان يسكن أرض كنعان عند دخول يشوع إليها، فقد كتب الحاخام (يسرائيل هيس) يقول: «سوف يقترب اليوم الذى ندعى فيه جميعًا لشريعة الحرب المقدسة من أجل إبادة عماليق»[(٤)].

٦]. إتباع نفس السياسة العسكرية التى في التوراة والتلمود، وهذا من أوضح مظاهر الأصولية اليهودية، حيث إن العنف الذى يرتكبه اليهود اليوم، فينفذونه باسم الشرائع (تلمودًا وتوراة)، ويشبه تمامًا القصص البطولية للشعب الإسرائيلي كما ترويها أسفارهم. ولذلك يقول ابن جريون: «إننى أرى أن يشوع هو بطل التوراة إنه لم يكن مجرد قائد عسكري فقط بل كان المرشد لأنه توصل إلى توحيد قبائل إسرائيل»[(٥)].

---

(١) انظر: مجلة الأمة (القطرية) العدد ٥٩، ذو القعدة ١٤٠٥ هـ/ يونيه ١٩٨٥م.
(٢) انظر: مجلة الأمة (القطرية) العدد ٥٩، ذو القعدة ١٤٠٥ هـ/ يونيه ١٩٨٥م.
(٣) المرجع السابق، نقلاً عن جريدة الجيروز اليم بوست الإسرائيلية عدد بتاريخ ١٠/ ٨/ ١٩٦٨م.
(٤) د/ رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ص ١٧٦ سلسلة عالم المعرفة - عدد (١٠٢) يونيو ١٩٨٦م.
(٥) المرجع السابق ص ١٧٢ عن كتاب التوراة والبندقية لمناحم بيجن ص ٩٥، ٩٦.

ولأنه صاحب العمليات العسكرية العنيفة التى أذلت الملوك الذين كانوا أمامه -حتى أن رجاله كانوا يضعون أرجلهم فوق أعناقهم [١]، وما دخلوا مدينة من المدائن إلا أبادوا كل من فيها كما يقول السفر: « . . **فضربوهم جميعًا بحد السيف حتى أبادوهم ولم يبقوا نسمة»** [٢].

وهذه العبارة تتكرر على طول الخط في مسلسل يشوع الدموي، فلا يكاد يدخل مدينة فيبيد أهلها حتى يجتاز. كما يعبر السفر. إلى مدينة أخرى فيبيد أهلها حتى لا يُبقى نسمة!!

ولذلك تحرص المدارس والجامعات في إسرائيل الأصولية على أن تدرس للطلاب النصوص التى تحكى الأعمال العسكرية الرهيبة التى قام بها يشوع عند استيطانه للأرض المقدسة بنفس الصورة الوحشية التى يحكيها سفر يشوع دون أن تحظى بأي معالجة نقدية تذكر، وقد قام العالم السيكولوجي (جورج تامارين) بإجراء بحث في جامعة تل أبيب عام ١٩٦٦ م حول ردود فعل الطلبة على سفر يشوع وفظائع أريحا وغيرها من الأماكن، وقدم مجموعة أسئلة إلى حوالي ١٠٦٦ طالبًا من الصف الرابع حتى الصف الثامن، وأعمهم تلك الأسئلة: هل تعتقدون أن يشوع والإسرائيليين قد فعلوا الصواب؟ ولنفرض أن الجيش الإسرائيلي يحتل قرية عربية بالقتال، فهل يتحتم أن يفعل كما فعل يشوع مع أهالى أريحا؟

وكانت النتيجة أن (٦٠%) أجابوا بأن يشوع قد فعل الصواب، و(٣٠%) وافقوا على عمل المثل ضد أهالي القرية العربية المحتلة [٣].

ومن هذا يتضح أن القوم عن بكرة أبيهم أصوليون متطرفون، وما نسمه من أن هناك ما يسمى اليمين المتطرف وهو الذى يشكل خطرًا أصوليًا، وقد يفهم منه أن في اليهود معتدلين.

ولكن حقيقة الأمر توضح أن الأمر ما دام يتعلق بغير يهودي فهم جميعًا أصوليون.

---

(١) انظر: سفر يشوع ١٠: ٢٤ .

(٢) سفر يشوع ١١: ١٤ .

(٣) د/ رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية ص ١٧١، ١٧٢ بتصرف.

كما أن الذى ينظر إلى تلك الدراسة ـ سالفة الذكر ـ وإلى الوقت الذى أُعدت فيه (١٩٦٦م) يرى مدى صدى الروح العدوانية التى تظهر من اليهود حتى قبل أن يصبح لديهم من الإمكانيات العسكرية ما لديهم اليوم، فكيف لو أُجرى مثل هذا الاستفتاء بينهم اليوم وقد ملكوا الذري والنووي، وأصبحت لهم ترسانات تمثل جانبًا كبيراً الخطورة عالميًا، أعتقد أن النتيجة ربما تعطى إجماعًا على تأييد أعمال يشوع ـ ومثلها ـ العسكرية!!!

ثانيًا: المذابح التى أقامها الأصوليون اليهود:

أخذ اليهود منذ حصولهم على وعد بلفور عام ١٩١٧ م في النزوح إلى أرض فلسطين، ولما كان نزوحهم واستياطنهم غير شرعى لا في التشريعات السماوية ولا في القانون الدولي [١]، لم يجدوا إلا الدفاع عن وجودهم ـ غير الشرعي هذا ـ إلا بحرب العصابات، ويفخر الكيان الصهيوني الأصولي بأن دولته قامت بالدم والنار والمذابح والاعتقالات التى مارستها عصاباته في ظل الانتداب البريطاني.

وقد بدأ اليهود الأصوليون في تكوين عصاباتهم المسلحة، واستهلوا نشاطهم الإجرامي في عام ١٩٣٧ حيث قامت العصابة الصهيونية (أرجون) بقتل ١٢ عربيًا في أيلول، وفي تشرين الثاني قتلت عشرة شبان فلسطين في سلسة اعتداءات، وفي سنة ١٩٣٨ م زرعت أرجون عبوة ناسفة في السوق العربية في حيفا أدت إلى قتل ٢١ عربيًا، وفي منتصف سنة ١٩٣٩ م قام ثلاثة من اليهود بإطلاق النار على مجموعة من عرب حيفا، ودخلت مجموعة يهودية قرية بيار عدس العربية فقتلت أربع نساء ورجلاً، وجرحوا ثلاثة، ودبر اليهود انفجارًا بسوق البطيخ بيافا فقتل ستة وجرح ثمانية من العرب، وبدأ إلقاء القنابل وزرع المتفجرات منذ ذلك الوقت [٢].

وفي الحقيقة كانت جذور الإرهاب اليهودي قد غرست من قبل، وأسس المهاجرون الأوائل من جماعة «البيلو» منظمة «بيارجيوا» سنة ١٩٠٧ م «**وكان شعارها: بالدم والنار**

(١) انظر: المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية (ص ٨٢- ١٤٠) وهو عبارة عن مجموعة تقارير للندوة الدولية حول المستوطنات الإسرائيلية المقامة في أمريكا ٢٢/ ٢٤ أبريل (١٩٨٥). وقد طبع بتصريح من جامعة الدول العربية - بمطابع دار الآفاق الجديدة.
(٢) انظر: محمود المنجيري: أكذوبة الأصولية الإسلامية ص ١٣٢ .

سقطت يهوذا وبالدم والنار تنهض ثانية» وأسست في هذه الفترة أيضًا جمعية إرهابية أخرى هي (هاشومير) أى الحارس، وكانت مهمتها القيام بأعمال عسكرية ضد السكان العرب (١).

وفي أغسطس عام ١٩٤٧ هاجمت عصابة (الهاجاناه) مقهى غان هادي وقتلت عددًا من الفلسطينيين، وفي مارس ١٩٤٨ جرت مذبحة بيت داراسر، قتل فيها كثير من أهل تلك القرية، وفي إبريل عام ١٩٤٨ كانت مذبحة دير ياسين في الفجر على يد ثلاثمائة مقاتل من أرجون وشتيرن معًا، وتم تفجير المنازل بسكانها لإرهاب السكان ودفعهم إلى الهجرة وترك البلاد، وقد كان الإرهابي الأصولي (بيجن) على رأس فاعلي تلك المذبحة، وقد قتل فيها عدد كبير وبطريقة بشعة مُثِّل فيها بالجثث، حتى أن أحد مندوبي جمعيات الصليب الأحمر الدولي يذكر أن هؤلاء المجرمين ما سمحوا لهم بالدخول إلا بعد مواراة آثار الجريمة (٢).

وفي يوليو ١٩٤٨م كانت مذبحة (خربة اللحم) ثم مذبحة الدوايمة، وفي فيراير ١٩٥١ حدثت مذبحة طولكرم، وفي ديسمبر ١٩٥١ حدثت مذبحة شرفات، وفي بداية عام ١٩٥٢ حدثت مذبحة بيت لحم، وفي منتصف أكتوبر ١٩٥٥ نظم الأصولي الشيطاني شارون مذبحة رهيبة في قرية (قبية) وكان ابن جوريون هو الذى حدد هذه العملية كبداية للفرقة [١٠١] وقد اقتحمت الفرقة القرية بعد منتصف الليل، ونسفت ٤١ بيتًا ومدرسة، وجمعت ٤٢ رجلاً وامرأة وطفلاً وقتلتهم أمام السكان لإرهابهم، وبلغ عدد الضحايا ٦٩ قتيلاً فلسطينيًا (٣).

وفي يناير ١٩٥٦ وجه شارون قوات وحدته [١٠١] إلى داخل الأراضي السورية على ضفة بحيرة طبرية فقتلت المدنيين هناك، وفي هذا العام جرت مذبحة كفر قاسم الرهيبة، وفي العام التالي قامت هذه الفرقة الأصولية نفسها بمذبحة قرية السموع.

وفي حرب ١٩٦٧ عندما انسحب الجيش المصري من سيناء، أقام الأصوليون اليهود مذبحة رهيبة للمرضى والجرحى في مستشفى شرم الشيخ، حيث لم يكن ممكنًا

---

(١) أكذوبة الأصولية الإسلامية ص ١٣٢ .

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٣٢، اللواء: عبد المنصف محمود: اليهود والجريمة ص ٧٨ ط القاهرة ١٩٦٧م.

(٣) وجيه أبو ذكري: الإرهابيون الأوائل ص ١٩٠ .

نقل هؤلاء الجرحى عند الانسحاب، ويحكى إيلاها ليفي في «**كتابه إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة**» أن اليهود أجهزوا على الجنود الجرحى المصريين، وكان بطل هذه الوحدة هو مائيرها وتيزون الذى ألف كتابًا عن تلك المرحلة في عام ١٩٦٩م وفيه يصف مشاعر الحنين إلى الماضي حيث كان يتلذذ بقتل رجل بسكين، وهو نفسه الذى أعلن لمجلة هآرتس أنه لم يشعر بالندم، وتساءَل لماذا يجب أن أشعر بالندم؟ [(١)].

وذكرت صحيفة ها عولام الإسرائيلية في عددها ٢٤/ ٨/ ١٩٧٣ : «**أن الجيش الذي هاجم سيناء في حرب ١٩٦٧ كان تحت قيادة شارون، وهو المسئول شخصيًا عن مصرع مئات من الجنود المصريين، إذ رفض اعتبارهم أسرى حرب خلال الأيام الأخيرة من الحرب لأن تعليمات (دايان) كانت تقضي بعدم الالتجاء إلى أسر الجنود المصريين في سيناء بل تأمر بإبادتهم**» [(٢)].

وفي عام ١٩٨٢ كان شارون ـ أذله الله ـ هو بطل المذابح الرهيبة التى جرت للفلسطينيين في مخيمات صبرا وشاتيلا، والتى قتل فيها ما يزيد على خمسة آلاف امرأة وطفل وشيخ ورجل من أهل المخيمين المذكورين . . استمرت المذبحة أكثر من أربعين ساعة دون انقطاع، وخلال الساعات الأولى قتل المسلحون مئات الأشخاص . . وكانوا يطلقون النار على كل ما يتحرك في الأزقة . . وقد حطموا أبواب المنازل، وصفوا أُسرًا بأكملها كانت تتناول العشاء، وقتل بعض الأهالي في أسرتهم بلباس النوم، كما وجد في العديد من المساكن أطفال في الثالثة والرابعة من العمر كانوا أيضًا في لباس النوم تغطيهم بطانيات ملطخة بالدماء . . وفي حالات عديدة كان المعتدون يبتزون أعضاء ضحاياهم قبل القضاء عليهم، وكانوا يسحقون رؤوس الأطفال والرضع على الجدران . . ونساء وصبيان اغتصبن قبل أن يذبحن بالبلط، وأحيانًا كان الرجال يسحبون خارج البيوت ليعدموا جماعيًا بالبلطة والسكين . . وعير على أيدي نساء بُترت عند المعصم كي يمكن سرقة المجوهرات . . [(٣)].

وشهد عام ١٤٠٣ هـ اعتداء من حركة جوش إيمونيم الأصولية على جامعة الخليل

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٠ .

(٢) انظر : روجيه جارودي : ملف إسرائيل (دراسة للصهيونية السياسية) ص ١٨٧ ط دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.

(٣) وجيه أبو ذكري : الإرهابيون الأوائل ص ٢٢٤ بتصرف يسير.

الإسلامية، قام به أربعة من أفرادها فألقوا قنبلة بساحة المسجد ثم فتحوا النيران باتجاه الطلبة عشوائيًا في صلاة الظهر، ثم انطلقوا إلى ساحات الدرس ـ أيضًا ـ وفتحوا نيرانهم على المدرسين والطلاب.

وفي عام ١٩٩٠ كانت مذبحة الحرم القدسي الشريف، ثم توالت المذابح فلا يخلو يوم إلا ولهم فيه مذابح، وهذا الذي ذكرت مجرد نماذج للمذابح الجماعية المروعة.

ويتضح من خلال هذا العرض أنهم أصوليون متعصبون يقيمون المذابح باسم التوراة وعلى أساسها فهي التي تفصل لهم طريقة الحرب، فتوضح لهم أنهم إذا حاربوا أعداءهم فإن كانوا في مدن بعيدة عنهم يقتلوا منهم كل الرجال ويغنموا النساء والأطفال والبهائم، وأما إن كانت المدينة قريبة منهم فتأمرهم التوراة بألا يُقيموا فيها نسمة.

جاء في سفر التثنية:

«حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبًا فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريمًا الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمر الرب إلهك» (١).

ولا يخفى أن ما يفعلونه في المدن الفلسطينية اليوم مبنى على تلك النظرة الأصولية وهى أنهم في مدن قريبة فينبغي إبادتهم حتى لا تبقى نسمة!!

ثالثًا: أصولية الحكومة والشعب:

أردت من هذا العنوان دفع ما قد يحدث من توهم لدى البعض بأن هذا الإرهاب الذي تحدثه الأصولية اليهودية هو إرهاب الحكومة أو الجيش فقط، فإن هذا وهم، لأن الشعب الإسرائيلي بكافة فئاته وعلى اختلاف اتجاهاته يدعم تلك الحكومة الأصولية

---

(١) سفر التثنية ٢٠: ١٠- ١٨.

المتطرفة التى تتوالى في قيادته إلى العنف والتطرف.

حتى أصبح العنف هواية لدى كثير من الشباب اليهودي، فالأطفال الإسرائيليون في فلسطين يحملون السلاح للهو واللعب كما يحمل من هم في سنهم من أطفال العالم. غير اليهود. دمى الدبب والقطط.

ومن طريف ما يذكر أن هدية الأب والأم للطفل الإسرائيلي في عيد ميلاده أو ختانه غالبًا ما تكون مدفعًا رشاشًا أو بندقية آلية، ويلقنونه أن هذه البندقية لا توجه إلا نحو العرب [1].

وعلى الرغم من الاختلاف الظاهرى بين المؤسسة الحاخامية وأتباعها الأصوليين المتدينين والسلطة العلمانية ورجالها الملحدين . . إلا أنهما يتعاونان في التبرير الكتابي للجرائم المقدسة، فالصهاينة السياسيون يستندون إلى رويات توراتية لتبرير حروبهم ضد العرب، والأصوليون اليهود يرونها. أيضًا. حروبًا مقدسة، لأنها تهدف إلى إقامة مملكة الله، وتحقيق وعده لشعبه [2].

ولم يعد الناخبون اليهود يرون فارقًا بين التحالفين الصهيونيين العمل والليكود [3]، وغالبًا ما يقال هناك: إنه يوجد «ليكودان» اثنان في إسرائيل لا ليكود واحد، و «ليكودًا» و«ليكودب»، وأنه لا فارق بين شامير ورابين، فكلاهما سحق عظام الفلسطينيين، وأن الاختلاف بينهما في الدرجة لا في النوع [4].

وقصارى القول أن الحكومات اليهودية الأصولية المتطرفة ما تُشَكَّل وما يصل قادتها إلى الحكم إلا بتصويت الشعب وبعد استفتائه، وهذا يعنى أنه إذا كان حكامهم أصوليين

---

(١) انظر: محمود النيجري: أكذوبة الأصولية الإسلامية ص ١٤٦ .
(٢) المرجع السابق ص ١٤١ .
(٣) حزب العمل الاشتراكي في إسرائيل يمثل الاتجاه العلماني، وأما الليكود فهو يمثل الاتجاه الديني الأصولي، وقد تغلب الأخير فيما بعد حرب ١٩٦٧، حيث بدأت الأصولية اليهودية منذ ذلك الحين تدخل طوراً جديداً من النمو وهو طور اتسم بمزيد من العنف، انظر: أحمد إبراهيم محمود: التطرف الديني واحتمالات الحرب الأهلية في إسرائيل (مقال بجريدة الأهرام المصرية) ص ٤ بتاريخ ١/ ١٢/ ١٩٩٥ .
(٤) أكذوبة الأصولية الإسلامية ص ١٤٠ بتصرف.

متطرفين فهم على دينهم، فالناس على دين ملوكهم، والعصا من العصية ولا تلد الحية إلا حية.

وللأصولية اليهودية أختُ رضاع، إنها الأصولية النصرانية، نعم. لأنهما رضعتا من ثدي واحد وهو التوراة، وبينهما تشابك في العقائد والمصالح والأهداف.

فإلى الحديث عن الأصولية النصرانية في المبحث القادم. بمشية الله تعالى.

* * *

المبحث السابع

الأصولية النصرانية

ويشتمل على:

أولاً: التسلسل التاريخي لظهور الأصولية النصرانية.

ثانيًا: حكومات نصرانية تدعم الأصولية النصرانية.

ثالثًا: إحصائيات عن الأصولية النصرانية في أمريكا.

رابعًا: حول منهج الأصولية النصرانية.

خامسًا: تعقيب على المقارنة بين الأصوليات الثلاث.

المبحث السابع

الأصولية النصرانية

أولًا: التسلسل التاريخي لظهور الأصولية النصرانية:

ظهرت الأصولية النصرانية كمصطلح بهذا اللفظ في نحو عام ١٧٣٩ ميلادية، وهى عبارة عن حركة بروتستانتية نشأت في اكسفورد بريطانيا تحت اسم النادي المقدس للدعوة إلى التمسك الحرفي بالتعليمات المسيحية، وتوالى بعد ذلك ظهور الحركات الأصولية النصرانية خصوصًا بعد مؤتمر عام ١٨٩٥ م تنادي بالعودة إلى الأصول، وظهرت لهم كتيبات بعنوان: «**الأصوليات**» دعوا فيها إلى التمسك بالتعاليم الدينية القديمة، والقول بألوهية المسيح، وعصمة الكتاب المقدس عن الخطأ، ووجوب الأخذ به حرفيًا، كما دعوا إلى الفدية عن الأعمال المنكرة، وإلى الإيمان بقيامة المسيح من بين الأموات بجسمه، وعودة تجسده ثانيًا، بالإضافة إلى رفض كل النظريات العلمية الحديثة في علم اللاهوت. وكذا الدراسات التى تنتقده أو تناقض ما فيه، ولذلك عرفت تلك الحركات باسم «**مذهب العصمة الحرفية**» كما ترفض الفصل بين الدين والدولة مما أدى إلى زيادة اهتمامها بالجانب السياسي، والسعي إلى تكوين الأحزاب السياسة للوصول إلى السلطة بغية سن القوانين والشرائع المؤيدة لمذهبهم، ويمكن أيضًا إضافة اعتقادهم بالنبؤات الإنجيلية التي تعود إلى اعتقادهم إلى استيلاء اليهود على فلسطين والقدس شرطًا للعودة الثانية للمسيح [(١)].

وقد تزايد عدد الأصوليين النصاري المنتسبين إلى تلك الحركات حتى بلغوا في بريطانيا وحدها عام ١٩٥٧ (١,٢٠٠,٠٠٠) عضوًا، وأصبح لها رئيس ينتخب سنويًا، كما أصبح لها عدة تنظيمات إدارية، ومن ثم انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأصبح لها فيها شأن كبير [(٢)].

---

(١) د/ مانع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢/ ٩٧٤ .
(٢) المرجع السابق ٢/ ٩٧٥ بتصرف يسير.

ويرى بعض الباحثين أن مصطلح الأصولية النصرانية جاء من سلسلة نشرات أو كتيبات سميت الأصول، أو الأساسيات FUNDAMENTALS وظهرت هذه السلسلة في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة الممتدة من عام ١٩١٠ حتى عام ١٩١٥، وكانت ترسل مجانًا إلى القساوسة والمبشرين واللاهوتيين، ومدارس الأحد، وسكرتيرى جمعيات الشبان والشابات المسيحية، وقد استخدمت هذه السلسلة للإشارة إلى عناصر العقيدة وألوهية المسيح . . وغيرها من الثوابت التى يراها الأصوليون في المسيحية حتى اليوم [١].

ويرى البعض أن مصطلح الأصولية النصرانية لم يدرج حتى سنة ١٩٦٦ في المعاجم والقواميس الشهيرة كمعجم روبير الكبير، والموسوعة العالمية الفرنسية، غير أن قاموس لاروس الصغير يعرفها بأنها: «**موقف أولئك الذين يرفضون تكيف أي عقيدة مع الظروف الجديدة**» وقد طبق قاموس لاروس هذا التعريف على الكاثوليكية [٢]، وتابع الصراع بينها وبين الحداثة منذ عهد بيوس العاشر وحتى مؤتمر الفاتيكان الثاني الذي عقد عام ١٩٦٦، كما يعرف قاموس اكسفورد للغة الإنجليزية كلمة: FUNDAMENLALISM على النحو التالي:

«**التمسك الصارم بالمضامين الأرثوذكسية** [٣] التقليدية، وبحرفية النصوص المقدسة، ومعاداة الليبرالية والحداثة» [٤].

وأيًّا كان الوقت الذي ظهر فيه مصطلح الأصولية النصرانية فإن المهم هو أنها سرت سريان النار في الهشيم، حتى لم تترك طائفة من الطوائف النصرانية إلا وأصبح منها أصوليون.

وإن كنا من خلال ما سبق نرى أن مفهوم الأصولية النصرانية قد يختلف تحديده من طائفة إلى أخرى. بمعنى أن البروتستانت يقولون عن حركتهم الأصولية إنها الالتزام بالتعاليم البروتستانتية، وكذلك يقول الأرثوذكس والكاثوليك. إلا أن الجميع ينادى

(١) د/ جمال أحمد الرفاعي: من مقدمته لكتاب الأصولية اليهودية لإيمانويل ص ٨ وقد سبقت الإشارة إلى طبعته.
(٢) الكاثوليكية هي: تعني الجامعة وهي مذهب من مذاهب المسيحية الحديثة انظر: المنجد ٢/ ٥٧٨ .
(٣) الأرثوذكسية هي: مذهب من مذاهب المسيحية الحديثة - أيضاً.
(٤) انظر: د/ جمال أحمد الرفاعي: من مقدمته لكتاب الأصولية اليهودية ص ٩ .

بالعودة إلى الأصول النصرانية .

وإذا كان من أهم مبادئ الأصولية النصرانية هو التمسك بتعاليم الإنجيل حرفيًا فإن من أهم ما تمسكوا به هو : الدعوة لتنصير العالم ، معتمدين في ذلك على نص في الإنجيل يقول : «**اذهبوا إلى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها**» (١) .

وبهذا المبدأ الأصولي النصراني قد أخذ كثيرون قبل ظهور هذا المصطلح ، بل ربما وجد من الحكومات ما يمكن أن يطلق عليها حكومات أصولية نصرانية .

ثانيًا: حكومات نصرانية تدعم الأصولية النصرانية:

لقد استخدمت هذه الحكومات النصرانية في دعمها للأصولية النصرانية أبشع الوسائل القمعية في التكريز بالإنجيل .

ففي روسيا مثلاً . وفي عام ٩٨٨م حين تحول فلادمير الروسي عن الوثنية بفضل مساعي الأصوليين من رجال الكنيسة الإغريقية ، أصدر مرسومًا في اليوم التالي لتعميده . يقضي بأن يذعن الروس كافة سادة وعبيدًا أغنياء وفقراء للتعميد وفق طقوس الديانة المسيحية (٢) .

وفي مستهل القرن السادس عشر نشط رجال الشرطة الروسية ورجال السلطات المدنية فيها في تأييد أعمال رجال الكنيسة لتنصير القرغيز (جماعات تتارية تسكن في روسيا) ، ولما لم يكن القساوسة الروسيون يفهمون لغة القرغيز لم يلبثوا أن أهملوا شؤنهم ، ولم يكن هناك بد من الاعتراف بأن هؤلاء الذين تحولوا حديثًا لم يكونوا يتمسكون بالعقيدة المسيحية أو يعرفونها ، ولما أخفقت العطاءات الروحية أمرت الحكومة موظفيها بأن يلطفوا من هذه الحالة ، ويحبسوا الناس ، ويكبلوهم بالحديد ، ويحولوا بذلك دون تعليم هؤلاء الذين لا يطيعون أوامر المطران برغم تعميدهم (٣) .

وفي القرن الثامن عشر نحو عام ١٧٧٨ م جاءت حكومة الإمبراطورة كاترين الثانية

---

(١) العهد الجديد (مرقس ١٦ : ١٥ ، متى ٢٨ : ١٩ ، لوقا ٢٤ : ٤٧) ط دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٩٣ ، ومعه العهد القديم .

(٢) انظر : توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٢٧٤- ٢٧٥ ترجمة د/ حسن إبراهيم وآخرين - ط مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٧٠ .

(٣) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ٢٧٨ بتصرف يسير .

في روسيا. وبذلت جهودًا جبارة في دعم الأصولية الأرثوذكسية في جهودها التنصيرية، حتى أنها أصدرت مرسومًا بأن يوقع كل من هؤلاء الحديثي العهد بالمسيحية على إقرار كتابي يتعهدون فيه بترك خطاياهم الوثنية، وتجنب كل اتصال بالكفار، وعلى الرغم من هذا كله لم يكن هؤلاء الذين أطلق عليهم (التتار) المعمدون إلا مسيحيين اسمًا فقط، بل لا يبعد أن تكون أسماؤهم قد دونت في السجلات الرسمية باعتبارهم مسيحيين، ولكنهم وقفوا في ثبات وقوة في وجه أية محاولة لتنصيرهم (١).

وفي أوروبا كانت أبرز الحكومات التى دعمت الأصولية بشدة هي حكومة شارلمان، فمنذ عام ٧٧٢م وحتى عام ٧٩٨م ونحن نقرأ عن استمرار الغزوات المتعاقبة وتحوّل إلى المسيحية ومؤامرات وأعمال قمع، وبمجرد إخضاع إحدى القبائل الألمانية فإن تحولها إلى المسيحية كان يدرج في بنود السلام كثمن يمنح لها نظير تمتعها بحماية الإمبراطور وحكومته.. ولقد سجل التاريخ أن شارلمان قتل في يوم واحد ٤٥٠٠ سكسوني.. وتفرض حكومته عقوبات وحشية ضد أي خرق لمجموعة القواعد المسيحية ومنها: أن أي سكسوني غير معمد يحاول أن يختبئ بين شعبه ويرفض التعميد مسيحيًا سوف يقتل، وأن أي شخص من الوثنيين يتآمر ضد المسيحيين سوف يقتل (٢).

ولهذا يقول الأصوليون النصارى: «**إن شارلمان يعتبر بلا جدال واحدًا من أعظم الشخصيات في تاريخ كل من الكنيسة والعالم**» (٣).

وقد وُجِدت في أوروبا صور عديدة من شارلمان. هذا. عاثت في الأرض فسادًا. سفكت الدماء، وانتهكت الأعراض، وأكرهت الناس على موافقتهم في النحلة، وكل هذا باسم المسيح وتعاليمه التى أغراهم بها جماعة من الرهبان المتعصبين!!

أما في الحروب الصليبية فإن الباباوات استطاعوا بخبثهم ودهائهم أن يجعلوا من الحكماء والشعوب الأوروبية أصوليين يتحدثون جميعًا باسم الإنجيل وتعاليمه.

وقد بدأت هذه الدعوة الأصولية بنداء أطلقه البابا أوربان الثاني بتحريض من بطرس

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٨- ٢٧٩ بتصرف.

(٢) اللواء: أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ٩٢- ٩٣ ط دار غريب للطباعة - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨١ .

(٣) المرجع السابق ص ٩٢ .

الناسك [١] عام ٩٩٥ إلى حكام أوروبا وشعوبها بالكف عن الحروب المحلية والخروج بدلاً من ذلك لمحاربة العالم الإسلامي والاستيلاء على خيراته، وأعلن أن المسلمين كفرة تستباح دماؤهم، ودعا إلى تخليص القبر المقدس من أيديهم، ووعد بغفران الخطايا لقتلى تلك المعارك بمقتضى التفويض الرباني الممنوح له [٢].

وتحكى المصادر التاريخية - الإسلامية وغير الإسلامية - بشاعة وهول تلك الحملات الصليبية التى كان رجالها يصيحون بأنهم رسل المسيح وجنوده، فتذكر أن الصليبيين قتلوا نحو سبعين ألفًا من سكان بيت المقدس المسلمين ومعظمهم من النساء والأطفال والعجزة والعزل من السلاح [٣]. بل وكان من أحب ضروب اللهو إليهم قتل من يلاقون من الأطفال وتقطيعهم إربًا إربًا وشيهم كما روت آن كومنين بنت قيصر الروم [٤].

يقول غوستاف لوبون:

«ونرى في كل صفحة من الكتب التى ألفها مؤرخو النصارى في ذلك الزمن براهين على توحش الصليبيين، ويكفي لبيان ذلك أن ننقل الخبر الآتي الذي رواه الشاهد المؤرخ الراهب التقي روبرت قال: وكان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبؤات التى خطفت صغارها، وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ويقطعونهم إربًا إربًا.. وكانوا يشنقون أناسًا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة، فيا للعجب ويا للغرابة.. وكانت الدماء تسيل كالأنهار في المدينة المغطاة بالجثث..» [٥].

---

(١) يقول عنه غوستاف لوبون: ((جندي قديم كان قد ترهب بعد أن طرأ على حياته الروحية ما كدر صفوه وكان اسم هذا المتعصب النشيط بطرس فأضاف التاريخ إلى اسمه لقب الناسك، وكان قد جاء إلى زيارة بيت المقدس مع وفود الحجيج النصرانية التي كانت تحدث ضجيجاً ولا تحترم حق المرور من وسط البلاد الإسلامية، فحدث أن أجبرهم العرب على الدخول في مع دفع الفدى، فاشتاط بطرس الناسك من هذا وغاص في بحر من الأحلام أنه مرسل لدعوة أوربا إلى إنجاد الأرض المقدسة: وملكت هذه الأوهام مشاعره فتوجه إلى رومة ليستعين بالبابا أوربان الثاني في دعوة النصارى إلى إنقاذ الأماكن المقدسة فصار يجوب أوروبا يلهب حماسها نحو هذا الأمر، حضارة العرب ص ٣٢١، ٣٢٢ بتصرف ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - مهرجان الأسرة ٢٠٠٠.

(٢) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ١٠٣، ١٠٤.

(٣) انظر: إبراهيم سليمان الجبهان: معادل العدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ص ١٠٣، ١٠٤ ط عالم الكتب - الرياض - الطبعة الرابعة ١٩٨١م.

(٤) غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٣٢٤.

(٥) المرجع السابق ص ٣٢٥.

ويقول في موضع آخر:

«واغتاظ مؤرخو النصارى أنفسهم من سلوك حماة النصرانية مع اتصاف هؤلاء المؤرخين بروح الإغضاء والتساهل، فنعتهم برنارد الخازن بالمجانين، وشبههم بودان الذى كان رئيس أساقفة دول بالفروس التى تتمرغ في الأقذار. ولم يكن غليون الصورى أقل صراحة من ذلك فقد قال بعد أن وصم أبناء الصليبيين بأنهم من السفهاء والملاحدة الفاسقين: «تلك هى رذائلهم الوحشية التي لو أراد كاتب أن يصفها لخرج من طور المؤرخ ليدخل في طور القادح الهاجي» (١).

فإذا طويت هذه الصفحة من دعم الحكومات الأصولية النصرانية وقفت على صفحة أشد سوادًا.

إنها صفحة الملكين الإسبانيين الكاثوليكيين فرناند وإيسابيلا الذين ارتكبا أبشع أعمال العنف والقمع لإجبار المسلمين على النصرانية.

وقد ذكر الأستاذ: محمد عبد الله عنان، تواطؤ هذين الملكين مع رجال الكنيسة الكاثوليكية في إقامة محاكم التحقيق. أو التفتيش. لتصفية الوجود الإسلامي هناك، واستصدرا بهذا الشأن مرسومًا بابويًا في عام ١٤٧٨م (٢).

ولعل ذكر إجراء التحقيق الذي كانت تجريه تلك المحاكم الأصولية، يمكن أن يفصح عن مدى تطرف الأصولية النصرانية في إكراه الناس على عقائد لا يرغبون فيها.

وقد نقل الأستاذ/ محمد عبد الله عنان عن مؤرخ إسباني يدعى الدكتور: لي نص إجراء التحقيق في تلك المحاكم نلخصه فيما يلي:

«تبدأ قضايا الديوان أو محاكماته بالبلاغات التي يتلقاها القسيس عن حالات الاشتباه في العقائد، أو أي مخالفة للدين الكاثوليكي، ثم يعرض الأمر على الأحبار المقررين ليقرروا ما إذا كانت الوقائع المنسوبة إلى المبلغ ضده تجعله مرتكبًا لجريمة الكفر أولا، وكان قلما يصدر الحكم بالبراءة أو الإقالة، إذ أن أقل شك في براءة المتهم كان يوجب اعتباره مذنبًا من النوع

(١) المرجع السابق ص ٣٢٧، ٣٢٨.

(٢) أ/ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ٧/ ٣٣١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – مهرجان الأسرة ٢٠٠١م.

الخفيف DE Levi وعندئذ تصدر عليه عقوبات تتناسب مع ذنبه، أما في حالة الحكم بالإدانة فكان يؤخذ المتهم من السجن دون أن يدري إلى أين مصيره، ثم يجرى عليه مجموعة من الطقوس، ثم يقتاد إلى ساحات المدن الكبيرة، وفي احتفال رسمي يشهده الأحبار والكبراء بأثوابهم الرسمية وقد يشهده الملك، وكان يقع جملة على الأغلب، فينفذ الحكم في عدد من المحكوم عليهم حرقًا بالنار، وينتظم المحكوم عليهم في مواكب شهيرة برغم منظرها الرهيب كانت تعتبر من الحفلات العامة التى تهرع لشهودها جموع الشعب، ومما يذكر أن فرناند الكاثوليكي كان من عشاق هذه المواكب الرهيبة، وكان يسهر أن يشهد حفلات الإحراق، وكان يمتدح الأحبار المحققين كلما نظمت حفلة منها» [١].

ولم يكتف فرناند هذا الزعيم الأصولي بما فعله في حياته من أعمال العنف بل إنه ترك عند موته في يناير سنة ١٥١٦ م لحفيده شارل الخامس وصية يحثه فيها على حماية الكثلكة والكنيسة، واختيار المحققين ذوي الضمائر [٢] الذين يخشون الله، لكى يعملوا في عدل وحزم لخدمة الله وتوطيد الدين الكاثوليكي، كما أوصاه بأن يضطرموا حماسة لسحق طائفة محمد [٣].

فإذا قفزنا بخطى سريعة إلى العصر الحديث لوجدنا أن العالم النصراني يدعم الأصولية النصرانية دعمًا لا نظير له، ولعل هذا الدعم يتبين بصورة واضحة عند ذكر تطبيقات الأصولية النصرانية، ولكن هنا أكتفى بنماذج لرجال السياسة من النصارى الذين آمنوا بالأصولية النصرانية ونبؤاتها.

ولعل أصدق مثال لذلك هو رؤساء أمريكا على التوالي.

فولسون الذى كان يحب أن يلقب بابن راعي الكنيسة وهو أصولي متعصب جدًا، ونيكسون. أيضًا. كان أكثر رؤساء أمريكا فكرًا وتنظيرًا يقول في كتابه (١٩٩٩ نصر بلا حرب): **«إن صراع العرب ضد اليهود يتطور إلى نزاع بين الأصوليين الإسلاميين من جانب وإسرائيل والدول العربية المعتدلة له من جانب آخر»** ويختم كتابه بعبارات لا يتفوه بها إلا أعتى الأصوليين الإنجيليين فيقول: **«عندما كانت أمريكا ضعيفة وفقيرة منذ مائتي سنة**

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس ٧/ ٣٣٣- ٣٣٨ بإيجاز.
(٢) أي ضمائر هذه؟ إلا أن تكون ضمائر أصولية نصرانية!!
(٣) دولة الإسلام في الأندلس ٧/ ٢٣٩ .

مضت كانت عقيدتنا هي المبقية علينا، وعلينا ونحن ندخل قرننا الثالث ونستقبل الألف سنة المقبلة يجب أن نعيد اكتشاف عقيدتنا ونبث فيها الحيوية». وقد نشرت له مجلة الشؤون الخارجية تعليقًا على اللقاء الأول بين ريجان وجوربا تشوف قال فيه: «**يجب على روسيا وأمريكا أن تعقدا تعاونًا حاسمًا لضرب الأصولية الإسلامية**» (١).

ومن الأدلة التي يستدل بها الباحثون على تدين أمريكا وعودتها إلى المحافظة أنها اختارت آخر رئيسين قبل بوش من المتدينين الأصوليين وهما كارتر وريجان، فكارتر كان ملتزمًا التزامًا صارمًا بالكنيسة الإنجيلية، ولا يزال كارتر إلى هذا اليوم مبشرًا وينتقل من أفغانستان إلى الحبشة والسودان وغير تلك البلدان مدافعًا عن التنصير ومبشرًا بالنصرانية، وهذا معروف عند كل من تتبع أخباره فهو رجل منصر وقسيس (٢).

وقد كان ريجان الذي جاء بعده أيضًا أصوليًا متعصبًا، يقول عنه مايك إيفانز. أحد زعماء الأصولية الإنجيلية.: «**في يناير ١٩٨٥ دعا الرئيس ريجان جيمي بيكر وجيمي سواغارت وجيرى فولويل. وكلهم من زعماء الأصولية. ودعاني مع مجموعة صغيرة أخرى للقائهم بصورة شخصية، لن أنسى ما قاله لنا: أعرب الرئيس. أى ريجان. عن إيمانه بأن أمريكا على عتبة يقظة روحية، قال إننى مؤمن بذلك من كل قلبي، إن الله يرعى أناسًا مثلي ومثلكم في صلاة وحب ابتهالا لإعداد العالم لصورة ملك الملوك وسيد الأسياد**» (٣).

وكان لبوش (الأب) علاقة صديقة حميمة مع زعماء الأصوليين الإنجيلين وخاصة جيرى فولويل الذى يقول عنه بوش: «**أعتقد بكل أمانة أننا برجال من أمثال جيرى فولويل فإن شيئًا فظيعًا كالإبادة الجماعية لليهود لن يحدث ثانية**» (٤). ولذلك فإن فولويل. هذا. أقام حفل غداء على شرف بوش في ٢٥/ ١/ ١٩٨٦ وقال في الحفل: «**بوش سيكون أفضل رئيس في عام ١٩٨٨**» (٥).

وأما بوش (الأب) يصف نفسه في كتابه التطلع إلى الأمام بأنه متدين وأن جده كان

---

(١) د/ سفر بن عبد الرحمن الحوالي: المقدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ص ٤٠ ط مكتبة السنة للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
(٢) المرجع السابق ص ٤٩- ٥٠.
(٣) المرجع السابق ص ٣٨.
(٤) د/ يوسف الحسن: البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ٧٦.
(٥) جريس هالسل: النبوءة والسياسة ص ٣٢ ط.

قسيسًا، وأنه هو وأسرته يقرءون الكتاب المقدس كل يوم (١).

وأما بوش (الابن) الرئيس الأمريكي الحالي فلا يستطيع أحد أن ينكر أنه متعصب، بالرغم من أسلوبه الذى يحاول فيه إخفاء هويته الأصولية، من نحو التظاهر بعدم كره الأديان واحترامها جميعًا، والتلاعب بالمفاهيم لتحقيق مآربه الأصولية الإنجيلية، فهو حينما يقود أعمال العنف والقمع والإبادة التى يفعلها يسميها حربًا ضد الإرهاب، مع أنه يعلم كم سعت بلاده في صناعة الإرهاب، وبصماتهم في فيتنام وبغداد وأفغانستان لا تزال ضابعة بآثارها القذرة (٢).

ولعل ما يقوله بوش (الابن) معلنًا أن حربه في أفغانستان حرب صليبية بدون صليب، بل ربما بهلال، يدل على مدى خبث الأصولية التى انطوى عليها قلبه ويعمل من أجلها.

ولكن من شابه أباه فما ظلم، فبوش (الابن) كان واحدًا من أفراد البيت الأصولي الذي كان يقول عنه بوش الأب أن جدهم كان قسيسًا، وأنهم كانوا يقرءون الكتاب المقدس كل يوم.

ثالثًا: إحصائيات عن الأصولية النصرانية في أمريكا:

لعله لا يخفى على أحد تزعّم أمريكا للأصولية النصرانية في شتى مجالاتها فهي التي تحتضن أهم قيادة دينية في العالم النصراني، ذاك هو مجلس الكنائس العالمي، مما يجعل لها قيادة روحية لا تقل قداسة عن التي لبابا الفاتيكان في روما.

ولعل ذكر بعض الإحصائيات يرسم بصورة أكثر وضوحًا مدى تغلغل الأصولية النصرانية في المجتمع الأمريكي.

يذكر معهد جالوب المتخصص في الإحصاءات أن أكثر من ٩٤٪ من سكان الولايات المتحدة الأمريكية يؤمنون بالله (بالطبع على عقيدتهم) وأن ٧١٪ من سكانها يؤمنون بالبعث بعد الموت على العقيدة الإنجيلية، وتقول أيضًا بعض الإحصاءات أن عدد أعضاء الجسم الكنسي في الولايات المتحدة سنة ١٩٧٠ كان ١٣١ مليونًا من

(١) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ص ٣٩ بتصرف.
(٢) للاستزادة يراجع كتاب ((مذكرات بيتر أرنبت أشهر مراسل عسكري من فيتنام إلى بغداد». ترجمة أحمد هريدي. ط مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٩٦ .

الأمريكان، وجميعهم ينتمون إلى الكنائس وارتفع عام ١٩٨٠ إلى حوالي ١٣٥ مليونًا، ولكنه قفز خلال السنتين التاليتين إلى ١٣٩ مليونا وستمائة ألف[١] فكم يبلغ سنة ٢٠٠١ أي بعد تسعة عشر عامًا من تلك الإحصائية ؟!.

ودليل آخر على تغلغل الأصولية النصرانية في أمريكا هو: أن إحصاءات صناعة الكتب الأمريكية سجلت أكبر ظاهرة في شراء الكتب الدينية ففي عام ١٩٨٤ كان بيع أكثر من ثلث السوق كتبًا دينية وتقدر أثمان هذه الكتب بحوالي مليار دولار. دفع ثمنها حوالي ٣٧ مليون مشتر[٢].

وإحصائية أخرى تقول: إن للأصولية النصرانية في أمريكا أكثر من ٢٠ ألف مدرسة ومعهد وكلية والملايين من الطلاب والدارسين للتوراة والإنجيل.

وثمة إحصائيات أخرى عن الإعلام الديني الأصولي النصراني تذكر أن محطات الإذاعة والتلفاز مشغولة بالحديث عن التوراة والإنجيل.. وأن صور نجوم البرامج الدينية المسموعة والمرئية من أمثال جيرى غراهام وجيرى نولويل احتلت صفحات أبرز المجلات الأسبوعية، وأصبحت تسيطر على عقول الأمريكان، حتى إن هؤلاء النجوم الأصوليين. ومنهم سويجارت صاحب برنامج الحملة الصليبية - أصبحوا ينافسون نجوم السينما والفن والرياضة في اجتذاب الجماهير وتتبع أخبارهم وأحاديثهم باستمرار، وقدرت بعض الإحصاءات نسبة الأمريكيين المستمعين والمتابعين لبرامج الأصولية الدينية في عام ١٩٨٠ بحوالي ٤٧٪ من السكان، وهناك رابطة مشهورة على مستوى أمريكا اسمها «**الرابطة الوطنية للمذيعين الدينيين**» أي المذيعين العاملين في الإذاعات الدينية في جميع أنحاء أمريكا، وقد أنشئت هذه الرابطة عام ١٩٤٤ يوم كان عدد المحطات الإذاعية ٤٩ محطة، أما في عام ١٩٨٠ فقد أصبحت ٨٠٠ محطة، وارتفعت عام ١٩٨٢ لتبلغ ١٠٠٠ محطة تنتج وتدير برامج دينية[٣].

حتى في الإعلام السينمائي تغلغلت الأصولية النصرانية، حتى أنه جاء في دراسة استطلاعية أعدتها منظمة إذاعات الدول الإسلامية بجدة أنه تم تخصيص ما يزيد على

---

(١) انظر: د/ يوسف الحسن: البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ٩٥.
(٢) المرجع السابق ص ٩٦ بتصرف.
(٣) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ٩٦.

١٠٠ مليون دولار لإنتاج سينمائي تعده في هوليود - ولاية أمريكية- مؤسسة إنتاجية اختارت له اسم GENESIS و يشمل إنتاج ١٥ فيلمًا أعدت مادتها في سفر التكوين و١٨ فيلمًا من إنجيل لوقا(١) .

وأما عن التبرعات التي يجود بها الأمريكان لدعم الأصولية النصرانية تقول الإحصائيات إنه في عام ١٩٨٢ بلغ إجمالي التبرعات نحو ٦٠ ألف مليون دولار . وقد نشرت المجلة الدولية لأبحاث التنصير سنة ١٩٨٩ أن مجموع التبرعات الكنسية لأغراض التنصير هو ١٥١ ألف مليون دولار، وبالنسبة للتبرعات العامة(في أمريكا وغيرها) ارتفع الرقم في عام ١٩٩٠ إلى أكثر من ١٨٠ مليار، وقد رصدوا لتنصير الصومال وحدها ١٩٦ مليارًا (٢) .

بل إن الإحصائيات تقرر أن ما يتلقاه نجمان من نجوم الأصولية في أمريكا كجيرى فولويل وبات روبيرتسون وحدهما من التبرعات أكثر مما يتلقاه الحزبان الرئيسيان في أمريكا الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري (٣) .

حتى أن روبيرتسون هذا أنشأ محطة تلفازية خاصة بجماعته التي تسمى روبيرتسون الإنجيلية ، وهى تغطى أكثر من ستين دولة أجنبية ، وتستخدم الأقمار الصناعية في البث، على مدار ٢٤ ساعة، ويؤكد روبيرتسون في برامجه على عداوته للعرب ويسميهم أعداء الله ويعتقد أنه لا مجال للعدل مع الفلسطينيين طالما أن رغبة الله هي تأسيس إسرائيل وتعيين حدودها(٤) .

وهذا غيض من فيض من الإحصائيات عن الأصولية النصرانية في أمريكا يستطيع منه القارئ أن يرى أمريكا الأصولية، وأن يكشف كذب ما تدعيه من أنها راعية السلام في الشرق الأوسط أو غيره وبينما هي لا تألو جهدًا - حكومة وشعبًا- في دعم الأصولية عندها وتوسيع نطاقها فإنها تسعى في سحق أي أصولية أخرى، لأنها تراها تشكل خطرا

(١) انظر : القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ص ٥٣ وليلاحظ القارئ الفارق بين فنانينا وفنانيهم الذين يخدمون الأصولية، فالقائمون على صناعة السينما عندنا لا يجدون بابًا للضحك أوسع من باب السخرية بالالتزام الدينى وتشويه صورة العالم المسلم وإبرازه في صورة مهلهلة لا تغرى باتباعه وتوقيره واحترامه. . . . فإلى الله نشكو جهل الجاهلين!!! .

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ٩٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٩٦ .

(٤) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ص ٥٨٠ بتصرف.

على مسيرتها ، بل إن الكونجرس قد يناقش الأصولية الإسلامية في عدة جلسات ، وقد جمع الوثائق الخاصة بها الدكتور أحمد إبراهيم خضر وصاغها ونشرها في كتاب سماه «الإسلام والكونجرس»(١) .

رابعًا: حول منهج الأصولية النصرانية :

الأصولية النصرانية وإن كان منهجا يختلف من طائفة إلى أخرى في بعض النقاط إلا أن السمة الغالبة على الجميع هي الدعوة إلى المحافظة على القديم ومحاربة التحديث أو العصرنة .

وكل جيل من أجيال الأصوليين - عندهم يوصى الجيل الذي بعده بهذا الفكر ، فكانت الكنيسة ترفض كل اتجاهات الحداثة ، ولذلك رأينا في العصور الوسطى الأحكام التي كانت تصدرها الكنيسة على العلماء المجددين المخترعين أمثال جاليليو وغيره بتهمة ما يسمى الهرطقة .

ولا نذهب بعيدًا موغلين في التاريخ لنعرف منهج الأصولية النصرانية ، بل نتتبع سير البابوات من منتصف القرن التاسع عشر ، والذي كان يشغل منصب البابوية فيه «**جيسيبي سارتو**» أو البابا بيوس التاسع والذي كان برغم لينه وبشاشته ذا بأس شديد في هجومه على الليبراليين لاسيما الكاثوليك منهم الذين سماهم «**ذئاب في ثياب حملان**» ، ويذكر أنه كان للبابا بيوس وكنيسته تركيز في منهجهم الأصولي على التحذير من الانحدار الأخلاقي وتدهور العالم أجمع ، قاصدًا عالم العصر الحديث . . أو عالم ما بعد الثورة الفرنسية وشعاراتها (٢) .

وفي نحو العشرة أعوام الأخيرة من القرن التاسع عشر كان قد كثر الجدل في الكنيسة حول تفسير أجزاء من الكتاب المقدس تختص بنشأة الإنسان والأرض ، وحسمًا للجدل قررت الكنيسة عام ١٨٩٧ الانحياز لتفسير دون آخر مغلقة بذلك باب البحث الأكاديمي اللاهوتي أمام علماء الدين ، وأعلنت أن الطاعة العمياء لرأى الكنيسة هي السبيل للوصول إلى التفاسير الصحيحة(٣) .

---

(١) وقد سبقت الإشارة إلى طبعته .

(٢) انظر : القس/ دى روزا : التاريخ الأسود للكنيسة ص ١٦٧ ترجمة آسر حطيبة . ط الدار المصرية للنشر والتوزيع- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٤ .

(٣) انظر : التاريخ الأسود للكنيسة ص١٦٨ .

وعندما تولى بيوس العاشر منصب البابا وية شن هجومًا ضاريًا على ما أسماه التحديث، في كتابه الصادر في عام ١٩٠٧، خاصة على التفسيرات الحديثة للسلطة والإنجيل، وأصدر بدوره قائمة بالأفكار المرفوضة من جانبه منها:

١ - لا يمكن تحت أي ظرف رفض تفسير الكنيسة للإنجيل، ورغم ذلك فمن حق رجال الدين وعلمائه تقييم تلك التفاسير.

٢ - إذا أراد عالم الدين أن يدرس علوم الإنجيل بطريقة علمية فعليه أن يطرح وراء ظهره كل الآراء المسبقة التي فرضتها الكنيسة وأن يتعامل مع الموضوعات الدينية كأي موضوعات علمية أخرى.

٣ - إن أحاديث يوحنا المتضمنة في الإنجيل هي بمثابة أفكار صوفية تنقص الحقائق التاريخية المعضدة لها.

٤ - إن علماء الدين غير الكاثوليك قد توصلوا للفهم الصحيح للكتاب المقدس أفضل من زملائهم الكاثوليك.

٥ - المسلَّمات التي تعتنقها الكنيسة ليست حقائق واردة من السماء وإنما هي تفاسير وقائع دينية توصل إليها الذهن الإنساني بعد بحث وعناء.

٦ - إن التكوين العضوي للكنيسة قابل للتغيير، والمجتمع المسيحي كالمجتمع الإنساني قابل للتطور باستمرار[١].

ومن هنا نعرف أن هدف الأصولية النصرانية من معارضة التحديث هو إغلاق الفكر عن العمل، وإضفاء هالة من القداسة والاحترام على الأصوليين الداعين إلى التمسك والمحافظة على القديم، ومحاولة احتكار تفسير الكتب المقدسة.

ولذلك يعلق القس الألماني/ دي روزا صاحب هذا التاريخ الذي ننقل منه على هذا المنهج الأصولي الذي سلكه البابا بيوس العاشر فيقول:

«وتدلنا هذه القائمة على أن البابا بيوس العاشر فضل دفن رأسه في الرمال، وتجاهل الإجابة عن تساؤلات المدنية الحديثة والسير في تيار التطور»[٢].

(١) المرجع السابق ص ١٦٩.
(٢) التاريخ الأسود للكنيسة ص ١٦٩.

ولكن لماذا يخاف الأصوليون النصارى من التجديد ويرفضون التفسيرات الحديثة على هذا النحو؟

والجواب هو: أن الأصول التي يدعو الأصوليون الأوساط النصرانية للتمسك بها لا تصمد أمام النقد العلمي الصحيح، فكان لا بد من البعد عن كل ما يمكن أن يعرض تلك الأصول للنقد أو القدح خوف اهتزازها في أعين المؤمنين بها !!.

ولكن يبدو أن ثمة تعديلاً في المنهج الأصولي النصراني في عهد البابا يوحنا بولس الثاني ففي المجمع الفاتيكانى الذي عقده في عام ١٩٦٥ وضع خطة ماكرة لحرب أصولية جديدة، فدعا إلى توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما، واعتبار المسيحيين شعب الله المختار بناء على العهد الجديد الذي أقامه بولس الرسول، وأن المسيح فادى العالم بأسره وليس فرديًا لأتباع المسيحية فحسب- كما كانوا يقولون من قبل - وفرض قسم محاربة الحداثة على كافة رجال الإكليروس، أي عدم السماح لهم بمساس النصوص الإنجيلية والإبقاء على كل ما تم بها من تغيير وتحريف، وتبرأة اليهود من دم المسيح[١] .. وتوصيله إلى كافة البشر والاستعانة بالمدنيين والعلمانيين في عمليات التبشير من خلال المنظمات غير الحكومية إلى جانب المنظمات التابعة للكنيسة مباشرة لتوصيل الإنجيل إلى العالم[٢] كما يلاحظ أن الفاتيكان يدعم وجود الجماعات الأصولية النصرانية فعلى سبيل المثال يوجد في أوربا جماعات ومنظمات أصولية في أوربا منها **«منظمة إيمانويل»**، **«وأسد يهوذا»**، **« والصحوة الكاريزماتية الكاثوليكية»**، **«والقربان والتحرير»**، **«والبؤرة الصغيرة»**، **«وعمل الرب»**، **«وجماعة أمبير»**، **«ومنظمة العمل الكاثوليكى»**، وكلها مسميات غامضة يتخفى وراءها آلاف العاملين وآلاف الأردية الكهنوتية[٣] .

وتعد جماعة - أو منظمة - عمل الرب من أهم التنظيمات الأصولية في أوربا وإن لم تكن حديثة التكوين فقد أنشأها الأسقف بالاجير عام ١٩٢٨ إلا أنها من المنظمات التي

(١) وهى برئة سياسية لتوحيد الجبهة ضد الإسلام. ومن يدرى لعله يأتى اليوم الذى يتهم فيه المسلمون بقتل المسيح.

(٢) انظر د/ زينب عبد العزيز: الفاتيكان والإسلام ص ١٥٧، ١٥٨ ط دار القدس للطباعة والنشر - القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٥م -١٤١٦هـ.

(٣) انظر: الفاتيكان والإسلام ص٢٩، ٣٠ .

تم إحياؤها بصورة لافتة للنظر، فقد منحها البابا يوحنا بولس الثاني ميزة فريدة عن بقية المنظمات الدينية، وهي الاستقلال التام والسيادة الذاتية المطلقة - فيما عدا سلطته المباشرة بالطبع - وتذكر الإحصائيات في عام ١٩٩٢ أنه ينتمي لهذه الجماعة أكثر من مائة ألف مجند، وتعد من أكثر الجماعات سرية وأهمية، حتى إن البعض يلقبها بالماسونية الكاثوليكية لشدة وخطورة توغلها في الشئون الدولية(١).

كما جاء في خطاب ألقاه البابا يوحنا بولس الثاني في ١٤/ ١١/ ١٩٩٤ أطلق عليه الخطاب الرسولي قال:

«من الضروري قبل كل شيء السعي لإنشاء جماعات مسيحية في كل مكان تكون بمثابة علامة الله في العالم، وتنمو حتى تصبح كنائس».

وبرغم اتساع العالم النصراني وكثرة الجماعات الأصولية فيه، والتي لا تجمعها عقيدة واحدة، إلا أن هذا الرجل الماكر يعتبر فعلاً قد حقق نجاحًا في التقريب بين أجزاء التيار الأصولي - عندهم - بل وبين الأصوليين ورجال السياسة.

وقد بدا هذا واضحًا في خطابه - سالف الذكر - حيث أكد فيه على ضرورة تضافر كافة جهود تيار التعصب في المسيحيات الحالية، الأمر الذي يفسر إلحاحه الشديد في عملية توحيد الكنائس، غير عابئ بما بينها من خلافات عقائدية مكتفيًا بالتلويح لها بشبح الإسلام والأصولية(٢).

وللأسف فإن هذا الماكر كثيرًا ما يتظاهر هو بحب السلام، ويخر ساجدًا على الأرض فور نزوله من الطائرة في كثير من جولاته داعيًا إلى المحبة.

بل ويدعو إلى صلاة جماعية مدعيًا أنها من أجل السلام العالمي، يحضرها مندوبون من كافة المذاهب المسيحية ومن كافة الديانات العالمية، كالتي أقامها في بلدة أسير بإيطاليا في ٢٧/ ١٠/ ١٩٨٦، والتي أقامها في عام ١٩٩٣ من أجل السلام في البوسنة(٣).

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠، ٣١.
(٢) انظر: الفاتيكان والإسلام ص ١٨٢.
(٣) المرجع السابق ص ١٦٤.

خامسًا: تعقيب على المقارنة بين الأصوليات الثلاث:

أظنك أيها القارئ الكريم صاحب الحس المرهف والضمير اليقظ، والروح المجردة من نوازع الهوى والتعصب بعد أن عرضت لك طرفًا من الأصوليتين اليهودية والنصرانية تستطيع أن تقرر أن ما أسموه بالأصولية الإسلامية مخالفٌ تمامًا لتلك الأصوليات التي لا أصول لها.

فلو نظرنا إلى مرجعية كل أصولية لوجدنا أن اليهودية والنصرانية تعتمدان على مرجعية مؤلفة من تقارير بشرية، بينما الأصولية الإسلامية تعتمد على مرجعية فريدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولو نظرنا إلى مدى العنف والتطرف لوجدنا أن أحداث العنف التي يحدثها بعض الإسلاميين لو قيست بنسبة مئوية قد لا تصل ١% من أحداث العنف التي تحدثها الأصوليتان اليهودية والنصرانية.

ولست وحدك أخي القارئ الذي تقرر هذا التقرير من خلال العرض السابق ومشاهدة الواقع، فهناك كثيرون من علماء الغرب قد قرروا مثل هذا التقرير.

«يقول المستشرق الروسي ميتالى نارومكسين: إن مصطلح الأصولية مصطلح أطلق في الغرب، ويقول جاك بيرك الفرنسي: إن تعبير الأصولية آت من النزاعات داخل الكنيسة، ويقول الفرنسي دومينيل شوفاليين: بعد أن أقر بأن التطرف من الحركة الأصولية في الدين النصراني «إن الحركة الأصولية الإسلامية مختلفة تمامًا ولا مجال للمقارنة بين الحركتين»(١).

* * *

(١) انظر: الموسوعة الميسرة ٢/ ٩٧٥، ٩٧٦.

المبحث الثامن

الكونجرس الأمريكي يبحث ما أسموه بالأصولية الإسلامية

ويشتمل على:

أولاً: تحديدهم لمفهوم الأصولية الإسلامية

ثانيًا: حول تحديد مبادئ الأصوليين (أو ما أسموه بالإطار الأيدلوجي)

ثالثًا: تكهنات نحو مستقبل الأصولية الإسلامية

رابعًا: ضرب الأصولية الإسلامية أم إعادة النظر في التعامل مع الأصوليين

المبحث الثامن

الكونجرس الأمريكي يبحث ما أسموه بالأصولية الإسلامية

لقد كان الكونجرس الأمريكي أكثر المجالس العالمية التي تناولت ما أسموه بالأصولية الإسلامية - أو الإسلاميين - بالتحليل والدراسة خصوصًا في الآونة الأخيرة، ففي نحو ٢٤/ ٦/ ١٩٨٥ بدأت اجتماعات اللجنة الفرعية (أوربا والشرق الأوسط) المنبثقة من لجنة الشئون الخارجية التابعة للكونجرس الأمريكي ، وأسفرت عن هذه الاجتماعات عدة تقارير بخصوص هذه المسألة نختار بعضًا منها :

أولًا: تحديدهم لمفهوم الأصولية الإسلامية:

« تشير الأصولية في معناها الواسع إلى تجديد الإسلام في كل من الحياة العامة والشخصية للمسلمين، ممثلة في زيادة ممارسة الشعائر الدينية، والإكثار من المطبوعات الدينية والبرامج الإعلامية التي تدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وتطوير التنظيمات الإسلامية وحركات النشطين »(١)

«والصحوة الإسلامية عند الغالبية العظمى من المسلمين هي: إعادة تأكيد للهوية الثقافية وممارسة الشعائر الدينية وتأكيد قيم الأسرة والأخلاق، ومن ثمّ فإن تأسيس أي مجتمع إسلامي يتطلب تحولاً اجتماعيًا وفرديًا يمثل ضرورة لوجود حكومة إسلامية»(٢) .

«وهناك تناقضات عديدة في قيم المجتمعات الإسلامية الحديثة ريفها وحضرها، هناك قطاعات ذات ثروة ونمط حياة غريبة وأخرى مدقعة الفقر والبطالة، والأعراف الاجتماعية الغربية وخاصة الجنسية منها التي تشاهد في الشوارع وفي وسائل الإعلام تتناقض بحدة مع قيم الإسلام التقليدية في مسائل المرأة والأسرة بالذات ، وصحيح أن هناك من يشدهم أسلوب الحياة الغربية، لكن الشباب الإسلامي يعيش في حالة اغتراب وتمزق بين حياته الدينية وهذا الأسلوب الغربي من الحياة، وهنا تأتى التنظيمات الإسلامية فتقدم لهذا الشباب معنى جديدًا

(١) د/ أحمد إبراهيم خضر: الإسلام والكونجرس ص ٨ .
(٢) المرجع السابق ص ١٣ .

للحياة، وهوية قائمة على أيديولوجية إسلامية تنقد المجتمع الحديث، وتعطى جدول أعمال ذا نظرة دينية عالمية لإحداث التغيير»[(١)].

ويقول عضو آخر حول مفهوم الأصولية الإسلامية: **«الأصولية الإسلامية من خلال خبراتي معها في العديد من دول الشرق الأوسط-هي: عبارة عن حركة احتجاج ضد أمر حقيقي، أو أمر يدركون أنه يسير في المجتمع على غير وجهه الصحيح، سواء أنتج هذا الأمر بفعل عامل داخلي، أو بفعل مزيج من العوامل الداخلية والخارجية، نعم إنها حركة احتجاج ضد أزمة ما، أزمة أخلاقية أو اجتماعية، أزمة هوية، أزمة تشريع، تناقضات اقتصادية، حكم فاسد، قهر.. والإسلام. وخاصة الأصولي- يسعى لتصحيح مواقف العلماء وهم القادة الدينيون في المجتمع الإسلامي، ويعتبر الأصوليون - منذ زمن بعيد - أن هؤلاء العلماء مسئولون عن إفساد المعنى الحقيقي للإسلام، لأنهم - أي العلماء- بتبعيتهم للدولة قد وظفوا الإسلام لخدمة مصالحهم الخاصة[(٢)].**

ومن خلال هذه الرؤية لأعضاء الكونجرس الأمريكي حول مفهوم الأصولية الإسلامية - على ما فيها من القصور - تتبلور حقيقة هامة وهى: أنهم يدركون أن - من يسمونهم - الأصوليين يعملون لتحقيق الذات الإسلامية والهوية ذات الطابع الإسلامي، فهل العمل لتحقيق الهوية يصبح جريمة توصف بالتطرف والعنف والإرهاب...؟

إن الذي يثير العجب في هذا هو: أنه حينما يتعلق الأمر بالهوية والذات الإسلامية يسمى أصولية وتطرفًا وعنفًا وإرهابًا؟ ولكن حينما يتعلق بالهوية اليهودية أو النصرانية يسمى تحقيق نبوءات ووعودًا إلهية؟

ثانيًا: حول تحديد مبادىء الأصوليين (أو ما أسموه الإطار الأيديولوجي):

حاول أعضاء الكونجرس حصر مجموعة المبادئ التي يعتمدها الأصوليون كأساس لفكرهم، فكانت على النحو التالي:

١ - «الإسلام طريقة حياة شاملة، ولهذا فإن الدين متكامل مع السياسة والدولة والمجتمع».

(١) الإسلام والكونجرس ص ١٣، ١٤.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠، ٢١ بتلخيص.

٢ - أن السبب في الضعف السياسي والاقتصادي والعسكري للمسلمين يعود إلى انحرافهم عن الإسلام واتباعهم الأيديولوجية والقيم العلمانية المادية الغربية، وهي أيديولوجيات فاشلة ومناقضة للإسلام.

٣ - إن الأيديولوجية الحقيقية البديلة لحياة المسلمين هو اتباع ما جاء به الوحي في القرآن واقتفاء سنة النبي محمد[(١)] ونموذجهم في ذلك هو المجتمع الإسلامي في الصدر الأول للإسلام.

٤ - إن منهج إعادة تجديد وإصلاح المجتمع المسلم هو ثورة اجتماعية وسياسية كتلك التي قام بها النبي محمد[(٢)] والتي تحقق بها نظام إسلامي على مستوى القانون والحكومة .

٥ - يجب أن يقيم المسلمون حكم الله ومملكته على الأرض بإعادة تطبيق الشريعة الإسلامية التي تكون برنامجًا للمجتمع الإسلامي .

٦ - لا يرفض النظام الإسلامي الجديد العلم والتكنولوجيا، ومع ذلك فإن التحديث يجب أن يخضع لمقاييس الإسلام حتى يحفظ المجتمع من العلمانية والاتجاه نحو الغرب.

٧ - تتطلب عملية الأسلمة - أي صبغ الأشياء بالصبغة الإسلامية - وجود تنظيمات أو مجتمعات تقوم على نواة دينامية من المؤمنين المدربين الملتزمين الذين يدعون الناس للتوبة والعودة إلى طريق الله، وهذه النواة تكون معدة عند الضرورة للحرب ضد الفساد .

٨ - إن العقلية الصليبية والطموح الاستعماري الجديد وقوة الصهيونية إنما هي نتاج تآمر مسيحي، يحرض الغرب ضد الشرق أو العالم الإسلامي .

٩ - الجهاد ضد الكفار واجب ديني .

١٠- الجهاد ضد الحكام الذين لا يطبقون الشريعة الإسلامية مشروع وتجب الإطاحة بهم، وكذلك يجب محاربة المسلمين الآخرين الذين يسيرون على نهجهم.

---

(١) صلى الله عليه وسلم .
(٢) صلى الله عليه وسلم.

١١ - اليهود والمسيحيون كفار - في الغالب- أو بالأحرى هم أهل كتاب كما هو مفهوم الإسلام التقليدي عنهم [١].

هذه أهم المبادئ التي يعتقدها ويعقدها الأصوليون كأساس لفكرهم كما صورها أعضاء الكونجرس ، ولا يخفى ما فيها من الغلو في تقرير الحقائق، ومحاولة إنكار بعضها، وعدم فهم البعض الآخر!!

ولا أدري كيف يحاولون إنكار التآمر اليهودي المسيحي الذي ينظم ويدعم القوى الاستعمارية؟

وهل إذ رأى الأصوليون تلك الحقيقة واضحة - وهي التآمر اليهودي المسيحي - والأطماع الاستعمارية من الغرب- فقرروها وحذروا منها قومهم فهل بذلك يصبحون متطرفين أو متعصبين.

ومن الحقائق التي اعتمدها الأصوليون في إطارهم الأيديولوجي ولم يفهمها أعضاء الكونجرس الفهم الكامل: هي أن النظام الإسلامي الجديد لا يرفض العلم والتكنولوجيا، ولكن مثار قلقهم: كيف يشترط الأصوليون إخضاع عمليات التحديث لمقاييس الإسلام؟

وحسبوا أن هذا الإخضاع من قبيل ما كانت تقول به الكنيسة قبل ذلك من معارضتها للعلم والتكنولوجيا تمامًا وثورتها عليهما، ولكنها في النهاية اضطرت للتراجع حتى قالت: « **دعوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله**»[٢].

ثالثًا: تكهنات نحو مستقبل الأصولية الإسلامية:

لقد طرح أعضاء الكونجرس عدة تكهنات نحو مستقبل الأصولية الإسلامية نذكر أهمها:

تكهن الأعضاء عن سرعة انتشار الإسلام، فجاء في التقرير: « **أشرتم يا سيدي -يقصد رئيس اللجنة- أن عدد المسلمين في الكرة الأرضية يبلغ حوالي البليون نسمة، هذا رقم مثير، لكن الذي يساويه في الإثارة هو أن الإسلام هو أسرع الديانات التوحيدية انتشارًا في العالم**

(١) الإسلام والكونجرس ص ١١، ١٢ .
(٢) انظر: إنجيل مرقس ١٢: ١٧ .

اليوم، وهذا شيء لا بد أن نضعه في حساباتنا ، فهناك إذن شيء حقيقي في الإسلام يجذب إليه العديد من أفضل الناس وخاصة في العالم الثالث»[١] .

وعن استمرار موجة الصحوة الإسلامية كانت هذه الكهانة : « أما عن المستقبل القريب فإن الأقلية الإسلامية المتطرفة سوف تستمر في تنظيم إرهابها، وسوف تستمر أيضًا هذه الأغلبية العريضة من النشيطين الإسلاميين في السعي نحو مستقبل إسلامي أكثر صدقًا عبر التحولات السلمية في المجتمع ، وبينما يظل هناك منهم من هو بعيد عن السياسة فإن البعض الآخر سوف يشارك في العملية السياسية تحقيقًا لذات الهدف، وإذا ما حاولت الحكومات قمع التنظيمات المتطرفة سواء من جانبها أو من جانبنا بطريق غير مباشر فإن هذا سيعمل على زيادة حدة تطرف هذه التنظيمات»[٢] .

«إن الصحوة الإسلامية أو الأصولية الإسلامية حقيقة تعيش معنا، وسوف تستمر بقوة في صياغتها لسياسة الشرق الأوسط في المستقبل القريب، وسيستمر معظم الأصوليين الإسلاميين في التأكيد القوى على ممارسة شعائرهم الإسلامية والحاجة إلى حياة أكثر إسلامية، كما ستسعى معظم التنظيمات الإسلامية إلى إحداث التغيير من أسفل مع ضرورة أن نضع في الاعتبار المخاطر الناتجة عن قمع الحكومات لهذه التنظيمات ، وبينما لا تمثل التنظيمات الإسلامية المتطرفة الغالبية السائدة في الحركة الإسلامية فإنها ستستمر في العمل ضد الغرب وحلفائه من المسلمين وستعرض مصالحنا للتهديد لكنها على أية حال لن تؤدى إلى ثورة شعبية وإنما فقط في إثارة بعض القلاقل المتمثلة في بعض حالات الاغتيال والخطف والضرب بالقنابل»[٣] .

«إن حركات البعث الإسلامي ظاهرة مستمرة تظهر وتختفي، وهى ذات طبيعة دائرية، بمعنى أنها تدور من سكون إلى حركة بفواصل زمنية. . ولا يقبل القول بأن طول فترة السكون الإسلامي إنما تعنى التوقف الفعال للإسلام كقوة دينية سياسية، وأنه أيا كانت هذه الفواصل الزمنية التي تفصل بين السكون والحركة فإن هذا البعث يعيد إظهار نفسه أشد مما كان ويهدد استقرار النظام القائم، بل ويتحدى أصدقاء هذا النظام في الخارج»[٤] .

(١) الإسلام والكونجرس ص ١٩ .
(٢) الإسلام والكونجرس ص ١٦ .
(٣) المرجع السابق ص ١٧ ، ١٨ .
(٤) الإسلام والكونجرس ص ٢٧ بتصرف يسير .

وحول ما إذا كان هناك أمل في خروج الأصوليين من الساحة، قال أحد الأعضاء: «لن تبتعد الأصولية الإسلامية- في حكمي - عن الساحة ، بل على العكس من ذلك سيبقى تشددها حيًا لفترة من الزمن ، بسبب هذه العوامل الممتزجة مع بعضها مثل التناقضات الاقتصادية والاجتماعية السائدة، فساد نظم الحكم القائمة، ركود عملية السلام، تصرفات إسرائيل، تأييد الولايات المتحدة لإسرائيل[(١)] .

وقال آخر في نفس الإطار- ولكنه خص الأصوليين في مصر: «إن الجماعات الأصولية والإخوان المسلمين ظاهرة ترجع إلى أواخر العشرينات، إنها عاشت لفترة ستين سنة ولكن هل سيظلون دائما هناك؟ نعم سيبقى الأصوليون. ولكن هل سيتمكنون من الاستيلاء على السلطة في مصر؟ أنا لا أعتقد فهناك مقولة عن مصر أعتقد أنها صحيحة نسبيًا وهى أن مصر ثقافة سياسية هيدروليكية- أي مائية- من يستطيع ضبط المياه فيها يستطيع ضبط الحياة. أيضًا إنها ثقافة سياسة حذرة جدًا، يعرف المصريون أن لديهم الملايين من المسيحيين الأقباط ومن ثم فإن اتخاذ سياسة إسلامية سيؤدى إلى عدم الرضا، ولهذا فإن في هذه الثقافة السياسة الفرعونية يحجم الرئيس عن اتخاذ قرار يؤثر على رضا المجتمع وعلى طاعته، لكن الجماعات الإسلامية ستظل هناك وستظل تقول لنا بعضًا من الأشياء، ولكننا نستطيع أن نعتبر الجماعات الإسلامية بمثابة ترمومتر تقول متى يفقد الحاكم صلته بالجماهير؟[(٢)] .

وهذه التكهنات التي تكهن بها أعضاء الكونجرس الأمريكي عن مستقبل ما أسموه بالأصولية الإسلامية شيء يسير جدًا من تكهنات خبراء الغرب السياسيين والأساتذة الجامعيين، فمنهم من ينظر إلى تيار الصحوة الإسلامية على أنه شبح مخيف، ومنهم من يراه طوفانا بشريا، . . وغير ذلك[(٣)] .

وكل هذا يدل على مقدار الهلع والتوجس الذي يسيطر على الأوساط الغربية عمومًا والأمريكية خصوصًا من حركة الصحوة الإسلامية .

(١) المرجع السابق ص ٣٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١٤١ ، ١٤٢ .
(٣) انظر بتوسع عن مخاوف الغرب مما أسموه الأصولية الإسلامية كتاب ((أكذوبة الأصولية الإسلامية)) ص ٧٧ - ٨٥ لمحمود النجيرى- ط دار البشير - القاهرة .

رابعًا: ضرب الأصولية الإسلامية، أم إعادة النظر في التعامل مع الأصوليين :

إزاء هذه التكهنات والمخاوف التي أبداها أعضاء الكونجرس، أداهم ذلك إلى طرح أكثر من خيار: هل الأفضل هو ضرب الأصولية واستخدام القوة؟ أم إعادة النظر في سياسة الولايات المتحدة مع الأصوليين أفضل؟.

فيرى البعض المسارعة لضرب الأصوليين، ولكن يفضل أن يكون بطريق غير مباشر، بحيث يتم هذا على أيدي حكوماتهم، حتى لا تظهر يد الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الضربات فإن ذلك مما يعرض مصالحها لمخاطر شديدة في البلدان الإسلامية وبخاصة التي يتمركز فيها عدد كبير من الجماعات الأصولية(١) .

ويرى البعض الآخر وجوب إعادة النظر في السياسة الأمريكية لتحسن صورتهم أمام الأصوليين الإسلاميين.

جاء في التقرير الذي قدمه د/ هيرمان اليتز- رئيس المجلس الأمريكي لدراسات المجتمع الإسلامي: «**الأصوليون دائمًا ضدنا لأننا نعتبر اليوم الممون الرئيسي للمدنية الغربية، ولم أعرف طوال حياتي في الشرق الأوسط مسلمًا لا يريد الحياة الأفضل لنفسه ولأسرته، لكن مشكلة المسلمين هي نوعية التحديث المستخدم. ونحن من منظور المسلمين أناس بلا قيم أخلاقية، حطمنا روابط الأسرة، وقللنا من أهمية الدين، ولا شك أن لمثل هذا المنظور آثارًا سلبية. . . وهناك اعتقاد سائد بين الأصوليين الإسلاميين هو أننا لسنا مهتمين حقيقة بمجتمعاتهم أو بدولهم، إننا نريد منهم ببساطة أن يقفوا إلى جانبنا من صراع القوتين العظميين، ولا نهتم بهم خارج هذه الدائرة.**

إذن: ما الذي يمكن أن نفعله؟ وأى نوع من المواقف يجب أن تتخذ، وأى نوع من التوصيات يجب أن نصيغها حتى نحسن من صورتنا أمام الأصوليين وإدراكهم لنا؟

ولقد وضعت سلسلة من التوصيات أكدت فيها على حقيقة هامة وهى أن حكومتنا والكونجرس في حاجة بطريق أو بآخر إلى فهم أفضل للإسلام، إذا فكرتم في ذلك فإني أعتقد أن السياسيين في عالم اليوم يعرفون القليل عن الإسلام كما نعرف نحن القليل،

---

(١) انظر: الإسلام والكونجرس ص ٣٩٩ - ٤٠٥ ((فصل بعنوان: مشكلة التنمية والهجوم على الإسلام)).

وأقول بصراحة مطلقة إننا نجهل الإسلام تمامًا، الإنجليز يعرفون عنه الكثير وكذلك الفرنسيون والألمان فهم احتكوا بالمسلمين لسنوات طوال. وكما يبدو فإننا بعدنا عن ذلك عن عمد(١).

ثم يواصل د/ اليتز قائلاً: «**يجب علينا- وخاصة هؤلاء الرسميين الحكوميين أن يفهموا الأصولية الإسلامية بطريقة أفضل عما هم عليه، وإني لا أجد واحدًا في البيت الأبيض يعرف حقيقة أي شيء عن هذه الأصولية، وينسحب ما أقول أيضًا- على معظم الدوائر الهامة من وزارتي الخارجية والدفاع ووكالة المخابرات الأمريكية، هناك متخصصون على درجة كبيرة من المعرفة بحركات الأصولية الإسلامية لكنهم نادرًا ما يستدعون للاستماع إليهم والأخذ بنصائحهم...**»(٢).

وشارك الدكتور/ جون سبوسيتو- أستاذ الدراسات الدينية بكلية الصليب المقدس بوورسستر- في تقديم اقتراحات بخصوص إعادة النظر في التعامل مع الإسلاميين جاءت على النحو التالي:

١ - لا بد لنا من البحث عن مداخل بديلة، وأن نعيد تقييم اتجاهاتنا الحالية التي تحصر سياستنا في الشرق الأوسط في حدود الصراع العربي الإسرائيلي.

٢ - أن نعيد دراسة مسألة تدخلاتنا السريعة في المنطقة أو حتى التدخل في النزاعات الداخلية كما حدث في لبنان.

٣ - أن نعيد دراسة اتجاهاتنا نحو خلق الانشقاق في صفوف الحركات الإسلامية، والأهم من ذلك إعادة النظر في اعتبار كل الإسلاميين إرهابيين متطرفين، فإنه في الوقت الذي ركزنا فيه على الإرهاب أهملنا أن نخصص قدرًا متساويًا لخطط وسياسات من شأنها أن تمنع الإرهاب والتطرف.

٤ - من المهم أن نعيد تصورنا إلى نظرتنا بأن الخلط بين الدين والسياسة سيؤدى حتمًا إلى حكومات استبدادية، ولا زال العديد من أعضاء حكومتنا يعتقدون ذلك.

٥ - يجب إعادة النظر في سياستنا القائمة على التحالف مع الأنظمة الموالية للغرب

---

(١) الإسلام والكونجرس ص ٢٣، ٢٤.
(٢) المرجع السابق ص ٤٢.

المعادية للشيوعية بغض النظر عن قمعية أتوقراطية هذه الاتجاهات لقد سمعنا عن انتقادات من رسميين حكوميين أمريكيين لمحاولات تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان، واعتبرنا أن ذلك أمر مهدر للحقوق الإنسانية، وكنا في نفس الوقت نؤيد النظام السوداني الأتوقراطي، وهنا أشير إلى (نميرى) بالذات، فبدا تصرفنا أمام المسلمين تصرفًا غريبًا منافقًا، ولهذا لا نعجب إذا ربط الإسلاميون بين ضرب نميرى للإخوان المسلمين في مارس ١٩٨٥ وبين زيارة بوش للخرطوم [١].

واقترح - أيضًا - لي هاميلتون (رئيس اللجنة الفرعية لشئون أوربا والشرق الأوسط) التفكير الأمريكي في النفاذ إلى الإسلاميين عبر المساعدات الاقتصادية والإسكانية مع استغلال الظروف الاجتماعية التي يعيشها الشباب المسلم، واعتراف الأمريكيين بأن هذه المساعدات تهدف إلى الحصول على عائد سياسي يتركز في تغيير اتجاهات الإسلاميين نحوهم، جاء في التقرير قول (هاميلتون):

«لقد قلت إننا يجب أن نعمل على البحث عن أرضية مشتركة مع الجماعات الأصولية ما هو هذا البرنامج الذي لديهم والذي يعتبر أرضًا مشتركة مع أمتنا وأين يمكن أن نجد برنامج عمل مشتركا معهم» [٢].

ويضيف روبين رايت (الذي كان مراسلاً للصنداي تايمز اللندنية في بيروت لمدة أربع سنوات): إن استخدام القوة سيعرض حلفاء الولايات المتحدة للخطر خاصة هؤلاء القادة المسلمين المعتدلين الذين لديهم بالفعل مشاكل مع الأصوليين بسبب ارتباطاتهم بالولايات المتحدة وعلى الرغم من أنه لا يحتمل أن يستطيع الأصوليون إسقاط حكوماتهم فإنهم بإمكانهم أن يجبروها عن طريق إرهابهم وتهديدهم المستمر للخضوع لمعتقداتهم المتطرفة . . . إن استخدام القوة سيؤدى إلى تغذية الاستياء العام ويعطي مبررات عديدة للانتقام من الولايات المتحدة كما سيؤدى إلى عداء أكثر وجو معاد للأمريكيين [٣].

---

(١) الإسلام والكونجرس ص ١٥، ١٦ .
(٢) الإسلام والكونجرس ص ٧٠ .
(٣) المرجع السابق ص ٥٠٢ (بتصرف)، وانظر في نفس المرجع بقية فصل كامل بعنوان (مخاطر اللجوء إلى استخدام القوة مع الإسلامين) ٤٩٦ - ٥٠٦ .

ولكن بعد كل هذه التقريرات الكونجرسية التي رأينا فيها التأكيد على مخاطر استخدام القوة مع الصحوة الإسلامية، ووجوب إعادة صياغة سياسة التعامل مع الإسلاميين، نجد أن الكونجرس وحكومته لم يصدق في تنفيذ تقريراته، بل جعلت الحكومة الأمريكية تتربص الدوائر بحركات الصحوة الإسلامية كلما واتتها الفرصة على يديها أو على يد غيرها- نكلت بأفرادها، وكلما أمكنها أن تسدد للإسلام- عمومًا وليس الأصوليين وحدهم كما يسمونهم - ضربات سددت وبشراسة .

ولعل ما فعلته بحركة طالبان- حيث يعتبرونها أعنف الجماعات الأصولية- غير خاف على أحد برغم تفاهة الأدلة [1] التي تذرعت بها في توجيه الضربات إليهم.

وبعد فقد اخترت موقف الكونجرس الأمريكي من الأصولية الإسلامية دون غيره لأن أمريكا تلاحق الإسلاميين في كل بلد تحت ستار «حرب الإرهاب»، على الإرهاب الذي صنعته أمريكا وسعت في إيجاد بذوره، فهي التي أخذت على عاتقها إحداث الانشقاق بين الحكومات الإسلامية وشعوبها، وبين الشعوب والشعوب، ولم تكن تضع في حسابها أن الذي ينفخ بالكير لا يسلم من الأذى مطلقا، فلا بد حتى ولو أن يثقب ثوبه!!

* * *

(١) وقد نشرت جريدة الأهرام المصرية في عددها الصادر يوم الأحد بتاريخ ٧/ ١٠/ ٢٠٠١ ملفًا كاملاً عن التحقيق في الأحداث الأخيرة في أمريكا فذكرت أن التحقيقات أثبتت أن نحوا من ٤٠٠٠ يهودي كانوا يعملون في مركز التجارة العالمي جميعًا تغيبوا في هذا اليوم فلم يحضروا، وهذا يدل على أن الموساد اليهودي هو الذي كان وراء الأحداث وليس طالبان !!

المبحث التاسع

الطريق إلى تحسين صورة الصحوة الإسلامية أو ما أسموه بالأصولية الإسلامية

ويشتمل على:

أولاً: الفقه الذكي قبل الحماس القوى .

ثانيًا: الاستفادة من تجارب الماضي .

ثالثًا: لا بد من إحداث التكامل بين فصائل عمل الصحوة الإسلامية .

رابعًا: ترك الاختلاف حول الجزئيات أو الفرعيات

خامسًا: الأناة وترك العجلة

المبحث التاسع

الطريق إلى تحسين صورة الصحوة الإسلامية أو ما أسموه الأصولية الإسلامية

بعد أن مضينا مع الأصولية نتقصى خبرها من الجذور إلى الأطراف، ونبين ما لها وما عليها، لابد من وقفة لوضع طريق لتحسين الصورة التي شوهت عمل الصحوة الإسلامية ووصمته بالعنف والتطرف والإرهاب.

ويمكن أن نضع بعض الخطوات التي يمكن أن تكون بدايات الطريق وهى:

أولًا: الفقه الذكي قبل الحماس القوى:

ومعنى هذا أن السائر في طريق الصحوة الإسلامية يلزمه فقه وفهم ومعرفة وبصيرة قبل الحماس، لأن المرء إذا انطلق في طريق يدفعه الحماس وتقود الحمية خطاه، وهو على غير بصيرة أو فهم، يوشك أن يَهلك ويُهلك كلًّ من يتبعه.

وقد كان الطابع الغالب على أكثر فصائل الصحوة الإسلامية المعاصرة، الاندفاع والحماس القوى، لذلك ربما رأينا بعض الشباب ربما يتحمس لتفجير مسألة في جموع الناس تجر عليه وعلى دعوته الإصلاحية ويلات من النفور والإعراض، وهو ودعوته في غنى عن هذا الإعراض، بل هو في أمس الحاجة إلى التلطف في لفت الأنظار إليه.

ولعل الإشارة إلى مسالة البدعة وتصدى فصائل الصحوة لها بهذا الحماس القوى الذي ينقصه الفقه الذكي أوضح الأمثلة على ما أقول.

ولذلك يقول الشيخ/ محمد الغزالي - رحمه الله- تعالى:

«. . أليس مضحكًا أن يدخل داعية المسجد، فينظر إلى المنبر ثم يقول: بدعة، لماذا؟ لأنه من سبع درجات!! ويرى أن يقف على الثالثة لا يعدوها: ثم ينظر إلى المحراب فيقول أيضًا بدعة، لماذا؟ لأنه مجوف في الجدار، ثم ينظر إلى الساعة ويقول بدعة، لأنها تدق كالجرس. . وأخيرًا ربما تكلم في موضوع لا يُعلِّم جاهلًا ولا يكيد عدوًا المهم عنده الاستمساك بالسنة»[1].

---

(١) انظر: الشيخ محمد الغزالي: لا سنة بغير فقه (مقال بمجلة الأمة) ص ١١ عدد ذو القعدة ١٤٠٢هـ.

إن سنة النبي محمد - ﷺ - علمت أجهل الجهال لبساطة الأسلوب الذي كان يُعلم به المعلم الأول صاحب السنة - ﷺ- وكادت العدا حتى كانت قلوبهم تضطرم نارًا على ما يرون من تعليم صاحب السنة لأصحابه، حتى قال بعض اليهود لسلمان الفارسي: «**لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة**»[(١)] نعم: والله إن سنة محمد - ﷺ - قد أحيت أجيالاً بدلت الأرض غير الأرض، وحطمت إمبراطوريات لها أعماق ضاربة في الطول والعرض، ولكن والله بالفقه الذكي والفهم المتأني الذي يصحبه الحماس الذي يشد العزائم .

وقد كان من أهم ما وقفت عليه أمر يثير عجبًا لا ينقضي، وهو أن أكثر شباب الصحوة الإسلامية كان يحب أن يستشهد وأن يبرر بعض أعمال الحماس التي يفعلونها بكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية أو ابن القيم أو ابن الجوزى أو العز بن عبد السلام (سلطان العلماء)، ولكنني عجبت أشد العجب حينما قرأت في بعض كتب هؤلاء العلماء، فوجدت والله الفقه الذكي، وإن كانوا أصحاب حماس وغيرة على الدين، ولكن والله عصمهم الفقه الذكي من إحداث ما يشرذم صفوف الأمة، ولذلك خرج من أيديهم وعقولهم نتاج علمي بدا فيه الحرص على وحدة صف الأمة .

اقرأ مثلاً في كتاب قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام، وهو يقول: «**إذا تفاوتت رتب الفسوق في حق الأئمة قدمنا أقلهم فسوقًا مثل إن كان فسق أحد الأئمة بقتل النفوس وفسق الآخر بانتهاك حرمة الأبضاع ، وفسق الآخر بالتضرع للأموال، قد منا المتضرع للأموال على المتضرع للدماء والأبضاع، فإن تعذر تقديمه قدمنا المتضرع للأبضاع على من يتعرض للدماء، وكذلك يترتب التقديم على الكبير من الذنوب والأكبر والأصغر منها والصغر على اختلاف رتبها، فإن قيل: أيجوز القتال مع أحدهما لإقامة ولايته وإدامة تصرفه مع إعانته على معصيته؟ قلنا: نعم دفعًا لما بين مفسدتي الفسوقين من التفاوت ودرءًا للأفسد فالأفسد، وفي هذا وقفة وإشكال من جهة أنا نعين الظالم على فساد الأموال دفعًا لمفسدة الأبضاع وهى معصية، وكذلك نعين الآخر على إفساد الأبضاع دفعًا لمفسدة الدماء وهي معصية، ولكن قد تجوز الإعانة على المعصية لا بكونها معصية بل لكونها وسيلة إلى تحصيل المصلحة الراجحة . . .**»[(٢)] .

---

(١) رواه مسلم: ك الطهارة، باب: الاستنجاء ١/ ٥٤٦ .

(٢) انظر: قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ص ٨٦ ، ٨٧ .

اقرأ لابن تيمية مثلاً - أيضًا - وهو يتكلم عن مسألة العقوبة بالهجر، فيقول: «فالهجران قد يكون مقصوده ترك سيئة البدعة التي هي ظلم وذنب وإثم وفساد، وقد يكون مقصوده فعل حسنة الجهاد والنهي عن المنكر وعقوبة الظالمين لينزجروا ويرتدعوا.. فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد، بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجرته مأمورًا بها، كما ذكره الإمام أحمد عن أهل خراسان إذ ذاك أنهم لم يكونوا يقوون بالجهمية فإذا عجزوا عن إظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة، وكانت مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف. ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوى، وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة فلو ترك رواية الحديث عنهم لا ندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم، فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيهم بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب: كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيرًا من العكس»(١).

ويقول في موضع آخر: «... وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضى هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعًا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته، لم يشرع الهجر بل يكون التأليف أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبي - ﷺ - يتألف قومًا ويهجر آخرين، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيرًا من أكثر المؤلفة قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين والمؤمنون سواهم كثير فكان في هجرهم عز الدين وتطهيرهم من ذنوبهم، وهذا كما أن المشروع في العدو القتل تارة والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح»(٢).

وبعد كل هذا الفقه الذكي، ربما يأتي من لا فقه عنده فيأخذه الحماس القوى ليقول: لماذا تقدم الذي يتضرع للأموال على الذي يتضرع للدماء والأبضاع؟ ولماذا نقدم الذي يتضرع للأبضاع على الذي يتضرع للدماء؟ لماذا نتعب أنفسنا في تقديم هذا أو ذاك؟

الحل: هو أن نطيح بالجميع.

---

(١) مجموعه الفتاوى ٢٨/ ٢١١، ٢١٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٠٦، ٢٠٧ بتصرف يسير.

وساعتها تثور الفوضى وتضطرب الصفوف !!

ويأتي آخر بحماسه ليقول: ولماذا لا نهجر الظالم أو العاصي... وما الذي يضطرنا إلى تأليفه ؟

الحل: هو أن نهجر الجميع.

وساعتها تخلو الساحة وتتسع الحلبة ليصول الظالم والعاصي ويجول ويُهجر ويُنبذ المؤمنون الملتزمون!!

ثانيًا : الاستفادة من تجارب الماضي :

الاستفادة من تجارب الماضي نهج ربّاني تربى عليه سيد الدعاة - ﷺ- وتمثل هذا المنهج في قصّ أخبار الأمم السابقة وأحوالهم مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وجاءت الآيات تبين أن هذا القصص ما كان للهو ولا للتسلية ولا للعبث ولكن لتصبير السائر على الطريق، قال تعالى : ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)، وقال أيضًا: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢). ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣). ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ (٤).

ولكن برغم وضوح هذا المنهج وجدِّيته وواقعيته ، فإن أكثر العاملين في الحقل الإسلامي قلّ منهم من يحسن الاستفادة من تجارب الماضي، فربما يكرر فعالاً وأحداثًا سبق أن قرأ أو عاصر ما كان لها من خطر على الأمة!!

فربما يزعجه ما يرى من شيوع الفساد أو الظلم أو المعصية، وهذا شيء طيب، ولكن النظر فيما مضى من تجارب يعطى ثباتًا أكثر ، ووضوحًا أظهر في كيفية مواجهة هذا الفساد!

وهذا من شأنه أن يحسن صورة العمل الإسلامي، ويزيد من إقبال الناس عليه،

---

(١) سورة هود: آية ١٢٠ .
(٢) سورة هود: آية ٤٩ .
(٣) سورة يوسف: آية ١١١ .
(٤) سورة طه: آية ٩٩ .

فيؤازرونه ويدعمونه بكل مرتخص وغال .

ثالثًا: لابد من إحداث التكامل بين فصائل الصحوة الإسلامية:

إن مما شوّه صورة الصحوة الإسلامية المعاصرة هو عدم حصول التكامل بين فصائلها ، ذاك أنّا رأينا بعض النفور بين فصائل الصحوة الإسلامية جعلها تبدو في أعين العامة وكأنها دعوات شخصية وصارت كما يقول الشيخ / تاج الدين الهلالي(١) : «**أشبه بسوبر ماركت أو دُكّان ، كل واحد يقول ما عندي أفضل مما عند الآخرين**» .

ولعل المنهج الإسلامي إذا فهمناه كما ينبغي قادر على أن يحدث هذا التكامل ، لأنه قد حوى من النصوص الشريفة قدرًا كبيرًا يحث على هذا التكامل ، فمثلاً : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (٢) و ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣) و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (٤) و«**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» (٥) .

والمسلمون اليوم يواجهون قوى عالمية متحالفة أو حتى تصطنع التحالف ، ومع ذلك فبنيانهم ليس كالبنيان المرصوص ، وجسدهم ليس كالجسد الواحد ! !

لماذا؟ لأن الأهواء قد لعبت بالرءوس ومزقت الصفوف ، حتى صفوف المتدينين ، وصار أكثرنا يفهم الدين فهمًا ناقصًا بعيدًا عن التكامل ، ويرى أن يحمل الناس جمعيًا ليؤمنوا بهذا الفهم ولو كان قاصرًا !

وواقع الأمة يشهد كيف أنه لما حدث التكامل بين أفراد المجتمع الإسلامي الأول خلّد القرآن لهم شهادة على أهمية التكامل في نجاح العمل ، قال تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ

---

(١) العلامة/ تاج الدين الهلالي هو : مفتي أستراليا حاليا وهو مصري صعيدي .

(٢) سورة الحجرات : آية ١٠ .

(٣) سورة الحشر : آية ٩ ، ١٠ .

(٤) سورة الصف : آية ٤ .

(٥) سبق تخريجه في ص ٦٩ .

وَالَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ (١) .

فحبذا لو أخذ دعاة الإسلام- والمسلمون جميعًا- هذا الكلام بعين الاعتبار ليستوي زرعنا على سوقه، وليعجب الزراع وليغيظ الكفار، وليحقق لنا وعد ربنا بالمغفرة والأجر العظيم.

رابعًا: ترك الاختلاف حول الجزئيات أو الفرعيات :

هناك أمور تحتمل الاختلاف في الاجتهاد وبيان وجهات النظر، وهذه تسمى الجزئيات أو الفرعيات، وأمور لا تحتمل الاختلاف ولا مجال فيها للاجتهاد وإبداء الرأي وهذه تسمى الكليات أو الأصول.

وللأسف قد بُليت الأمة ببعض أناس تشغلهم الجزئيات عن الكليات أو الفروع عن الأصول، فأسهروا ليلهم وأفنوا نهارهم بقتل هذه المسائل والجدال حولها، حتى لكأنها الدين كله، أو أنها من أهم مسائل الدين، مع أنها يمكن أن تكون سنة من السنن، حتى من تركها متعمدًا لم يكن عليه حرج ولا تثريب ، وإن كان الأولى بالمسلم أن يتبع رسول الله ﷺ في دقيق الأمور وجليلها.

فالصلاة - مثلاً - أصل، لكن تفاصيل سنن الصلاة وما يستحب أن يقال فيها ليس أصلاً ، بل هو من الأمور الدقيقة التي يصح أن تسمى فروعًا، فهل يا ترى من الحكمة أو الفطنة أن نثير خلافًا فيما بيننا حول بعض هذه السنن كجلسة الاستراحة أو التورك أو صفة الهوى إلى السجود هل ينزل على يديه أم على ركبتيه، وفي قبض اليدين ووضعهما على الصدر أم تحت السرة، وهل تدرك الركعة بإدراك الفاتحة أم بإدراك الركوع وهل يجوز إقامة جماعة بعد انقضاء الراتبة أم لا؟ . . . وغير ذلك من الفرعيات !!

وهل من الحكمة أن نقيم الدنيا على قدم من أجل بعض البدع التي ليس لها كبير خطر على الدين (٢)، وهل من الحكمة أن نختلف في بعض الجزئيات نحو الثوب

(١) سورة الفتح: آية ٢٩ .
(٢) لا أريد التهوين من أمر البدعة ولكن أقول: إن الاختلاف حول تغييرها ينبغي أن لا يفسد للود قضية .

واللحية . . . والقائمة طويلة لا نريد أن نكشف للمتلصصين من أعداء الإسلام أكثر من هذا .

وكان هذا الاختلاف حول مثل تلك الجزئيات قد أعطى لكثير من الناس صورة سيئة عن الملتزمين إسلاميًا في الداخل والخارج .

ومن العجيب أن اليهود والنصارى برغم ما يوجد بين طوائفهما من اختلاف ليس من الفروع فقط بل في أصول العقيدة ، ومع ذلك استطاعوا أن يغضوا الطرف عن كثير من تلك الاختلافات ليتوحد الصف وتقوى الجبهة ضد الإسلام .

وسبق أن أشرت كيف أن اليهود لم يعودوا يختلفون حول ما إذا كان المرشح علمانيًّا أو دينيًّا ما دام الجميع صاحب هدف واحد وهو سحق عظام الفلسطينيين .

أفلا يحق على المسلمين أن يتركوا اللغط الذي قد يحدث حول الجزئيات أو الفرعيات وأن يشتغلوا بالأهم حسب المصالح والحاجات لكي تتحسن الصورة القاتمة عن الصحوة الإسلامية .

خامسًا: الأناة وترك العجلة:

لقد كان من الأخطاء التي شانت صورة الصحوة الإسلامية التعجل في كثير من الأمور ، فقد كانت فصائل الصحوة متعجلة لقطف الثمار ، وربما كانت هذه طبيعة في الإنسان ، ولكن الإسلام هذبها وكبح جماحها ، فالمرء عليه أن يجتهد وليس عليه أن يدرك أو يحقق الأماني ، ولو أن شباب الصحوة الإسلامية كان مدفوعًا في تعجله لضيقهم بما يرون من شيوع الفساد والمواجهات الساخنة التي كانوا يُلاقون بها ، لكان أولى بهم أن ينظروا في حال سلف الأمة وهم في أحلك الظروف في شعب أبي طالب مُحاصرين ، فيقول بعضهم يا رسول الله : ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا تدعو الله لنا؟

فغضب النبي - ﷺ - وقال : والذي نفسي بيده ليبلغن هذا الدين المشارق والمغارب ولكنكم تستعجلون ، ثم قال لهم تفرقوا وإن الله - عز وجل - سيجمعكم[(١)] .

نعم العجلة طبع بشرى ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ ولكن الإسلام هذب هذه الطبيعة في

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ٣٢١ .

قلوب المؤمنين، حتى أصبح الرجل منهم يعمل ولا يهمه أن يقطف ثمار عمله في الدنيا، ومن جميل ما قرأت في هذا الصدد: **«أن أبا الدرداء - رضي الله عنه - كان قد طعن في السن وذات يوم رآه أحد الشباب وهو يغرس شجرة لا تثمر إلا بعد فترة من الزمن فقال له: يا عماه أتغرس هذه وترجو ثمرها؟ فقال أبو الدرداء : وما يضرني أن أغرسها فتثمر فيأكل منها مَن بعدي، فيدعو لي فيبلغني دعاؤه في قبري !!»**(١)

نعم والله ما الذي يضرنا إن بدأنا عملاً من أعمال الإصلاح ومضينا فيه بأناة، فإذا لم نكمله أكمل المسيرة فيه غيرنا .

ولذلك يقول أحد العلماء: **« الإسلام قادم من أي طريقيه جاء، الطريق الهادئ البطيء المتدرج، الذي نحبه ونرتضيه وندعو إليه، ولوا استغرق تمامه عدة أجيال، أو الطريق الصاخب العنيف الذي تغذيه حماقات الغرب وحماقات إسرائيل»**(٢) .

«لقد استمرت الحركة في توجهها الجماهيري قبل استكمال القاعدة، والتحرك بالجماهير قبل استكمال وعيها الإسلامي، والصدام مع السلطان في معارك غير متكافئة . . وترتب على ذلك نتائج لا تخدم الدعوة في كثير . . استمر الغبش حول قضية لا إله إلا الله، إن لم نقل: إنه زاد، بفعل ما اختلط بها من قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية قبل أن تتأصل في قلوب الناس - الدعاة على الأقل - على أنها العبودية الخالصة لله أولا بصرف النظر عن ما يترتب عليها في الحياة الدنيا من نتائج سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية . . ثم تكون هذه القضايا كلها حين يجيء دورها نابعة من لا إله إلا الله، ومرتبطة بها لا منفصلة عنها ولا موازية لها، ولا مقدمة عليها» .

ولا ننسى هنا أن التعجل في التحرك بالجماهير قبل أن تستكمل وعيها الإسلامي، إن لم نقل: قبل أن يتكون عندها وعي إسلامي، قد أزعج الأحزاب والكيانات العلمانية على جماهيرها التي تتسرب من بين يديها وتنضم للحركة الإسلامية، فوقفت تستدرج الحركة الإسلامية عن طريقها الأصيل، في صورة تحدٍ تواجهها به: أرونا أين برامجكم التي تنادون بها لتنزعوا الشرعية منا، وتزعموها لأنفسكم؟ ومن ثَمَّ اندفعت الحركة

---

(١) انظر : د/ يوسف القرضاوى: الحلال والحرام في الإسلام ص ١١٥ ط مكتبة وهبة - القاهرة .
(٢) انظر: أ/ محمد قطب : كيف ندعو الناس ص ١٨٨ ط دار الشروق - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م .

الإسلامية تبحث عن برامج ترد بها على التحدي ليصرفها ذلك عن تحرير قضيتها الأولى قضية لا إله إلا الله، مع أن هذه القضية لا تربط في مرحلة التكوين في حس أصحابها الذين يتربون على المنهج الصحيح، أي ارتباط بالنتائج التي تترتب عليها في الحياة الدنيا، لا السلطان ولا الاستقرار السياسي، ولا الوفرة الاقتصادية، ولا الهناءة الاجتماعية . . فقد لا يترتب عليها شيء من ذلك كله في الحياة الدنيا، إنما قد يكون مصير أصحابها هو مصير سحرة فرعون الذين آمنوا فكان نصيبهم القتل والصلب، أو مصير أصحاب الأخدود الذين آمنوا، فكان نصيبهم الحرق بالنار عن بكرة أبيهم . . . إنما كانوا مُثُلاً لمن بَعْدهم، وكان نصيبهم الذي رضيت به أنفسهم هو رضوان الله، وجنات عدن تجرى من تحتها الأنهار[(١)] .

ولعل من الأمور الواضحة ما كان ينادى به رجال الصحوة الإسلامية من أن الإسلام هو الحل، لكل المشكلات سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا . . . وهذه حقيقة لا مرية فيها، أما أن هذا الحل سيتحقق بوصول الإسلاميين إلى الحكم فهذا أمر لادليل عليه من كتاب الله ولا من وقائع التاريخ، فقد عاش المسلمون سنوات من الشظف حتى بعد توليهم السلطة وتأسيس الدولة الإسلامية التي تحكم بشرع الله، واستمر ذلك حتى أيام عمر - رضي الله عنه - والناس صابرون على الشظف وعلى المشقات كلها لأنهم مؤمنون ولأنهم نذروا أنفسهم للدعوة، ولأنهم يرجون الآخرة . . . ولو كان رسول الله - ﷺ - قد أغرى الجماهير بأنهم إذا تسلم الإسلام السلطة سيحلون كل مشاكلهم الأرضية، ويرفلون في النعيم، ما صبروا على شظف العيش الذي حدث بعد تأسيس الدولة الإسلامية، واستمر بعد ذلك سنوات . . وحين نوهم الناس الذين لم تتمخض قلوبهم للا إله إلا الله بأنهم إذا تسلم المتدينون السلطة سيحلون كل مشاكلهم في التو واللحظة، ثم يستمر الإسلاميون في الحكم سنوات والمشاكل لا تحل، بل تزداد حدة نتيجة اشتداد الصليبية والصهيونية في الحرب، فهل سيصبر الناس الذين لم يدخلوا من باب العبودية الخالصة لله، بل من باب المصالح الدنيوية، هل سيصبرون على الشظف والحرمان والجهاد المر، حتى يتحقق وعد الله في أوانه المقدر عنده، أم سينقلبون على الحكم الذي لم يحقق لهم ما جاءوا من أجله، وأدلوا من أجله بأصواتهم في صناديق الانتخاب[(٢)]؟

---

(١) انظر أ/ محمد قطب : كيف ندعو الناس ص ٦٦ ، ٧٦، واقعنا المعاصر لنفس المؤلف ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ .
(٢) محمد قطب : كيف ندعو الناس ص ٦٧ ، ٦٨ بتصرف .

ومن هنا ندرك أنه لو عاد العاملون في الحقل الإسلامي إلى هذا المنهج وهو الأناة وترك التعجل في تجميع الجماهير، فليست المسألة مسألة كسب أصوات أو تكثير صفوف وإنما مسألة مبادئ وأصول لابد من السير على ضوئها مع تسليم النتائج لله - تعالى- ساعتها يحصل الوعي الإسلامي الصحيح الذي يصحح صورة ومسار حركة الصحوة الإسلامية .

وبعد /

فإن هذه بعض الخطوات التي لابد من سلوكها واتباعها لتتحسن صورة الصحوة الإسلامية، والله إن العالم الآن الذي تحارب حكوماته الإسلام أكثر شعوبه محرومة من معرفة الإسلام الصحيح، فالغرب والشرق الآن لا يعرف عن المسلم إلا أنه إنسان وحشي متطرف جامد متخلف . . . وربما شاركنا نحن المسلمين بجهد لا يستهان به في رسم تلك الصورة .

فحبذا لو بذلنا من جهدنا ما يمكن أن يكون لَبنات في بناء الصورة الصحيحة للمسلم الملتزم المتدين الفاهم الواعي اليقظ المتسامح الناضج، حبذا لو اهتبلنا فرصة تَوجّه الأنظار الآن نحو الإسلام لنشرحه ونعرض الصورة الصحيحة، وذلك من خلال التزامنا له التزامًا صحيحًا وجادًا، ومن خلال تكاتف الجهود الإسلامية، ويشمل ذلك الجهود الحكومية والشعبية .

ولابد أن يصحب العمل عزيمة قوية لا تعرف الكلل ولا الملل ولا الخور، وأفضل ما يبعث في النفس هذه الروح، ويقوى تلك العزيمة هو الثقة في وعود الله تعالى بأن المستقبل للإسلام، قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ (١)، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (٢) . . . وغير ذلك من كلام الحق ووعود الصدق !

ولكن يا أمة الخلود: انتظار تحقيق الوعود، من غير أن نعود، كذب وجحود ، وتيه

---

(١) سورة التوبة: آية ٣٣ .

(٢) سورة النور: آية ٥٥ .

في بحر بلا حدود، فلنحسن العودة إلى الله تعالى يحقق لنا الوعود، ويعطينا عطاءً بلا حدود، ويرحمنا يوم تنطق الجلود، وتستنطق الشهود، ساعتها لا ينفع حلف الأمريكان ولا الهنود ولا اليهود، فاللهم اغفر لنا وللآباء وللجدود، وأدخلنا الجنة دار الخلود، بفضلك يا غفور يا ودود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الخاتمة

الخاتمة (نسأل الله حسنها)

أحمد الله تعالى على ما وَفَّق وأعان، وأصلى وأسلم على خاتم رسله سيد الأنام - ﷺ، **أما بعد /**

فإن مسألة الأصولية الإسلامية من المسائل التي تحتاج إلى بحث ودراسة ومهما كتبت فيها الأقلام فهي لا تزال بكرًا، تحتاج منا إلى بذل الجهد وإعمال الفكر، وذلك لنمحو الصورة السيئة التي حاول الغرب أن يظهر بها حركة الصحوة الإسلامية، ولنستفيد من تجارب الماضي لنحسن تلافيها فيما نستقبل من أيام الإسلام.

وهناك حقيقة لابد من تقريرها: وهي أنه برغم الطفرة الهائلة والتطور الملحوظ في نظم المعلومات ووسائل التعليم، إلا أن المخاطر تكتنف هذا التطور الملحوظ، بمعنى أن اكتفاء النشأ عندنا بالبحث فقط في الكتب أو على شبكات الإنترنت أو شاشات الكومبيوتر دون أن تكون له رجعة إلى أولى العلم وأهل الذكر قد يضر به، خصوصًا وأننا نرى شبابًا كثيرًا يتلقفون مفاهيم من هنا وهناك، ويحسبونها حقائق مسلمة، وما حدث هذا إلا منذ أن افتقدنا طريقة التلقي في أخذ العلم عن أهله، فاختلطت المفاهيم حابلها بنابلها، وأضحت الساحة الفكرية تعج بركام من المفاهيم المغرضة، التي تجعل الشباب ربما يفهم الحرية على أنها التملص من التكاليف، والتقدم والتطور على أنهما التخلص من القيم والمبادئ، والتطرف والعنف على أنه التمسك والالتزام، وأن الحداثة والعصرنة تعني إبادة الأصول وعدم اتخاذ أي مرجعية منها.

بل ربما وجدنا بعض مفاهيم يراد بها الإلحاد عمومًا، وربما تمثل ذلك في إشاعة العداء المفتعل بين الدين والعلم، فيفهم الشباب المسلم أن الإسلام - أيضًا- يعادي العلم، وهذا كذب صريح ممن يُشيعه وغباءٌ ممن يصدقه !!

لذلك نجد أن المهمة شاقة تحتاج إلى جهد لنخرج بأبنائنا من حضيض المفاهيم الوافدة والثقافة الهابطة .

وقد كان مما أثار دهشتي، أن أعداء الإسلام يعملون بلا كلل أو ملل، ولا يضيعون فرصة ولا ثغرًا إلا أتونا منه، هل تصدق يا أخي أنه حتى أفلام الكارتون التي نستوردها

من الغرب تهدف إلى تغريب أطفالنا، وانتزاعهم من بيئتهم .

فهلا أفقنا من غفلتنا، ونبذنا ما بيننا من خلاف، ووحدنا الصفوف، وعرفنا العدو من الصديق، وقوينا العزائم، وجردنا النية لله، وهلا منعنا المدد الذي نمد به أعدائنا ضد ديننا ووطننا وأهلنا ؟

نعم: والله منا من يمد الأعداء وذلك نتيجة الفهم الخاطئ من حيث لا نشعر، فيتنادى أكثر بل ويصفق تأييدًا للحرب الملعونة (التي يخلعون عليها اسم «ضد الإرهاب») وما هي إلا ضد الإسلام ، وقد تكشفت الأمور لكل ذي عينين، ومن ليس له عينان فأقول له :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار ما لم تزودِ

وقد حاولت في هذا البحث المتواضع كشف اللثام عن مفهوم الأصولية ومن أطلقه وعلى من أطلق، وتطبيقاته والمحاذير التي لابد من تجنبها، والطريق إلى تحسين صورة العمل الإسلامي . . .

وأسأل الله تعالى أن ينفعنا به والمسلمين، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

كتبه الفقير إلى عفو المنان:

عماد على عبد السميع حسين

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم - جل من أنزله .

إبراهيم بن سليمان الجبهان :

٢ - معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير/ ط عالم الكتب - الرياض ١٩٨١ .

إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي :

٣ - الاعتصام - ط دار الكتب العلمية - بيروت .

أبو الحسن على الندوى :

٤ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين- ط مكتبة الدعوة - القاهرة .

د/ أحمد إبراهيم خضر :

٥ - الإسلام والكونجرس حقائق ووثائق حول ما أسماه الأمريكيون بحركة الأصولية الإسلامية - ط دار الاعتصام - الرياض ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م .

أحمد بن حجر :

٦ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب - ط دار الاعتصام - الرياض .

د/ أحمد ربيع عبد الحميد :

٧ - الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين - ط دار التوفيق النموذجية - الناشر مكتبة وهبة - القاهرة ١٩٨٤ .

أحمد سلام :

٨ - نظرات في منهج الإخوان المسلمين - مكتبة الكوثر - الرياض ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية :

٩ - الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول- ط المكتبة العصرية- صيدا -

بيروت ١٩٩٠م .

١٠ - مجموعة الفتاوى - ط دار الرحمة - القاهرة (جمع وترتيب / عبد الرحمن محمد النجدى وابنه) .

١١ - كتاب الاستغاثة (المعروف بالرد على البكرى) - ط الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع - دلهي الهند- الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .

١٢ - منهاج السنة - ط دار الكتب العلمية - بيروت .

لواء / أحمد عبد الوهاب :

١٣ - حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر - ط دار غريب للطباعة - القاهرة ١٩٨١م.

أحمد بن على بن حجر :

١٤ - هدى الساري- ط دار الحديث - القاهرة ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م .

١٥ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري- ط دار الحديث - القاهرة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

أحمد بن محمد بن حنبل :

١٦ - المسند - ط المكتب الإسلامي - بيروت .

إسحاق موسى الحسينى:

١٧ - الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة - ط دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٢م .

إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي :

١٨ - البداية والنهاية - ط دار الغد العربي - القاهرة .

١٩ - تفسير القرآن العظيم - ط مكتبة الإيمان - المنصورة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

أنور الجندي :

٢٠ - مشكلات الفكر في ضوء الإسلام- ط مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة .

إيمانويل :

٢١ - الأصولية اليهودية - ترجمة د/ جمال الرفاعى- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

بيتر آرنيت :

٢٢ - مذكرات أشهر مراسل عسكري من فيتنام إلى بغداد- ط مكتبة مدبولى - القاهرة ١٩٩٦م .

توماس آرنولد :

٢٣ - الدعوة إلى الإسلام : ترجمة د/ حسن إبراهيم وآخرين- ط مكتب النهضة المصرية - القاهرة ١٩٧٠م .

جريس هالسل :

٢٤ - النبوءة والسياسة - ط جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - بالجماهيرية العربية الليبية ١٤١٠هـ- ترجمة (محمد السماك) .

جمال سلطان :

٢٥ - فقه الحركة الأصول والمقدمات- ط مركز الدراسات الإسلامية - برمنجهام بريطانيا - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م .

جمال الدين بن منظور :

٢٦ - لسان العرب- ط المطبعة المصرية - بولاق .

جرمة أمين عبد العزيز :

٢٧ - الدعوة قواعد وأصول - ط دار الدعوة - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٨٩م .

د/ جميل صليبا :

٢٨ - المعجم الفلسفى بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية- ط دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨٢م .

جماعة من المستشرقين :

٢٩ - دائرة المعارف الإسلامية - ط دار الشعب - القاهرة (الترجمة العربية) .

حسن البنا :

٣٠ - مذكرات الدعوة والداعية - ط دار الشهاب - القاهرة ١٩٧٧م.

٣١ - مجموعة الرسائل- ط دار الطباعة والنشر الإسلامية - القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

حسن حنفي :

٣٢ - الأصولية الإسلامية - مكتبة مدبولى - القاهرة .

حسن دوح :

٣٣ - صفحات من جهاد الشباب المسلم - ط دار الاعتصام - القاهرة ١٩٧٧م.

د/ حسن ظاظا وآخرون :

٣٤ - الصهيونية العالمية وإسرائيل - ط الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية - القاهرة ١٩٧١م.

حسين بن محسن بن على جابر :

٣٥ - الطريق إلى جماعة المسلمين - ط دار الوفاء - المنصورة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

خير الدين الزركلى :

٣٦ - الأعلام - ط دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٠م .

دى روزا (قسيس) :

٣٧ - التاريخ الأسود للكنيسة - ترجمة آسر حطيبة - ط الدار المصرية للنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

د/ رشاد عبد الله الشامي :

٣٨ - الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية - سلسلة عالم المعرفة - عدد (١٠٢) يونيو ١٩٨٦م .

رفعت السعيد:

٣٩ - حسن البنا - متى ، كيف، ولماذا؟ ط مكتبة مدبولى - القاهرة ١٩٧٧م .

روبير جاكسون:

٤٠ - حسن البنا الرجل القرآني- ترجمة / أنور الجندي - ط المختار الإسلامي- القاهرة ١٩٧٧م.

روجيه جارودى:

٤١ - ملف إسرائيل- ط دار الشروق- القاهرة- الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

روجى البعلبكى :

٤٢ - قاموس المورد (عربي - إنجليزي) ط دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٧ .

د/ روهلنج:

٤٣ - الكنز المرصود في قواعد التلمود - ترجمة د/ يوسف نصر الله - ط مطبعة المعارف مصر ١٨٩٩م .

د/ زينب عبد العزيز:

٤٤ - الفاتيكان والإسلام- ط دار القدس- القاهرة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

د/ سيد حسن مبارك:

٤٥ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته الإصلاحية (بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط - العدد ١٩ سنة ٢٠٠١م).

سيد قطب :

٤٦ - في ظلال القرآن- ط دار الشروق - القاهرة .

د/ سفر بن عبد الرحمن الحوالى:

٤٧ - شرح رسالة تحكيم القوانين - مكتبة الطيب لخدمة التراث الإسلامي - القاهرة- الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٤٨ - القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى - ط مكتبة السنة - القاهرة

١٤١٤هـ.

سلمان بن فهد العودة :

٤٩ - الإغراق في الجزئيات- ط دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع - الإسكندرية عام ٢٠٠٠م.

سليمان بن الأشعث (أبو داود السجستانى) :

٥٠ - السنن- ط دار إحياء التراث العربي - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٦٩م.

د/ صادق أمين :

٥١ - الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية - ط دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة .

د/ صلاح الصاوى :

٥٢ - جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها - ط دار الطباعة والنشر الإسلامية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٥٣ - تحكيم الشريعة وصلته بأصل الدين - ط دار الإعلام الدولي للطباعة والنشر القاهرة الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٥٤ - مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي - ط الآفاق الدولية للإعلام- القاهرة- الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

عبد الحي بن العماد الحنبلى :

٥٥ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب -ط المكتب التجاري للطباعة - بيروت.

د/ عبد الحميد هنداوى:

٥٦ - دراسات حول الجماعة والجماعات- ط مكتبة التابعين - القاهرة ١٩٩٦م.

عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ :

٥٧ - فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد - ط مكتبة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م - تحقيق محمد حامد الفقى .

عبد الرحمن السعدى :

٥٨ - الفتاوى السعدية - ط مكتبة الفاروق - الرياض - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلى :

٥٩ - جامع العلوم والحكم - ط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - تحقيق د/ محمد بكر إسماعيل .

عبد الرحمن عبد الخالق :

٦٠ - الأصول العلمية للدعوة السلفية - ط دار الإيمان للطبع والنشر - الإسكندرية .

عبد الرحمن بن معلا اللويحق :

٦١ - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة - ط مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م .

عبد العال الباقورى :

٦٢ - العرب وإسرائيل وفلسطين- ط مكتبة الأسرة - القاهرة ١٩٩٨م .

د/ عبد الفتاح محمد العويسى :

٦٣ - تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية - ط دار الطباعة والنشر الإسلامية- القاهرة .

عبد الله الخليفة :

٦٤ - أسامة بن لادن بين الجهاد والإرهاب- ط دار الحدث للصحافة والخدمات الإعلامية - القاهرة ٢٠٠١م .

اللواء/ عبد المنصف محمود :

٦٥ - اليهود والجريمة - ط القاهرة ١٩٦٧م .

د/ عبد الوهاب محمد المسيرى :

٦٦ - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- ط دار الشروق- القاهرة ١٩٩٩م .

عز الدين بن عبد السلام (سلطان العلماء) :

٦٧ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام - ط دار الكتب العلمية بيروت .

عز العرب فؤاد :

٦٨ - أفغانستان المجاهدة - ط دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة ١٩٨٦م .

على بن محمد بن حبيب الماوردى :

٦٩ - الأحكام السلطانية- ط دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ .

عماد على عبد السميع حسين :

٧٠ - الموالى ودورهم في الدعوة إلى الله تعالى- (رسالة ماجستير مودعة بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط) .

عمر التلمسانى :

٧١ - الإسلام والحكومة الدينية - ط دار النصر للطباعة الإسلامية - القاهرة ١٩٨٥ .

غو ستاف لوبون :

٧٢ - حضارة العرب- ترجمة/ عادل زعيتر- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م .

د/ فؤاد على مخيمر :

٧٣ - الجمعية الشرعية منهاجًا وسلوكًا - بدون طبعة .

٧٤ - الكتاب المقدس - ط دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط- القاهرة ١٩٩٣م .

د/ مانع بن حماد الجهنى :

٧٥ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - ط دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض ١٤١٨ هـ.

محمد أبو زهرة :

٧٦ - أصول الفقه - ط دار الفكر العربي - القاهرة .

محمد بن أحمد بن فرج القرطبى :

٧٧ - الجامع لأحكام القرآن - ط دار الكتاب العربي- القاهرة .

محمد بن بكر بن أيوب (الشهير بابن القيم) :

٧٨ - إعلام الموقعين - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٩٧٠م تحقيق (طه عبد الرءوف سعد) .

محمد توفيق بركات :

٧٩ - سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة والنقد الموجه إليه - ط دار المنار- مكة المكرمة .

محمد بن جرير الطبرى :

٨٠ - تاريخ الأمم والملوك- ط بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

محمد سرور بن نايف :

٨١ - التوقف والتبين - ط دار الأرقم - برمنجهام بريطانيا ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

محمد بن سعد :

٨٢ - الطبقات الكبرى - ط دار صادر - بيروت .

د/ محمد شوقي زكى :

٨٣ -الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى-ط دار الطباعة والنشر الإسلامية- القاهرة١٩٩٠

محمد بن على بن محمد النهانوى الحنفى :

٨٤ - كشاف اصطلاحات الفنون - ط دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

محمد بن علي الشوكانى :

٨٥ - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول- ط مصطفى البابى الحلبى

- القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ .

محمد عبد الحليم حامد :

٨٦ - مائة موقف من مواقف المرشدين لجماعة الإخوان المسلمين - ط دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

محمد عبد الله الخطيب :

٨٧ - من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ط دار المنار الحديثة - القاهرة ١٩٨٩م .

٨٨ - الدعاة والتخطيط - ط دار المنار الحديثة - القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م .

محمد عبد الله عنان :

٨٩ - دولة الإسلام في الأندلس- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة ٢٠٠١م .

محمد بن عبد الملك السبيعى :

٩٠ - تبصير الأذهان ببعض المذاهب والأديان - ط مطبعة سفير - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب النجدى :

٩١ - الأصول الثلاثة - مطبعة سفير- الرياض ١٤١٥هـ- تحقيق/ عبد البر محمد بن قاسم .

محمد عبد الهادى المصرى :

٩٢ - أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى - ط دار الإعلام الدولي- القاهرة .

الشيخ / محمد الغزالي :

٩٣ - مع الله- دراسات في الدعوة والدعاة - ط دار التوفيق النموذجية - الناشر دار الكتب الإسلامية- القاهرة - الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

محمد قطب :

٩٤ - واقعنا المعاصر- ط دار الشروق- القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٩٥ - كيف ندعو الناس- ط دار الشروق- القاهرة- الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

محمد ناصر الدين الألبانى :

٩٦ - سلسلة الأحاديث الصحيحة- ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - بيروت ١٩٩٥م.

محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى :

٩٧ - السنن - ط المكتبة العلمية - بيروت - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

محمود شكرى الآلوسي :

٩٨ - روح المعانى - ط دار إحياء التراث العربي- بيروت .

محمود النجيرى :

٩٩ - أكذوبة الأصولية الإسلامية - ط دار البشير - القاهرة ١٤١٤هـ.

مرعى بن يوسف الحنبلي :

١٠٠- غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى - ط دار السلام- القاهرة .

مصطفى مشهور :

١٠١ - طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف- ط دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - الطبعة الرابعة .

١٠٢ - تساؤلات على الطريق - ط دار الطباعة والنشر الإسلامية - القاهرة .

١٠٣ - المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة (وهو عبارة عن تقارير الندوة المقامة في أمريكا ٢٢/ ٢٤ أبريل ١٩٨٥ بهذا الشأن) طبعته دار الآفاق الجديدة - بتصريح من جامعة الدول العربية .

فهرس المحتويات

* * *